



Wasit University
Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

مظاهر التخليد في مصر وبلاد الشام ابان عصر الدولتين الطولونية والإخشيديّة (245-358هـ/868-968م)

Manifestations of Commemoration in Egypt and the Levant during the Tulunid and Ikhshidid
Dynasties (245-358 AH / 868-968 AD)

سهيل, سفيان محمد حسن

إشراف: أ.م.د شيماء بدر عبد الله

جامعة واسط — 2026

<https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/166>

<https://doi.org/10.31185/uowasit-10>

حُمِّلَ هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة واسط
كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

مظاهر التخليد في مصر وبلاد الشام ابان عصر
الدولتين الطولونية والإخشيدية
(٢٤٥-٣٥٨هـ / ٨٦٨-٩٦٨م)

رسالة تقدم بها الطالب

سفيان محمد حسن سهيل

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة واسط وهي من متطلبات
نيل شهادة الماجستير في التأريخ الإسلامي

إشراف

الأستاذ المساعد الدكتورة

شيماء بدر عبد الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ
كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧)

صدق الله العظيم
سورة الدخان: الآيات ٢٥ - ٢٧

الإهداء

الى... سيد الخلق وحبیب القلوب الرسول الأعظم محمد (صل الله علیه واله وصحبه وسلم) فهو قدوتي ونوري ودليلي في هذه الحياة

الى... ذلك الجبل الذي احتمي به دوما وبطل نجاحاتي ومصدر قوتي وحبیب قلبي وروحي... يا من كنت بجانبی في كل خطوة أخطوها لمواجهة الحياة، يا من كنت السند والداعم الأول في حياتي... هذا اليوم هو ثمرة جهدك قبل أن يكون جهدي، شكرا لأنك كنت دائما تؤمن بي وتشجعني في جميع الأوقات، ادعوا الله أن يحفظك أينما وطأة أقدامك وأعلم دائما بأني فخور بك... ولأجلك ها أنا فعلتها أيها الرجل العظيم يا من شرفنتي بحمل أسمك.

(والدي العزيز)

الى... من أضاءت دربي بنورها وتحملت صعاب الحياة لتصل بي إلى هذا النجاح هو قطرة من بحر حبك وعطائك لنا وهذا الإنجاز هو أقل ما يمكن أن أقدمه لروحك الطيبة... فلولاً دعائك ورفعة يداك في كل صلاة لما وصلت اليوم.

(أمي الغالية)

الى... رياحين قلبي ورفاق دربي أهديك ثمرة جهدي وفرحة نجاحي شكرا لكونكم جزءا لا يتجزأ من هذا النجاح فهو لكم قبل أن يكون لي، اشقائي (رياض، كرار، رفل، نور الدين، بكر، أحمد)

(أخوتي)

الى... أساتذتي الأفاضل الذين تركوا في نفسي بصمة لا تنسى لما قدموه من عطاء علمي وفير

(أساتذتي الأعزاء)

الباحث

شكر وعرfan

الحمد لله وهو العلي الأزلي الدائم العادل في التقدير والمحسن في التدبير ذو الحكمة البالغة واصلي واسلم على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد
يسعدني أن أقدم بجزيل الشكر والامتنان والعرfan الى من منحتني من فكرها الرشيد ورأيها السديد ما اعانني على أخراج هذه الرسالة الى حيز النور , بتوجيهك وإرشادك الكريم استطعت أن أخطو خطوات ثابتة في كتابة موضوع الرسالة, فكل الشكر والتقدير إلى أستاذتي الجليلة الدكتورة شيماء بدر عبد الله التي سعدت بأشرافها على رسالتي, أسأل الله أن يجزيك خير الجزاء

ولن أنسى أستاذتي الفاضلة الدكتورة أسراء مهدي مزبان التي لم تبخل عليه بأي مساعدة ممكنة فلها كل المشاعر والاحترام وخير مثال يحتذى به بما منحتيني من تشجيع وعزيمة وإصرار , فقد كنتي أخت قبل أن تكوني أستاذتي دمتي في رعاية الله وحفظه.
وجزيل الشكر والحب الى ذلك الرجل الذي شجعني على إكمال مسيرتي العلمية العم الدكتور خليل جليل البخيت متمنيا لك دوام التوفيق حفظك الله.

كذلك لا أنسى الشخص الذي كان له الفضل الكبير والعطاء المستمر في تقديم المساعدة لي في كل وقت فلم يبخل عليه بأي شيء طول مسيرتي الدراسية فلولا فضل الله وأنت لما استطعت تحقيق هذا الطموح (رب أخا لم تلده أمك) دمت أخي محمد أكرم عباس فلحي عاكول الموسوي, فأسأل الله أن يجزيك عني أفضل الجزاء ويحقق لك ما تبغي وتطمح.

وأقدم بجزيل الشكر الى أعضاء هيئة التدريس في قسم التاريخ لما يقومون به من مساعدة وتسهيل الطريق أمام الباحثين.
والشكر موصول الى السادة أعضاء لجنة المناقشة على تقويمهم لهذه الرسالة لما أبدوه من تعديلات سليمة وملاحظات قيمة أسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناتكم يوم يبعثون.

والله ولي التوفيق

الباحث

إقرار المشرف

أشهد أن أعاد هذه الرسالة والموسومة بـ (مظاهر التخليد في مصر وبلاط الشام أبان عصر الدولتين الطولونية والافشيديية (٢٤٥-٣٥٨هـ/٨٦٨-٩٦٨م) التي تقدم بها طالب الماجستير (سفيان محمد حسن سهيل) إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة واسط ، وقد أنجزت بإشرافي في قسم التاريخ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، وأوصي بمناقشتها. ولأجله وقعت.

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. شيماء بدر عبدالله

التاريخ / / ٢٠٢٦

وبناء على التوصيات المقدمة أرفع هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع:

أ.د. محمد حسين علي السويطي

رئيس قسم التاريخ

التاريخ / / ٢٠٢٦

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أن أعداد هذه الرسالة والموسومة بـ (مظاهر التخليد في مصر وبلاد الشام ابان عصر الدولتين الطولونية والاخشيديّة (٢٤٥-٣٥٨هـ/٨٦٨-٩٦٨م) التي تقدم بها طالب الماجستير (سفيان محمد حسن سهيل) إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة واسط ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي ، قد تم تقويمها لغويا، وأصبحت مؤهلة للمناقشة وأُجيزت وفقاً لذلك.

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. عبدالحميد حمد شحادة

التاريخ: / / ٢٠٢٦

إقرار الخبير العلمي

أشهد أن أعداد هذه الرسالة والموسومة بـ (مظاهر التخليد في مصر وبلاد الشام ابان عصر الدولتين الطولونية والاخشيديّة (٢٤٥-٣٥٨هـ/٨٦٨-٩٦٨م) التي تقدم بها طالب الماجستير (سفيان محمد حسن سهيل) إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة واسط ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي ، قد تم تقييمها علميًا، وأصبحت مؤهلة للمناقشة وأُجيزت وفقًا لذلك.

التوقيع:

الاسم: أ.د. رائد حمود عبدالحسين

التاريخ: / / ٢٠٢٦

التوقيع:

الاسم: أ. م. د. اسراء سعدي عبود

التاريخ: / / ٢٠٢٦

إقرار الخبير العلمي

أشهد أن أعداد هذه الرسالة والموسومة بـ (مظاهر التخليد في مصر وبلاد الشام ابان عصر الدولتين الطولونية والاخشيديّة (٢٤٥-٣٥٨هـ/٨٦٨-٩٦٨م) التي تقدم بها طالب الماجستير (سفيان محمد حسن سهيل) إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة واسط ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي ، قد تم تقويمها علميًا، وأصبحت مؤهلة للمناقشة وأُجيزت وفقًا لذلك.

التوقيع:

الاسم: أ.د. رائد حمود عبدالحسين

التاريخ: / / ٢٠٢٦

التوقيع:

الاسم: أ. م. د. اسراء سعدي عبود

التاريخ: / / ٢٠٢٦

إقرار أعضاء لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة، أننا اطلعنا على رسالة الماجستير الموسومة بـ (مظاهر التخليد في مصر وبلاد الشام ابان عصر الدولتين الطولونية والاخشيديّة (٢٤٥-٣٥٨هـ/٨٦٨-٩٦٨م) التي تقدم بها طالب الماجستير (سفيان محمد حسن سهيل) إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة واسط ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي ، وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها، ونعتقد بأنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي وبتقدير (جيد جداً)

التوقيع:

الاسم: ا.د. حيدر مزهر عسكر

(عضوا)

التوقيع:

الاسم: ا.م.د. شيما بدور العبدالله

(مشرفاً وعضوا)

التوقيع:

الاسم: ا.د. اسراء مهدي مزبان

(رئيس اللجنة)

التوقيع:

الاسم: ا.م.د. فوزي خيري كاظم

(عضواً)

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة واسط - على إقرار لجنة المناقشة.

التوقيع: محمود حمود عراك

أ.د. محمود حمود عراك القريشي

العميد

التاريخ: ٣١ / ٥ / ٢٠٢٦

المحتويات

الآية القرآنية خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة.

الإهداء ب

إقرار المشرف د

إقرار المقوم اللغوي هـ

إقرار الخبير العلمي و

إقرار الخبير العلمي الثاني ز

إقرار أعضاء لجنة المناقشة ح

المحتويات ط

المقدمة ١

الفصل الاول مفهوم التخليد ودلالاته في الحضارة الاسلامية ٨

١- التخليد لغةً واصطلاحاً ٨

٢- التخليد في مصادر التشريع الإسلامي ١٠

٣- المفردات الدالة على التخليد ٢٠

٤- مظاهر التخليد التاريخي ٢١

٥- السياق العام لقيام الدولة الطولونية واثره في بروز مظاهر التخليد. ٢٧

٦- السياق العام لقيام الدولة الاخشيدية واثره في ظاهرة التخليد: ٣٤

الفصل الثاني التخليد في الدولة الطولونية ٤١

١- التخليد السياسي ٤١

٢- التخليد العسكري ٦٠

٣- التخليد الاداري ٧٤

٤- التخليد الاقتصادي ٩٠

٥- التخليد الاجتماعي ١٠٦

٦- التخليد الديني ١١٢

١١٧ - التخليد الثقافي والعلمي _____

١٤٥ الفصل الثالث التخليد في الدولة الاخشيدي _____

١٤٥ مظاهر التخليد في الدولة الإخشيدية _____

١٤٥ ١- التخليد السياسي _____

١٦٠ ٣- التخليد العسكري _____

١٦٧ ٣- التخليد الاداري _____

١٨٤ ٤- التخليد الاقتصادي _____

١٩٢ ٥- التخليد الاجتماعي _____

١٩٦ ٦- التخليد الديني _____

٢٠١ ٧- التخليد الثقافي والفني _____

٢١٢ **الخاتمة** _____

٢٧٠ المصادر والمراجع _____

A-D Abstract _____

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نطاق البحث وتحليل المصادر .

الحمد لله، الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، الخالد بلا انقضاء، الخالق بلا اقتداء، وصل اللهم على أطيب البرية محتداً، وأظهرهم مولداً، وأظهرهم محتداً، محمد ذي الأخلاق العظيمة والمسالك النقية والصحائف النقية، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه وسار على نهجه الى يوم الدين .

إن الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة العربية منها أو الأجنبية في حقل التاريخ العربي الإسلامي يمكن تحديد اتجاهاتها التي سلكتها والجوانب التي تناولتها، فقد اولت اهتماماً كبيراً لدراسة التاريخ السياسي ، ثم أتجهت بعد ذلك لتأخذ منحى آخر تمثل بالأعتناء بالجوانب الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، حتى بدأ اتجاه آخر يفرض نفسه الآن ، وتمثل بإبراز الجوانب الفكرية والثقافية والعلمية، بيد أن ذلك لا يعني أن كل هذه الجوانب قد درست، فكثير من المواضيع ولاسيما التي تتعلق بموضوع الخلود ومظاهر تخليد الأسر الحاكمة على سبيل التخليد في العصر الطولوني والاختشيدي لم تدرس بشكل مستقل ، فظلت المعلومات عنها قليلة وفي أحيان عدة غامضة ، أذ على ما يبدو فإن الخوض فيها يعدّ أمراً غير يسير لتناثر معلوماتها في ثنايا وبطون المظان التاريخية من جهة أخرى .

تغطي الدراسة المدة الزمنية من قيام الدولة الطولونية سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م حتى نهاية الدولة الاخشيدية سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، والتي تمثل حقبة انتقالية في مصر والشام عندما ظهرت أساليب التخليد للحكام المحليين الذين سعوا لتحقيق استقلالية نسبية مع الحفاظ على الولاء الرمزي للخلافة العباسية، وقد اختيرت مصر وبلاد الشام كمادة بحثية علمية لهذه الدراسة، باعتبارهما مراكز حيوية للسلطة والاقتصاد في مدة حكم الدولة الطولونية والاختشيدي مما يعكس مظاهر التخليد السياسي والعمراني والثقافي

والواقع فإن صعوبة الخوض في بعض هذه يكمن بهيمنة الفعاليات السياسية التي تتفاعل مع الظواهر الادارية والعمرانية والاقتصادية المختلفة مما يعكس أيجاباً أو سلباً على الحياة العامة .

إشكالية البحث والفرضية:

جاءت الرسالة للإجابة عن مجموعة أسئلة أهمها، ما هو مفهوم التخليد لدى الطولونيين والاختشيديين؟، مداهمية التخليد وأنواعه في مصر الطولونية والاختشيدية، وماهي الأساليب التي انتهجها الأمراء الطولونيين والاختشيديين في تخليد ذكراهم؟، كيف استفاد الحكام الطولونيين والاختشيديين في توظيف تلك المظاهر لتخليد ذكراهم؟ .

أهداف البحث وأهميته:

يهدف البحث الى:

- الكشف عن أساليب الحكام الطولونيين والاختشيديين في تخليد أنفسهم ودولهم.
- تحليل البعد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني لمظاهر التخليد ومدى تأثيرها على المجتمع والسلطة.
- بيان الوسائل والطرق التي بموجبها تم معالجة مفهوم الخلود في عهد الدولتين الطولونية والاختشيدية.

أما منهج الدراسة المتبع من أجل تحقيق أهداف الدراسة فقد تم اعتماد:

- ١- المنهج التاريخي التحليلي، عن طريق ربط الأحداث التاريخية للدولتين بأساليب التخليد المنجزة
- ٢- المنهج الوصفي، القائم على وصف المظاهر المادية والمعنوية للتخليد مسندة بتفاصيل دقيقة للمشاريع العمرانية والنقود والنقوش والكتابات.

محتوى الرسالة:

وقد تطلبت مقتضيات الدراسة تقسيمها على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة عرضنا في المقدمة فكرة الموضوع، ومسوغات اختياره، وعرض لأهم مصادره ومراجعته وجاءت الخاتمة لتقف على أهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها خلال هذه الدراسة، لحقتها قائمة بمصادر الرسالة ومراجعها.

أما فصول الدراسة، فقد عني الفصل الأول والموسوم بـ (مفهوم التخليد ودلالاته في الحضارة الإسلامية)، والذي جاء بستة فقرات وهي : مفهوم التخليد لغة واصطلاحاً، التخليد في مصادر التشريع الإسلامي، المفردات الدالة على التخليد، مظاهر التخليد، السياق العام لقيام

الدولة الطولونية واثره في بروز مظاهر التخليد، السياق العام لقيام الدولة الاخشيديية واثره في ظاهرة التخليد.

فيما تناول الفصل الثاني، (مظاهر التخليد في الدولة الطولونية)، وتوزع على سبعة مظاهر وهي، التخليد السياسي، التخليد العسكري، التخليد الاداري، التخليد الاقتصادي، التخليد الاجتماعي، التخليد الديني، التخليد الثقافي والعلمي.

ثم ينتقل البحث في الفصل الثالث الذي حمل عنوان، (مظاهر التخليد في الدولة الاخشيديية) لعالج مظاهر الخليد في جوانبها المختلفة والتي شملت سبعة مظاهر هي نفسها في عناوينها في الفصل الثاني.

وختمت الرسالة بخاتمة تضمنت اهم نتائج التي توصلت إليها الدراسة مدعومة بتوصيات وملاحق.

ولما كانت الدراسة قد تناولت موضوع التخليد لدى الطولونيين والاخشيديين، فأنها في سبيل ذلك قد رجعت الى عدد غير قليل من المصادر الأولية والمراجع الثانوية ، فضلاً عن البحوث والمقالات والرسائل والأطاريح الجامعية، وسنتناولها على وفق مجاميع مصدرية وكالاتي :

أولاً: مؤلفات التاريخ العام:

ويقف في مقدمتها تاريخ الرسل والملوك أو تاريخ الأمم والملوك لمؤلفه الطبري ، أبي جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، الذي ذكر معلومات مهمة عن تاريخ الطولونيين والاخشيديين قبل وبعد تسلمهم حكم مصر، وقد تضمنت أيضاً جوانب مهمة في الإدارة والحكم، مما أفاد الدراسة كثيراً، وكتاب الكامل في التاريخ لأبن الاثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) الذي يعد مصدراً مهماً لتاريخ الطولونيين والأخشيديين لأنه يمثل امتداداً لكتاب تاريخ الطبري ويكمل المدة التي توقف عندها، كما أنه يتضمن تحليلات نقدية للظواهر التاريخية والسياسية والعسكرية، ويغطي فترة تاريخية مهمة تضمنت صعود وسقوط الدولتين، ويظهر بشكل واضح تفوق منهجه على بعض المصادر السابقة، اما كتاب البداية والنهاية لابن كثير(ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م) الذي اعتمد في عرض المادة التاريخية على التلخيص والاختصار والنقل بالمعنى عن مصادره ، وخاصة في القسم الخاص بتاريخ الإسلام، ونظراً لطول الحقبة التي كان عليه أن يجمع تاريخها، وتعدد الموضوعات التي اهتم بذكرها، وتنوع المصادر وكثرتها، قام بسردها ملخصاً على لسانه في سياق واحد متماسك مع الإشارة والإحالة على مصادره التي استقى منها معلوماته، لذلك عد مصدراً مهماً لتاريخ الطولونيين والأخشيديين، إذ يقدم تفاصيل عن المدة عن طريق سرده

التاريخي العام، مع التأكيد على أهمية النقد التاريخي الذي استخدمه في تمحيص الأخبار وتوثيقها.

اما كتاب ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) تكمن أهمية الكتاب فيما يخص تاريخ الطولونيين والأخشيديين في أنه يقدم تحليلاً منهجياً وشاملاً لهذه الدول، وليس مجرد سرد للأحداث، ويرجع ذلك إلى منهج ابن خلدون في دراسة التاريخ كعلم، إذ ركز على أسباب قيام الدول وسقوطها في ضوء مفاهيم مثل "العصبية" و"ال عمران"، لذلك، فإن كتابه يعد مصدراً أساسياً لفهم التحولات السياسية والاجتماعية التي مرت بها تلك الدول، وكيف ساهمت العوامل الداخلية والخارجية في تشكيل مصيرها، وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م)، كتاب يضم تاريخ مصر من سنة (٢٠ - ٨٧٢هـ)، وهو مرتب على السنين لا على حروف المعجم، وقد ذكر فيه من ولى مصر من الملوك وال سلاطين والنواب مفصلاً، تكمن أهمية هذا الكتاب من انه بعد مصدراً شاملاً ودقيقاً لأخبار مصر، خاصة اثناء حكم الطولونيين والأخشيديين. يقدم الكتاب تفاصيل غنية عن الأحداث السياسية، والعمرانية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي تساعد في فهم تلك الحقبة بشكل معمق وغير مقتصر على الروايات السطحية، فهو يوثق تاريخ مصر السياسي من الفتح الإسلامي حتى عصره، مع التركيز على الدور الذي لعبته الأسر الحاكمة مثل الطولونيين والأخشيديين، وهناك وكتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، هذا الكتاب من أهم مصنفات التاريخ العربي الإسلامي المختصرة، وقد استطاع مصنفه أن يؤرخ فيه أحداث القرون الهجرية العشرة الأولى، كالحروب، والغزوات، والمعارك، والولادات، والوفيات، وسير الأعلام، وغير ذلك من الأحداث التي شهدها تاريخنا العربي الإسلامي.

ثانيا: مؤلفات التراجم والطبقات:

أفادت الدراسة كثيرا، إذ رددتنا بمعلومات قيمة ومهمة عن تراجم الشخصيات التي ورد ذكرهم في الرسالة، فضلاً عن المادة التاريخية التي حوتها هذه الكتب، ويأتي في طليعتها كتاب سيرة أحمد بن طولون للبلاوي، (ت ق ٤ هـ) لم تُعرَف السنة التي وُضع فيها البلاوي كتابه في آل طولون، وكانت طريقة البلاوي في تاريخه إيراد الحوادث، ويروي الأخبار بأسانيدھا على النحو الذي كان يعمد إليه الرواة وأرباب السّير في القرون الأولى، اقتبس البلاوي نحو خمسين قصةً من قصص ابن طولون عن ابن الداية، ذكرها هذا في كتابيّه؛ سيرة ابن طولون والمكافأة، وزاد من عنده نحو أربعين قصةً أخرى، وضم المؤلف إلى كتابه رسائل ووثائق عديدة لا أثر لها عند ابن الداية، وقد وردت في كتاب البلاوي تفاصيل نشأة ابن طولون، وأخبار حروبه في الثغور، وأخبار

ابنه العباس وغلّامه لؤلؤ، وأخبار مرضه وخلعه الموفق، اما كتاب الولاة والقضاة للكندي (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م)، فقدم معلومات مفصلة ودقيقة عن الدولتين، فيما يخص الدولة الطولونية، فقد عالج تاريخها بذكر الولاة، فبدأ بمؤسسها أحمد بن طولون، واستطاع أن يظهر تاريخ الدولة بأكملها، فبدأ بمعالجة الأمور السياسية ولم يترك الأمور الحضارية، كما عالج كذلك الأمور الاجتماعية التي كانت تحدث في المجتمع المصري في ذلك الوقت، فبدأ بذكر الوالي، مع ذكر السنة التي تولى فيها، واليوم والتاريخ الهجري، واستخدم المنهج نفسه في تاريخ الأخشيدين فقد ذكر بعض الأحداث والنزاعات السياسية لأمرء الدولة الإخشيدية فضلاً عن الأمور الإدارية والإجتماعية، أما كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) كتاب تراجم تضمن الخلفاء والأمرء والعلماء، والمؤرخين، والشعراء، وقد ترجم فيه للأعلام منذ بزوغ فجر الإسلام إلى سنة ٧٣٩هـ، وكتاب (الوافي بالوفيات) للصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) من الكتب المؤلفة في تراجم الرجال، وهو كتاب كبير في التاريخ واللغة والأدب، وضعه الصفدي في ثلاثين مجلد.

ثالثاً: مؤلفات اللغة والأدب:

رفدت كتب اللغة موضوع الدراسة في بيان معاني الكلمات والمصطلحات، وتوضيح ما غمض منها وصعب فهمها ولاسيما الغريب منها كتاب معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (ت ٣٩٥هـ / ٩٤١م)، وكتاب لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، وكتاب تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)، ومن الكتب الأدبية الموسوعية التي تضم ألواناً متعددة من العلوم والموضوعات من الأدب، وأخبار من التاريخ التي كان لها أهمية كبيرة التي أغنت فصول البحث بالعديد من الإشارات عن الحياة السياسية والمواضيع الاجتماعية المختلفة ويأتي في مقدمتها كتاب (نهاية الإرب في فنون الأدب للنويري ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م) وكتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، وجاءت فائدتها باستخدام ما استقنياه من معلوماتها في كتابة جميع فصول الرسالة.

رابعاً: مؤلفات الجغرافيا والرحلات:

اما بالنسبة للمصادر الجغرافية فقد قدمت لنا معلومات قيمة من الناحية الجغرافية الموضوع الدراسة عن طريق التعريف بالكثير من مواقع المدن ومواقعها وما يتعلق بها وكان في مقدمة هذه الكتب كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط (المقرئية)، للمقرئزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م)، يُعدّ من أبرز وأهم الكتب التي توثق تاريخ مصر الإسلامية وجغرافيتها العمرانية، يقدم الكتاب سرداً شاملاً لتأسيس مدينة القاهرة وتطورها منذ الفتح الإسلامي وحتى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، مع وصف تفصيلي للمباني

التاريخية، مثل الجوامع والقصور والأسواق والمدارس، يتميز الكتاب بتوثيقه للمعالم التي اندثرت بمرور الزمن، ما يجعله مرجعاً فريداً لدراسة الخطط العمرانية وأسماء الأحياء والشوارع القديمة، كما يشمل وصفاً دقيقاً للحياة اليومية والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية في الفسطاط والقاهرة عبر تسعة قرون، أما كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، فيعد هذا الكتاب موسوعة جغرافية نظراً لوفرة المادة التي أوردها، وقد أفدنا منه بمعلومات وفيرة في الكتاب موسوعة جغرافية نظراً لوفرة المادة التي أوردها، وقد أفدنا منه بمعلومات وفيرة في جميع فصول البحث، وكتاب مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لابن عبد الحق، (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)، وغيرها من الكتب المهمة التي أفدنا منها في جميع فصول البحث.

خامساً: المراجع الحديثة:

رفدت موضوع الدراسة العديد من المراجع الحديثة، فهي الدليل للرجوع للمصادر الأولية، فكانت ذات فائدة في توضيح العديد من القضايا التي وردت في هذا البحث، ولعل من أهمها، كتاب مصر في عصر الإخشيديين، لمؤلفه سيدة إسماعيل كاشف، وكتاب حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني، وكتاب تاريخ وآثار مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي لأحمد عبد الرزاق، وكتاب العلاقات بين مصر وبلاد الشام في العهدين الطولوني والإخشيدي لمحمد أحمد زيود، فضلاً عن العديد من المراجع الأخرى التي أغنت الرسالة بمعلومات ذات أهمية كبيرة في مجال ما أبدته من آراء ووجهات نظر يمكن للباحث الاقتداء بها.

سادساً: الدراسات السابقة:

تُعَدُّ الأطروحة الموسومة بـ (التخليد عند الخلفاء العباسيين) من الدراسات التي تلتقي مع موضوع هذه الرسالة في تناولها لمفهوم التخليد بوصفه ظاهرة تاريخية ارتبطت بالحكم والسلطة، إذ تناولت مظاهر التخليد لدى الخلفاء العباسيين من خلال جملة من المنجزات السياسية والإدارية والعمرانية والفكرية، وعدّتها وسائل اعتمدها الخلفاء لتخليد أسمائهم وترسيخ سلطانهم في الذاكرة التاريخية، كما تلتقي هذه الأطروحة مع رسالة البحث في اعتمادهما المنهج التاريخي التحليلي، وفي تناول بعض مظاهر التخليد، ولا سيما العمارة، والتنظيمات الإدارية، وسكّ النقود، بوصفها شواهد مادية ومعنوية عكست رغبة الحكّام في تحقيق الخلود الرمزي.

إلا أنّ هذه الأطروحة تختلف عن رسالة البحث من حيث الإطار الزمني والمكاني وزاوية المعالجة، إذ انصرفت إلى دراسة التخليد في نطاق مركز الخلافة العباسية من دون تخصيص لدولة أو إقليم بعينه، في حين تتجه هذه الرسالة إلى دراسة مظاهر التخليد في مصر وبلاد الشام

إبان عصر الدولتين الطولونية والإخشيدية، وهما دولتان إقليميتان اتسمتا بخصوصية سياسية وإدارية وعمرانية مغايرة لسياق الخلافة في بغداد.

كما ركزت الأطروحة السابقة على التخليد بوصفه سياسة سلطوية مرتبطة بالخليفة ومؤسسات الحكم المركزية، بينما تسعى هذه الرسالة إلى إبراز التخليد بوصفه ممارسة حضارية إقليمية، تجلت في العمارة والمنشآت، والمؤسسات، والرموز السياسية، ضمن سياق السعي إلى تثبيت النفوذ وإبراز الاستقلال الفعلي مع الحفاظ على الشرعية الاسمية للخلافة العباسية.

وتتمثل الإضافة العلمية لهذه الرسالة في انتقالها بدراسة التخليد من الإطار العام للخلافة إلى الإطار الإقليمي، وإبراز خصوصية مظاهر التخليد في مصر وبلاد الشام، وربطها بالظروف السياسية والدينية والاقتصادية التي رافقت قيام الدولتين الطولونية والإخشيدية، فضلاً عن الجمع بين التحليل التاريخي والدراسة الحضارية للمظاهر المادية الباقية، وهو ما يسهم في سدّ فجوة بحثية في هذا المجال، فجاءت هذه الرسالة لتكون كما نعتقد أول دراسة تاريخية أكاديمية عراقية وربما عربية في هذا المجال .

هذا هو جهدنا، وقد بذلنا جهداً في إيصال هذه الدراسة بهذه الصورة، وكل ما أرجوه أن يكون عملنا علماً ينتفع منه والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وقبل أن أختم هذا العرض الذي أوجزت به موضوع الدراسة ، لا بدّ من توضيح أمر مهم ، وهو أنني قد بذلت غاية جهدي في أعداد هذه الدراسة بهدف الوصول الى روح الموضوع ومعالجة الجوانب الرئيسية فيه على وفق منهج تاريخي علمي ، فإن كانت هناك ثغرات في ثنايا الدراسة ، فذلك تقصير مني ، وعذري في ذلك إبراز الموضوع والحفاظ على وحدته ، فإن أخطأت الهدف فهو خطأ المجتهد ، الباحث عن الحقيقة ، وإن أصبت فيما ذهبت إليه من تفسيرات ومواقف فلي النعمتان ، متمثلاً بقول الشاعر :

وقل لمن يدعي في العلم فلسفة قد حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

الفصل الاول

مفهوم التخليد ودلالاته

في الحضارة الاسلامية

١- التخليد لغةً واصطلاحاً

- التخليد في المعاجم اللغوية

- التخليد في المعاجم الاصطلاحية

٢- التخليد في مصادر التشريع الاسلامي

- في القرآن الكريم

- في السنة النبوية

- في الفقه

٣- المفردات الدالة على التخليد

٤- مظاهر التخليد

- تخليد مادي

- تخليد معنوي

٥- السياق العام لقيام الدولة الطولونية واثره في بروز مظاهر

التخليد

٦- السياق العام لقيام الدولة الاخشيدية واثره في ظاهرة

التخليد

الفصل الأول

مفهوم التخليد ودلالاته في الحضارة الإسلامية

بعد أن عالجت مقدمة الرسالة الإطار العام للبحث، من جانب موضوعه وأهميته وأهدافه وحدوده والمنهج المتبع فيه، يأتي هذا الفصل ليؤسس الجانب النظري الذي تُبنى عليه الدراسة في فصولها اللاحقة. إذ يُعدّ التخليد من الظواهر التي ارتبطت بالإنسان منذ أقدم العصور، واتخذ في الحضارة الإسلامية أبعادًا متعددة تجاوزت البعد الرمزي، ليغدو وسيلة ذات دلالات فكرية وسياسية واقتصادية واضحة.

وينطلق هذا الفصل من محاولة تأصيل مفهوم التخليد لغةً واصطلاحًا، وبيان حضوره في المصادر الإسلامية، مع الوقوف عند دلالاته المختلفة في سياق الدولة والمجتمع. كما يسعى إلى إبراز العلاقة الوثيقة بين التخليد والسلطة، ولاسيما في الفترات التي شهدت تحولات سياسية أفرزت كيانات حكم إقليمية سعت إلى تأكيد وجودها وترسيخ شرعيتها.

وانطلاقًا من هذه الرؤية، يتناول الفصل السياقات التاريخية والسياسية والاقتصادية العامة التي مهّدت لظهور ظاهرة التخليد في مصر وبلاد الشام، وبخاصة في مرحلتي الدولة الطولونية والدولة الإخشيدية، بوصفهما نموذجين بارزين لحكم برز في ظل ضعف السلطة المركزية. ويُعدّ هذا الطرح مدخلًا ضروريًا لفهم مظاهر التخليد التي ستُدرس تطبيقياً في الفصول اللاحقة، إذ لا يمكن الوقوف على أبعاد تلك المظاهر من دون الإحاطة بالإطار النظري الذي نشأت فيه.

١ - التخليد لغةً واصطلاحاً

- مفهوم الخلود في المعاجم اللغوية:

الْخُلْدُ هو البال والنفس، فقولك: لم يدر في خَلْدِي أنك ستخدعني، يعني لم يخطر ببالي اوفي نفسي او في قلبي فهو اسم وجمعه أخلاد^(١)، خلد: الخلد: دوام البقاء:..خلد يخلد خلدا وخلودا: بقي وأقام. ودار الخلد: الآخرة لبقاء أهلها فيها، والخلد: اسم من اسماء الجنة، وخذ بالمكان يخذ خلودا^(٢)،

- قَالَ تَعَالَى (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ)^(٣) ، أي يعمل عمل من لا يظن مع يساره أنه يموت.

(١) الجوهري، مختار الصحاح، ص ١٠٣

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣/ ص ١٦٤.

(٣) سورة الهمزة اية/٣

- رجل مخلد: إذا أسن ولم يشب أبطاً عنه الشيب كأنما خلق ليخلد ويقال للرجل إذا بقي سواد رأسه ولحيته على الكبر إنه لمخلد، ويقال للرجل إذا لم تسقط أسنانه من الهرم إنه لمخلد،^(١)
- اخلد إلى الأرض أو اخلد بالمكان: إذا أقام به^(٢).
- وبعبارة أخرى فالخلود هو تبرئ الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكلما تباطأ عنه التغير والفساد تصفه العرب بالخلود كقولهم للأثافي خوالد، وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها^(٣)، والخلد اسم للجزء الذي يبقى من الانسان على حالته ، فلا يستحيل مادام الانسان حياً استحالة سائر أعضائه، وأصل المخلد الذي يبقى مدة طويلة، والخلود في الجنة بقاء الأشياء على الحالة التي عليها من غير اعتراض الفساد^(٤)، ومنه جنة الخلد، ويقال، أخلد إلى الأرض إذا لصق بها^(٥)، قال تعالى (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ)^(٦) ، فأما قوله تعالى (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ)^(٧)، فهو من الخلد وهو البقاء أي لا يموتون.

- مفهوم الخلود في المعاجم الاصطلاحية:

- يلاحظ في المعاجم العربية انها تشترك بالتركيز على جانب محدد من مفهوم الخلود و هو خلود النفس، و قد يطرح البعض منها تعريفاً مبدئياً عاماً و مجرداً للخلود ثم ينتقل مباشرة الى مفهوم خلود النفس بشكل اكثر تفصيلاً، وكما يأتي:-
- الخلود:** يقصد به خُلُود النَّفْس يعني بقاءها أي عدم فنائها^(٨)، قال الرازي : الخلود للزوم الطويل ، ومنه يقال أخلد إلى كذا أي لزمه وركن إليه^(٩)، ويأتي هنا الخلود هو المكث طويلاً^(١٠).

(١) مصطفى، المعجم الوسيط، ج١/ص٢٤٩ .

(٢) مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٨/ص ٦٣

(٣) الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص١٤٥

(٤) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٩١-٢٩٢

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢/ص١٦٧

(٦) سورة الاعراف /الاية ١٩٦

(٧) سورة الانسان/الاية ١٩

(٨) اللجمي واخرون، المعجم المحيط، ص: ٢٧٢١

(٩) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج٤/ص١٤٣

(١٠) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج٤/ص ٢٥٥١

بقاء الشيء مدة طويلة على حال واحدة لا يطرأ عليه فيها تغيير ولا فناء^(١)، والبعض فرق بين خلود النفس والحياة الثانية، فخلود النفس حياة مستقلة عن الزمان ليس لها قبل ولا بعد، أما الحياة الثانية فهي ذات ديمومة تبتدئ عند انفصال النفس عن البدن، وهنا فان معنى الخلود المستقل عن الزمان لا يختلف عن معنى الأبدية، لذا الأفضل عدم الفصل بين معنى الخلود عن معنى الزمان، وذلك للتمييز بين مصطلح الخلود والأبدية لكون المصطلح الثاني مستقل عن الزمان وكما سيرد تعريفه لاحقاً.

في حين نجد تعاريف أخرى تطرح المدلول العام الاصطلاحي للخلود: هو نوع من الوجود المستمر الذي لا يتأثر بمرور الزمن، وقد يختلف هذا المفهوم بين الجماعات والشعوب هل هو وجود (مادي) متمثل بخلود الأفراد بحالتهم الطبيعية او انه خلود النفس الإنسانية او النوع الإنساني كما لدى بعض ذوي النزعة الإنسانية، فالإنسان دائماً يحاول ان يخلد في هذه الدنيا لزمّن طويل لينعم بخيراتها وثرواتها غير أن شبح الموت يقف حاجزاً أمامه يراوده باستمرار، والنفس بطبيعة الحال، خالدة، والموت، مثل الولادة، هو مجرد تغيير في الشكل في مجموعة من المناداة، وتبقى النفس والطاقة المتأصلتان، وفيما عدا الله تكون النفس دائماً ملازمة للجسم، والجسم ملازم للنفس، ولكن سيكون هناك بعث للجسم، كما سيكون هناك بعث للنفس وفيما دون الإنسان يكون خلود النفس غير شخصي (مجرد إعادة توزيع للطاقة)، والنفس العقلانية في الإنسان وحدها هي التي تتمتع بخلود واع.^(٢)

٢- التخليد في مصادر التشريع الإسلامي:

- القرآن الكريم:

وردت كلمة الخلود في القرآن الكريم بألفاظ متعددة وهي، (خَالِدُونَ، خَالِدِينَ، خَالِدًا، الْخَالِدِينَ، أَخْلَدَ، الْخُلْدِ، الْخَالِدُونَ، وَيَخْلُدُ، تَخْلُدُونَ، خَالِدًا، الْخُلُودِ، مُخْلَدُونَ، أَخْلَدَهُ)، والتي جاءت بالآيات القرآنية الآتية:

(١) المراغي، تفسير المراغي، ج٦/ص ٢٦

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة، ج٤/ص ١٨٠

- وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا، قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ، وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ، وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(١).
- وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٢)
- بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٣)
- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٤)
- وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٥)
- اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٦)
- وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٧)
- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٨)
- تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُبْسَ مَا قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ^(٩)
- وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(١٠)
- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(١١)
- مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ^(١)

(١) سورة البقرة/اية ٢٥

(٢) سورة البقرة/اية ٣٩

(٣) سورة البقرة/اية ٨١

(٤) سورة البقرة/اية ٨٢

(٥) سورة البقرة/اية ٢١٧

(٦) سورة البقرة/اية ٢٥٧

(٧) سورة ال عمران/اية ١٠٧

(٨) سورة ال عمران/اية ١١٦

(٩) سورة المائدة/اية ٨٠

(١٠) سورة الاعراف/اية ٣٦

(١١) سورة الاعراف/اية ٤٢

- الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(١)
- وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٢)
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٣)
- وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٤)
- لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلَهِةَ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ^(٥)
- لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ^(٦)
- الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٧)
- وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ^(٨)
- يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٩)
- إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ^(١٠)
- لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(١١)
- خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ^(١٢)

(١) سورة التوبة/اية ١٧

(٢) سورة يونس/اية ٢٦

(٣) سورة يونس/اية ٢٧

(٤) سورة هود/اية ٢٣

(٥) سورة الرعد/اية ٥

(٦) سورة الانبياء/اية ٩٩

(٧) سورة الانبياء/اية ١٠٢

(٨) سورة المؤمنون/اية ١١

(٩) سورة المؤمنون/اية ١٠٣

(١٠) سورة الزخرف/اية ٧١

(١١) سورة الزخرف/اية ٧٤

(١٢) سورة المجادلة/اية ١٧

(١٣) سورة البقرة/اية ١٦٢

- قُلْ أُوتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ^(١)
- أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ^(٢)
- لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْآبِرَارِ^(٣)
- تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(٤)
- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا^(٥)
- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا^(٦)
- إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا^(٧)
- فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ^(٨)
- قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(٩)
- وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ^(١٠)
- خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ^(١١)

(١) سورة ال عمران/ اية ١٥

(٢) سورة ال عمران/ اية ١٣٦

(٣) سورة ال عمران/ اية ١٩٨

(٤) سورة النساء/ اية ١٣

(٥) سورة النساء/ اية ٥٧

(٦) سورة النساء/ اية ١٢٢

(٧) سورة النساء/ اية ١٦٩

(٨) سورة النساء/ اية ٨٥

(٩) سورة المائدة/ اية ١١٩

(١٠) سورة الانعام/ اية ١٢٨

- وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ^(٢)
- وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(٣)
- أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(٤)
- وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(٥)
- خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ^(٦)
- وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ^(٧)
- وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ^(٨)
- فَأَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ^(٩)
- خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا^(١٠)
- جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى^(١١)
- خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا^(١٢)
- وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ^(١٣)

(١) سورة التوبة/اية ٢٢

(٢) سورة التوبة/اية ٦٨

(٣) سورة التوبة/اية ٧٢

(٤) سورة التوبة/اية ٨٩

(٥) سورة التوبة/اية ١٠٠

(٦) سورة هود/اية ١٠٧

(٧) سورة هود/اية ١٠٨

(٨) سورة ابراهيم/اية ٢٣

(٩) سورة النحل/اية ٢٩

(١٠) سورة الكهف/اية ١٠٨

(١١) سورة طه/اية ٧٦

(١٢) سورة طه/اية ١٠١

(١٣) سورة الانبياء/اية ٨

- وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ^(١)
- أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ^(٢)
- فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ^(٣)
- وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ^(٤)
- وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ^(٥)
- يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ الهمة
- ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ^(٦)
- فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ^(٧)
- وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ^(٨)
- قُلْ أَدُلُّكَ خَيْرَ أَمْ جَنَّةِ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ^(٩)
- فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ^(١٠)
- ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ^(١١)
- وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ^(١٢)
- يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ^(١٣)

(١) سورة النساء/اية ١٤

(٢) سورة التوبة/اية ٦٣

(٦) سورة الاعراف/اية ٢٠

(٤) سورة الاعراف/اية ١٧٦

(٥) سورة الشعراء/اية ١٢٩

(٦) سورة يونس/اية ٥٢

(٧) سورة طه/اية ١٢٠

(٨) سورة الانبياء/اية ٣٤

(٩) سورة الفرقان/اية ١٥

(١٠) سورة السجدة/اية ١٤

(١١) سورة فصلت/اية ٢٨

(١٢) سورة النساء/اية ٩٣

(١٣) سورة الفرقان/اية ٦٩

- وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا^(١)
- ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ^(٢)
- يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ^(٣)
- وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا^(٤).

يتبين من نصوص هذه الايات ان القران الكريم ميز بين خلودين , الاول وهو خلود اهل الجنة والذي يتسم بالابدية وهو جزاء العمل الصالح, قال تعالى, { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } , وإن هذه الجنات تجر من تحتها الأنهار وفيها للإنسان المؤمن ما وعده الله به: { خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ } إنه الخلود الذي لا يفنى، ولا يتركه الإنسان ولا يترك هو الإنسان^(٥).

اما الخلود الاخر فهو خلود اهل النار بسبب مخالفتهم تعاليم الله سبحانه وهو خلود اتصف ايضا بالابدية والديمومة وقد ورد ذكر الخلود لأهل النار في القرآن الكريم في ستة وثلاثين اية ، منها قوله تعالى { وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا }^(٦) , ويتكلم الله سبحانه عن النار عذابا وعن الزمان خلودا ثم يُصَدِّد الخلود بالابدية، فنحن نعرف بذلك أن هناك عذاباً في النار، وخلوداً فيها، وأبدية. ولأن رحمة الله سبقت غضبه في التقنين العذابي، لم يذكر الخلود في النار أبداً إلا في سورة الجن^(٧)، قال: { وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا } , ويبقى السؤال المهم هو، هل الخلود هو المكث طويلاً أو على طريقة التأبید؟ بمعنى أن زمن الخلود لا ينتهي؟ ولو أن زمن الخلود لا ينتهي لما وصف الحق المكث في النار مرة بقوله: { خَالِدِينَ فِيهَا }^(٨) , ومرة أخرى بقوله: { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا }^(٩) , أن الخلود هو المكث طويلاً، وأن الخلود أبداً هو المكث طويلاً طويلاً لا ينتهي، وعلى ذلك يكون لنا فهم. فكل لفظ من القرآن محكم وله معنى. ثم إن كلمة «خالدين» حين وردت في القرآن فإننا نجد الحق سبحانه وتعالى يقول في خلود النار: { يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ

(١) سورة محمد/اية ١٥

(٢) سورة ق/اية ٣٤

(٣) سورة الواقعة/اية ١٧

(٤) سورة الانسان/اية ١٩

(٥) الشعراوي, تفسير الشعراوي, ج ٣/ص ١٣٢٣

(٦) سورة الجن/ اية ٢٣

(٧) الشعراوي, تفسير الشعراوي, ج ٢/ص ٦٧٩

(٨) سورة آل عمران/ اية ٨٨

(٩) سورة النساء/ اية ١٦٩

وَسِعِدُ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ^(١).

ولم يكتف القرآن الكريم بذكر الخلود الابدي سوى بالجنة او النار بل تتطرق الى الخلود الدنيوي بذكر قصص الشعوب ورسالات الانبياء , واتسمت نظرة القرآن الكريم الى التاريخ الانساني الذي هو عبارة عن مجموعة احداث تاريخية وجودية يعبر عنها بالتخليد التاريخي الذي شمل الزمان والانسان, وهما محور الوجود الذي صنعه الخالق, وقد بين الله سبحانه وتعالى انه هو خالق الزمان والانسان, وهما محمور التاريخ والذي يحدد نهايته هو الله سبحانه , وهو ابدى أزلي موجود في كل مكان, كما في قوله تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}^(٢), وقوله تعالى {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} .

ومن قوانين التخليد في القرآن الكريم ذكر الأمم السابقة وحضاراتها, ومبيناً اسباب استقرارها وزوال بعضها ومؤكدا ان استقرار الأمم وخلودها مرتبطاً بالمنهج الاخلاقي الذي اقره الله سبحانه والذي يضمن حقوق الأفراد كافة وتمنع عنهم الظلم , وبين الله سبحانه ان الفناء والزوال هو المصير الحتمي للأمم التي جعلت قوتها المادية اساساً في بنائها وبعيدا عن البناء الروحي مثال ذلك الإمبراطورية الفارسية القديمة والإمبراطورية الرومانية, يقابله خلود الاسلام الذي اشار إليه القرآن الكريم, فالاسلام بعظمته وسمو مبادئه وجلال غاياته سوف يظل باقياً ابداً الدهر مؤثراً في تطور الحياة مناهضاً للإلحاد والملحدين محارباً للمشركين, لان القرآن نزل ليكون الفاصل بين الحق والباطل^(٣), فالتخليد التاريخي للاسلام في القرآن الكريم هو انعكاس لمبادئ العقيدة الدينية الاسلامية الغير قابلة للزوال, رغم وقوف الإمبراطورية البيزنطية والفارسية وسواهم ضد الدين الاسلامي ومحاولات تشويه الكتاب والمفكرين الأوربيين مبادئ الإسلام وشخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم , لكن الشريعة الاسلامية الصالحة لكل زمان ومكان, قال تعالى {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}^(٤)

وخلد القرآن الكريم سبب انهيار الحضارة وزوالها وهو الترف المادي, قال تعالى: { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا }^(٥), الترف سببا في ارتكاب المعاصي والمجاهرة بها وارتكاب المنكرات, وقد اشار ابن خلدون ان الحضارة الانسانية

(١) سورة هود/ اية ١٠٥ - ١٠٧

(٢) سورة الزمر / الآية ٦٢.

(٣) القمي، تفسير القمي، ج ٢/ص ٤١٦

(٤) سورة فصلت/ اية ٥٣

(٥) سورة الاسراء/ اية ١٦

قائمة على أربعة أطوار هي طور البداوة وطور التحضر وطور الترف الذي يؤدي الى السقوط والزوال^(١).

- في السنة النبوية:

فيما يخص التخليد الديني في الحديث النبوي الشريف جاء في ثلاثة اعمال، قال عليه الصلاة والسلام " اذا مات الإنسان انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية، او علم ينتفع به ،او ولد صالح يدعو له"^(٢)، وقضى عليه الصلاة والسلام ان الخلود في الجنة ابدى يقابله الخلود في النار ابدى للذين اشركوا وجعلوا لله انداداً، قال عليه الصلاة والسلام " إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة خلود، ولا موت فيه ويا أهل النار خلود لا موت فيه " ^(٣)، ووصف عليه افضل الصلاة واتم التسليم الجن ونعيمها " من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه"^(٤)، وقوله عليه الصلاة والسلام " ينادي مناد يا أهل الجنة، إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن تحبوا فلا تموتوا أبداً"^(٥)

- في الفقه.

بموجب التشريع الاسلامي فان الموحدين المسلمين خالدون في الجنة استنادا الى الوعد الرباني لعباده الصالحين، وان هناك خلودا ابديا في النار للذين جعلوا لله اندادا، اي الذين كفروا بوحداية الله سبحانه وتعالى، علماء المذهب الحنفي فسروا قوله تعالى، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٦)، قالوا ان المراد بالخلود هنا المكث الطويل وليست الإقامة الأبدية، وقيل إن هذه النصوص خرجت مخرج الزجر والتغليظ ولا يراد حقيقة التخليد، وقيل: إن هذا جزاؤه وهو يستحق هذا الوعيد، ولكن الله تكرم على عباده الموحدين ومن عليهم بعدم الخلود في النار^(٧).

اما المالكية فقد جعلوا الخلود في الجنة والنار مرتبطا بالإيمان والعمل ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٦

(٢) مسلم ، صحيح مسلم، ج ٤/ص ٢٠٦٥

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ج ٨/ص ١١٣؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ١٦/ص ٤٦٨

(٤) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٢٦

(٥) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٢٧

(٦) سورة النساء / اية ٩٣

(٧) اللهمييد، شرح منهج السالكين، ج ٥، ص ١٦٥

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، تحقيق القاعدة الأصولية أن المطلق يحمل على المقيد فتحمل الآية الأولى على الثانية فلا يحصل الحبوط بمجرد الردة حتى يتصل بها الموت والجواب لمالك رحمه الله أن الآية رتب فيها أمران وهما حبوط العمل والخلود في النار على أمرين وهما الردة والوفاة عليها فجاز أن يكون الأول للأول والثاني للثاني فلم يتعين صرف الآية الأولى للثانية لعدم التعارض ولا يكونان من باب المطلق والمقيد كما لو قيل فمن جاهد منكم فيمت فله الغنيمة والشهادة^(١)، وفي ميزان الأعمال قال الله تعالى: {فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} ^(٢)، وقال تعالى {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} ^(٣)، فلا خلود إلا لكافر ولا تظهر الخفة إلا مع الوزن^(٤).

أما الشافعية فإن الخلود في النار لا يكون إلا عن كبيرة من الكبائر تقرب من الكفر حتى كأنها الكفر بذاته^(٥)، فالسعادة المموت على الإيمان وَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا الْخُلُودُ فِي الْجَنَّةِ وَالشَّقَاوَةُ الْمَوْتِ عَلَى الْكُفْرِ وَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا الْخُلُودُ فِي النَّارِ ^(٦)، قال تعالى {وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا} ^(٧) وَقَالَ تَعَالَى {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا} ^(٨)

أما الحنابلة فسروا قوله تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}، إذا كانوا خالدين فيها أبداً لزم أن تكون هي مؤبدة، لأن قوله: {فِيهَا} أي: هم كائنون فيها، وإذا كان الإنسان خالداً مؤبداً تخليده لزم أن يكون مكان الخلود مؤبداً، لأنه لو فني مكان الخلود ما صحَّ تأبيد الخلود^(٩)، وذكر الله تعالى أعمال البر التي أوجب لأهلها الخلود في الفردوس، فافتتح تلك الأعمال بالصلاة، وختمها بالصلاة، وجعل تلك الأعمال التي جعل لأهلها الخلود في الفردوس بين ذكر الصلاة مرتين، قال الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} فبدأ من صفتهم بالصلاة عند مديحه إياهم، ثم وصفهم بالأعمال الطاهرة الزاكية المرضية، إلى قوله عَزَّ وَجَلَّ: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ

(١) القرافي، الذخيرة، ج ١/ ص ٢١٧.

(٢) سورة آل عمران/ آية ١٨٥

(٣) سورة المؤمنون/ آية ١٠٣

(٤) زروق، شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، ج ١/ ص ٧٥

(٥) القزويني، العزيز شرح الوجيز، ج ٤/ ص ٦٦

(٦) الرملي، غاية البيان شرح زبد ابن رسلان، ص ١٧

(٧) سورة هود/ آية ١٠٨

(٨) سورة هود/ آية ١٠٥ - ١٠٧

(٩) ابن العثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، ج ٣/ ص ١٧٠

يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفُرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ { فأوجب الله عزَّ وجلَّ لأهل هذه الأعمال الشريفة الزاكية المرضية الخلود في الفردوس^(١)

اما علماء الشيعة الإمامية يعتقدون بالخلود الأخروي في تفسيرهم لقوله تعالى: {جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} ، وانه ليس ثمة مدة لانتهاء امد اهل الجنة بخلودهم فيها^(٢) (٤).

٣-المفردات الدالة على التخليد

الباقى: من أسماء الله الحسنى، ويعبر عنه بأنه ابدى الوجود، البقاء ضد الفناء^(٣) ، وفي القرآن الكريم حافظ اصل الكلمة، (بقي) على معنى الدوام والاستمرار والخلود، فقارب بذلك مفهوم الأبدية ولكن ليس في مقابل الأزلية، قال تعالى، {والآخرة خير وابقى}^(٤)، {ما عندكم ينفذ وما عند الله باق}^(٥).

- الأبدى - الأبدية: النسبة إلى الأبد، أي ما لا نهاية له^(٦)، وَجَمْعُهُ أَبَادٌ^(٧)، والعرب تقول: أَبَدَّ أَبَدَّ^(٨)، ويعرف أيضا الأبدى^(٩)، والأبد أيضا الدائم والتأبيد التخليد^(١٠)
- التأبيد: التخليد: وَأَبَدَ بِالْمَكَانِ يَأْبُدُ، بِالْكَسْرِ^(١١)، وعبر عنه الراغب بأنه مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان، وتأبد الشيء أبدا ويعبر به عما يبقى مدة طويلة^(١٢).

(١) الجامع لعلوم الإمام أحمد (٢٤١) (٥ / ٤٩٢)

(٢) الشيخ المفيد، تصحيح الاعتقاد، ص ٩٥.

(٣) مرتضى، الزبيدي، تاج العروس، ج ١٣ / ص ١٢٣

(٤) سورة الأعلى / آية ١٧

(٥) سورة النحل / آية ٩٦

(٦) اللجمي واخرون ، المعجم المحيط،/ ص ٢٩٤

(٧) الجرجاني، التعريفات،/ ص ٧

(٨) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١ / ص ٣٤

(٩) الجرجاني، التعريفات،/ ص ٧

(١٠) ابن المقفع، المطلع على أبواب المقنع/ ص ١٦٣

(١١) ابن منظور ، لسان العرب، ج ٣ / ص ٦٨

(١٢) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف/ ص ٣٦

- الأزل: الضيق والشدة. والأزل، الحبس. وأزله يأزله أزلا، حبسه، والأزل شدة الزمان، يقال، هم في أزل من العيش وأزل من السنة. وآزلت السنة: اشتدت^(١).
- السَّرمَدُ: الدائم الذي لا ينقطع^(٢)، بمعنى دوام الزمان من ليلٍ ونهار^(٣)، قال تعالى، {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} ^(٤)، ما لا أول له ولا آخر^(٥)، فهو خارج عن مقولة الزمان وموجود بلا بدءٍ ولا نهاية^(٦).
- الدَّيْمُومَةُ -الدوام و الثبات والاستمرار^(٧)، والفرق بين الخلود والدوام، أن الخلود يقتضي طول المكث في قولك فلان في الحبس، ولا يقتضي ذلك دوامه فيه، ولذلك وصف سبحانه بالدوام دون الخلود، إلا أن خلود الكفار في النار المراد به التأييد بلا خلاف بين الامة^(٨).

٤- مظاهر التخليد التاريخي

- إن مسألة الخلود قد سعت لها كل أمة من أمم الأرض، وكان لكل من هذه الأمم طريقتهما في السعي من أجل الخلود، فمنهم من اهتم بالعمارة والبناء ليستمر تخليدهم على الأرض ومنهم من عهد إلى العلم والمعرفة في شتى ميادينها الفكرية والعلمية.
- ولما كان الفناء هو السمة النهائية للبشرية وكما أخبرنا بذلك القرآن الكريم بقوله تعالى {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} ^(٩)، فلما وجدت تلك الأمم ولا سيما الإسلامية منها أنفسهم عاجزين عن البقاء والفناء مصيرهم لذلك سعوا إلى الحصول على الخلود.
- التخليد في عهد الأمراء الطولونيين والاخشيديين تميز بمظاهره المتعددة والمتنوعة ، واتخذ تخليدهم بصورته التاريخية أشكالا متعددة لعل أبرزها:

(١) ابن منظور ، لسان العرب، ج ١١/ ص ١٣

(٢) ابن منظور ، لسان العرب، ج ٣/ ص ٢١٢

(٣) الازهري، تهذيب اللغة، ج ١٣/ ص ١٠٥

(٤) سورة القصص/ ص ٧٢

(٥) الجرجاني ، التعريفات/ ص ١١٨

(٦) اللجمي واخرون، المعجم المحيط، ص ٦٥٩

(٧) البركتي، التعريفات الفقهية، ج ١ / ص ٩٧

(٨) أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية،/ ص ٢٤٠

(٩) سورة آل عمران/ اية ١٨٥

– التخليد المعنوي:

إن سحر فكرة الخلود عبر التاريخ قد جذبت السلاطين والأمراء لأنهم ادركوا ان التاريخ فيما يخلده شؤون واحوال وان الخلود له ابواب واسعة، وهذا ما عمل عليه امراء الطولونيين والاختشيديين فقاموا بمشاركة الخلفاء العباسيين شاراتهم الخاصة والتي تعرف بشارات الخلافة وهي، (الخطبة والدعاء والسكة)، فذكروا أسماءهم الى جانب ذكر اسم الخليفة العباسي فضلاً عن الدعاء لهم من على المنابر وهي إحدى مظاهر التخليد المعنوي، فضلاً عن جوانب التخليد في حقول المعرفة العلمية الثقافية، فكثيراً ما ادرك هؤلاء الأمراء ان فكرة التخليد في هذه الجوانب مهمة واسباسية في التخليد الشخصي، واتخذت مظاهر متعددة في الشعر والتأليف وكتابة سيرهم، وهم بذلك قد ادركوا حقيقة ان الكتابة التاريخية لعل شأن في التخليد وان الكلمة التي كتبت، كتبت لتبقى وبها يكتب التاريخ ويخلدهم وقد سعوا في سبيل ذلك الى استقطاب الشعراء والمؤرخين الى قصورهم ومنحهم العطايا والهدايا مقابل تخليدهم في قصائد شعرية تنوعت مواضيعها واغراضها، فقد اتخذ الطولونيون من الشعر وسيلة لتخليدهم ومن ذلك يشير المقرئ في روايته ان قصائد الشعر التي قيلت في الميدان الذي أنشأه أحمد بن طولون قد جمعت في كتاب يتألف من ١٢ كراساً بأسماء الشعراء الذين بكوا الدولة الطولونية^(١)، ويعلق على ذلك بقوله، "فاذا كانت أسماء الشعراء في اثنتي عشرة كراسة فكيف يكون شعرهم؟ مع أنه لا يوجد من ذلك الآن ديوان واحد"^(٢)، وفي هذا ما يدل بوضوح على كثرة الشعراء بمصر حينئذ، ومما يدل على ذلك أيضاً أن نرى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ/٩٤٦م، يؤلف كتاباً في أخبار شعراء مصر غير ان الكتاب مفقود، فالشعراء تكاثروا بمصر منذ زمن الدولة الطولونية^(٣)، وقد اصبح قصر أحمد بن طولون في مدينة القطائع مركزاً ادبياً لتدوين وتخليد مآثر الطولونيين في الجوانب المختلفة، فاصبح الشعر من وسائل التخليد المعنوي فالبحتري^(٤) الشاعر صور في اشعاره انتصارات أحمد بن طولون على ووالي انطاكية سيما الطويل سنة ٢٦٥ هـ/٨٧٩م، بقوله^(١):

(١) المقرئ، الخطط، ج٢/١٤٢

(٢) الخطط، ج٢/١٤٢

(٣) ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج٧/ص ١٦٨

(٤) أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شلال بن جابر، الطائي البحتري الشاعر المشهور، ولد بمنبج، وقيل بزرذفنة وهي قرية من قراها، ونشأ وتخرج بها، ثم خرج إلى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله، وخلقاً كثيراً من الأكابر والرؤساء، وأقام ببغداد دهنراً طويلاً ثم عاد إلى الشام، وله أشعار كثيرة ذكر فيها حلب وضواحيها، وكان يتغزل بها، وقد روى عنه أشياء من شعره أبو العباس المبرد ومحمد بن خلف بن المرزبان والقاضي أبو عبد الله المحاملي ومحمد بن أحمد الحكيمي وأبو بكر الصولي

وَعِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ لَوْ كَانَ دَانِيًا
سُيُوفٌ لَهَا فِي كُلِّ دَارٍ عِدَى رَدَى
عَلَتْ فَوْقَ بَغْرَاسٍ فَضَاقَتْ بِمَا جَنَتْ
وَلَوْ حَضَرَتْهُ أَنْثِيَاهُ اسْتَقَلَّتَا
وَمَا شَكَّ قَوْمٌ أَوْقَدُوا نَارَ فِتْنَةٍ
كَأَنَّ لَمْ يَرَوْا سِيمَا الطَّوِيلِ وَجَمَعَهُ
وَلَوْ لَمْ يُحَاجِزْ لَوْلُو بِفِرَارِهِ

يُرْجَى الْفِتَاءُ السَّهْلُ وَالْكَفُّ الرَّحْبُ
وَحَيْلٌ لَهَا فِي كُلِّ دَارٍ عِدَى نَهْبُ
صُدُورُ رَجَالٍ حِينَ ضَاقَ بِهَا الدَّرْبُ
إِلَى كَلِيَّتِهِ حِينَ أَرْعَجَهُ الرُّعْبُ
وَسَاءَتْ إِلَيْهِمْ أَنَّ نَارَهُمْ تَخْبُو
وَمَا فَعَلَتْ فِيهِ وَفِي جَمْعِهِ الْخُرْبُ
لَكَانَ لَصَدْرِ الرُّمَحِ فِي لَوْلُو ثَقْبُ

إن أهم ما يميز الشعر المصري في هذه الحقبة هو قيام هؤلاء الشعراء بتخليد الحوادث التي جرت في عصر الطولونيين، وقد تنوعت مواضيع التخليد في الشعر المصري بين رثاء ومديح وبين مواضيع العمران والبناء، فعندما بنى أحمد بن طولون المستشفى اشادوا به ونظموا له القصائد بذلك فالشاعر سعيد القاضي^(٢) نظم قصيدة خلدت هذا العمل، بقوله:

وَلَا تَنْسَ مَارِسَاتَانَهُ وَاتِّسَاعَهُ
وَمَا فِيهِ مِنْ قَوَامِهِ وَكُفَاتِهِ
فَلَمَّيْتَ الْمَقْبُورِ حُسْنُ جَهَازِهِ
وَإِنْ جِئْتَ رَأْسَ الْجِسْرِ فَانْظُرْ تَأْمُلًا
تَرَى أَثَرًا لَمْ يَبْقَ مَنْ يَسْتَطِيعُهُ
مَآثِرُ لَا تَبْلَى وَإِنْ بَادَ رَبُّهَا
لَقَدْ ضَمِنَ الْقَبْرُ الْمَقْدَرُ ذَرْعُهُ
وَقَامَ أَبُو الْجَيْشِ ابْنُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ
كَذَاكَ اللَّيَالِي مَنْ أَعَارَتْهُ بِهِجَةً
وَوَرَّثَ هَارُونَ ابْنُهُ تَاجَ مَاجِدِ

وَتَوَسَّعَ الْأَرْزَاقُ لِلْحَوْلِ وَالشَّهْرِ
وَرَفَّقَهُمُ بِالْمُعْتَقِينَ ذَوِي الْفَقْرِ
وَلَلْحَيِّ رَفَقٌ فِي عِلَاجٍ وَفِي جَبْرِ
إِلَى الْحِصْنِ أَوْ فَاغْبُزْ إِلَيْهِ عَنِ الْجِسْرِ
مَنْ النَّاسِ فِي بَدْوِ الْبِلَادِ وَلَا حَضَرِ
وَمَجْدٌ يُؤَدِّي وَارِثِيهِ إِلَى الْفَخْرِ
أَجَلٌ إِذَا مَا قِيسٌ مِنْ قُبَّتِي حَجَرِ
كَمَا قَامَ لَيْثُ الْغَابِ فِي الْأَسْلِ السُّمْرِ
فَيَالِكَ مِنْ بَابِ حَدِيدٍ وَمِنْ صُفْرِ
كَذَاكَ أَبُو الْأَشْبَالِ ذُو النَّابِ وَالظُّفْرِ

وغيرهم، وللبحثري أيضاً كتاب "حماسة" على مثال "حماسة أبي تمام" وله كتاب "معاني الشعر"، وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين، وتوفي سنة أربع وثمانين وقيل خمس وثمانين وقيل ثلاث وثمانين ومائتين، والأول أصح والله أعلم، (ابن خلكان، وفیات الاعيان، ج ٦/ص ٢١)

(١) الكندي، الولاية والقضاة، ص ١٧١

(٢) سعيد القاضي: هو أحد شعراء الدولة الطولونية نظم بعض قصائده للإشادة بأفعال الطولونيين ومنشأتهم كما كان يقوم بمدح الطولونيين ويصف قوة البلاد في عصرهم وما كان تتمتع به البلاد من رخاء في عهدهم. (حسين، أدب مصر الإسلامية، ص ٢٢٢-٢٢٦)

وَقَدْ كَانَ جَيْشٌ قَبْلَهُ فِي مَحَلِّهِ وَلَكِنْ جَيْشًا كَانَ مُسْتَنْقِصَ الْعُمُرِ (١)

ولما بنى اخمد حصن الجزيرة وانشأ المراكب البحرية اشادوا به في قصائدهم (٢)، ولم تقتصر مظاهر التخليد على حياة الأمراء الطولونيين، فقد رثى الشعراء وعظموا تاريخ دولتهم بعد زوالها على يد الخلافة العباسية وهذا النوع من التخليد ظهر اول مرة في مصر وهو تخليد رثاء الدول بوصفه التاريخ السياسي والعمراني وتصوير الحياة الاجتماعية، ولسعيد القاص مرثية طويلة للدولة وآثارها احتفظ بها الكندي (٣) :

وفقد بني طولون في كل موطن
فبادوا وأضحوا بعد عز ومنعة
وكان أبو العباس أحمد ماجدا
وإشرافها في عصره ليلة القدر
يدل على فضل ابن طولون همة
فإن كنت تبغي شاهدا ذا عدالة
فبالجبل الغربي خطة يشكر له
يدل ذوي الألباب أن بناءه
بناه بآجر وساج وعرعر
بعيد مدى الأقطار سام بناؤه
فسيح رحاب يحصر الطرف دونه
وتتور فرعون الذي فوق قلعة
بنى مسجدا فيه يروق بناؤه
تخال سنا قنديلته وضياه
وعين معين الشرب عين زكية
كان وفود النيل في جنباتها
فأرك بها مستتبطا لمعينها
بناء لو أن الجن جاءت بمثله

أمر على الإسلام فقدا من القطر
أحاديث لا تخفى على كل ذي حجر
جميل المحيّا لا يبيت على وتر
كأن ليالي الدهر كانت لحسنها
محلقة بين المساكين والغفر
يخبر عنه بالجلي من الأمر
مسجد يغني عن المنطق الهذر
وبانيه لا بالضنين ولا الغمر
وبالمرمر المسنون والجص والصخر
وثيق المباني من عقود ومن جدر
رقيق نسيم طيب العرف والنشر
على جبل عال على شاهق وعر
ويهدي به في الليل إن ضلّ من يري
سهيلا إذا ما لاح في الليل للسفر
وعين أجاج للرواة وللطهر
تروح وتغدو بين مدّ إلى جزر
من الأرض من بطن عميق إلى ظهر
لقليل لقد جاءت بمستقطع نكر

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٨٦

(٢) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٨٦

(٣) الولاة والقضاة، ص ١٩١

وكذا الحال في الدولة الاخشيدية التي زارها شعراء كبار كالمتنبي والذي له قصائد طويلة في تخليد الأمراء الاخشيديين رثاءً وهجاءً وقد حملت تلك القصائد عناوين ومناسبات مختلفة قيلت فيها، وهناك التخليد الشخصي والذي يقصد به تدوين سيرتهم الشخصية والذي ظهر على شكل مؤلفات تاريخية حفظت لنا اعمالهم، فقد نشطت الكتابة التاريخية في مصر في عهد الدولتين الطولونية والاخشيدية وظهر العديد من المؤرخين الذين دونوا تاريخ وحضارة مصر في عهدهم، كابن يونس (ت ٣٤٧هـ/٩٥٨م) صاحب كتاب تاريخ ابن يونس، والذي عاصر الطولونيين والاخشيديين والمؤرخ الكندي (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م) صاحب كتاب الولاة والقضاة وله كتاب فضائل مصر ألفه لكافور الاخشيدي.

وفي عهد الدولة الإخشيدية ظهرت العديد من المؤلفات والتي تناولت سيرة امراء هم وخلدت ذكراهم، ككتاب (سيرة محمد بن طغج الأخشيد) ، ألفه ابن زولاق، (ت ٣٨٦هـ/٩٩٦م) ^(١)، وكتاب (سيرة الكافور الاخشيدى)، ألفه الفرغاني، ٣٩٨هـ/١٠٠٨م ^(٢)، لقد تطرقت هذه الدراسة الى انواع متعددة من التخليد المعنوي والتي شملت التخليد السياسي والاجتماعي والثقافي بمزيد من التفصيل.

- التخليد المادي

وقد شمل فن العمارة كبناء المدن والقصور والنقوش والكتابات المحفورة على جدرانها وهذا التخليد شاهد عيان على بقاء الحضارة الطولونية والأخشيدية في ذاكرة التاريخ وعلى مر السنين بعضها اندثر والقليل منه باق.

اهتم الأمراء الطولونيون بتخليد ذكراهم وحفظ تاريخهم بما قدموه من اسهامات في مجال العمران والبناء، فأحمد بن طولون خلد تاريخه المادي باقتران اسمه كصاحب بناء ثالث مدينة في مصر بالعصر الاسلامي بعد الفسطاط والعسكر وهي مدينة القطائع ^(٣) والتي احتوت على اكثر

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ، ج ٢/ ص ٨٠٧؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢/ ص ٩١؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٥/ ص ٢٤٠٩؛ ابن الساعي، الدر الثمين في أسماء المصنفين، ص ٣١٨؛ البغدادى، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١/ ص ٢٧٣

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٧١/ ص ٢٢٩؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١، ص ٢٩٤.

(٣) اتخذها احمد بن طولون عاصمه لدولته، وسبب التسمية ان كبار رجال ابن طولون وقواده وغلماؤه وكذلك أرباب الحرف و الصناعات والتجار اتخذوا قطيعه خاصه بهم فسميت المدينة كلها باسم القطائع، أنشأها بجانب العسكر سكن فيها، واتخذها الأمراء من بعده منزلا إلى أن انقرضت دولة بني طولون، (المقريزي، الخطط، ج ٢/ ص ٦٢).

من مائة الف دار للسكن سوى القصور ودور الأمراء ورغم تخريبها واندثارها إلا إنها كانت شاهدا ماديا على تخليد ذكراه، فضلا عن اعماله العمرانية الاخرى ولا سيما مسجد ابن طولون وهو من روائع فن العمارة الاسلامية الذي خلد صاحبه وعده ثالث مسجد جامع كبير شيد بمصر وقد عبر ابن طولون عن هدفه من هذا البناء هو من أجل تخليد أيامه وعمله هذا فقد نقل عنه قوله، "أريد أن ابني بناء ان احترقت مصر بقي وان غرقت بقي"^(١)

وكان للنقوش والكتابات التي عثر عليها اثرها في تخليد تاريخ ابن طولون، فكانت النقوش على المسجد بالخط الكوفي والنقش الكوفي هو زخرفة كتابية محفورة او مرسومة يستخدم لتزيين المساجد والقصور ويعد جزءا من الفن الاسلامي، وقد احتوت هذه النقوش على آيات قرآنية وادعية واسم الباني وهو أحمد بن طولون ويعود تاريخ النقش الى سنة ٢٦٥هـ/٨٧٩م والخط عبارة عن جروف مستقيمة ذات زوايا حادة بلا نقاط او تشكيل، وقد جعل به خزانة للكتب وكانت تحتوي على ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفاً^(٢)، وكان حسام الدين لاجين جدد عمارة هذا الجامع، ويجعل له ما يقوم به، وتم له ذلك في سنة (٦٩٦هـ/١٢٩٧م) ، وقد قام بتجديده وأوقف عليه الكثير، وجعل به دروساً للفقهاء والحديث والتفسير والطب وغير ذلك، وأنشأ خزانة الكتب، التي كانت عامرة بالمصنفات^(٣)، وتذكر وثيقته أنها كانت تحوي في عصر المماليك على أمهات كتب الطب^(٤) .

ولم يقف التخليد عند الطراز العمراني فقط بل اتسع تاثيره الى فن العمارة الاوربية والتاثير فيها ولا سيما الأقواس المدببة المستخدمة في مسجده لا زالت شاهداً حياً على تخليده من خلال اقتباس العمارة الاوربية لهذا الفن والطراز المعماري، تقول المستشرق ديانا دارك لم يبق شيء من مدينة القطائع لم يبق الآن سوى المسجد، الذي احتفظ بتميزه لأنه أكبر جوامع القاهرة من إذ المساحة، وأقدم المساجد التي مازالت تحتفظ بشكلها الأصلي، على الرغم من كونه رمزاً للاستقلال، ابرز ما فيه الأقواس المدببة تلك كانت الأقواس التي شاهدها التجار الإيطاليون من

(١) المقرئزي، الخطط، ج ٤/ص ٣٩

(٢) المقرئزي، الخطط، ج ٤، ص ٤٢

(٣) الصفدي، أعيان العصر وأعيان النصر، ج ٤/ص ١٧١

(٤) السيد النشار، تاريخ المكتبات، ص ٨٣

أمالفي^١ Amalfi وأعجبوا بها، وقلدوها في القرن الحادي عشر في إعادة إعمار دير جبل كاسينو Monte Cassino الذي يقع على بعد ١٣٠ كيلومتراً جنوب شرق روما^(٢).

وقد شمل التخليد المادي كذلك في العصر الطولوني (سك العملة) والتي تعد الاثر المادي المهم في تخليد الاشخاص وهو الاثر الوحيد الباقي الى يومنا هذا، لأنها وثائق في غاية الأهمية نظراً لصدقها وعدم تحريفها للحقائق، فالمسكوكات تعد ضمن أهم المجالات التي يهتم بها المؤرخون والأثريون باعتبارها أثراً مادياً مهماً يتم الكشف من خلالها عن ألقاب الحكام والأمراء، وتاريخ الضرب ومكانه، مما جعل المسكوكات والنقود وسيلة ومصدراً مهماً لكتابة التاريخ وتصحيحه والتخليد في الوقت نفسه.

فقد خلدت النقود الأمراء الطولونيين وقد عثر على انواع متعددة من نقودهم شملت الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس، والدينار الأحمدى الذي خلد صاحبه أحمد بن طولون هو أول دينار ذهبي سك في مصر في عصر الدولة الطولونية وامتاز بوزنه الشرعي وارتفاع معياره^(٣)، وقد سار خلفاء أحمد وحافظوا على هذا النهج في التخليد، وقد عرضت الرسالة انواع الدراهم والدنانير والفلوس وحصلت على صور لها والمحفوطة في المتاحف العلمية .

ولم تكن الدولة الاخشيدية اقل شأناً في التخليد المادي من الدولة الطولونية سوى في الجانب العمراني اما سك النقود، فالمظاهر العمرانية قد شهدت اهتماماً من قبل الأمراء الاخشيديين فشيّدوا المباني الكثيرة والتي لم يبق منها اثر سوى سيرتها في امهات المصادر التاريخية كالقصور والمباني الخدمية، اما نقودهم فهي الشاهد الحاضر على تخليدهم المادي فسكوا الدنانير والدراهم والفلوس والتي شهدت على استقلالية الاخشيديين.

٥- السياق العام لقيام الدولة الطولونية واثره في بروز مظاهر التخليد.

عمل العباسيون بعد تسلمهم الخلافة سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) على تأكيد سلطاتهم وتوطيد نفوذهم في الأقاليم^(٤)، إذ اعتمدوا سياسة المركزية في إدارة الولايات ولم يترك الخلفاء العباسيون

(١) في ذلك الوقت، كانت مدينة أمالفي عاصمة جمهورية بحرية صغيرة إنما قوية تُعرف باسم دوقية أمالفي في الفترة ٨٣٩-١٢٠٠، وكانت تقع إلى الجنوب مباشرة من خليج نابولي في موضع رائع الجمال في مدخل واد عميق تحيط به منحدرات دائرية، (دارك، السرقة من المسلمين، ص ٢٩١)

(٢) دارك، السرقة من المسلمين، ص ٢٩٢

(٣) المقريزي، شذور المعقود في ذكر النقود القديمة والإسلامية، ص ١٢.

(٤) اليوزبكي، دراسات في النظم العربية الإسلامية، ص ١٢٨.

سلطة تعيين الولاة تخرج عن سلطتهم ، وكانوا دائماً يختارون الولاة من الرجال الموثوق بهم والذين ينفذون سياستهم في تلك الأقاليم مع حفاظهم على ولائهم للخلافة^(١)

أرتبط وضع الولاة ومكانتهم في مصر باختلاف سياسة الدولة العباسية التي اعتمدت في البداية على العرب والفرس في الادارة السياسية والإدارية ثم على الأتراك زمن الخليفة المعتمد (٢٢٧-٢١٨هـ / ٨٣٣-٨٤١م)، ويلاحظ في هذه الحقبة من تاريخ مصر كثرة الولاة الذين تولوا إدارة مصر وربما ذلك يعود الى المشاكل التي واجهت الخلافة العباسية، بسبب انتقال مقر الخلافة العباسية (في بغداد وسامراء) وبعدها عن مصر وبسبب ضعف الخلفاء العباسيين أنفسهم الذين ادركوا ان ترك ولاية مصر في الحكم طويلا قد يؤدي الى انفصالهم وعلان الاستقلال^(٢)، وفعلا هذا الذي حصل ففي عهد الوالي علي بن سليمان الذي تولى مصر سنة (١٦٩هـ / ٧٨٥م)^(٣) وحاول الاستقلال بالبلاد عن الخلافة و طمع أيضاً في الخلافة ورأى انه يصلح لها ، مما دفع بعض أهل مصر الى مكاتبة الخليفة هارون الرشيد الذي أسرع بعزله سنة (١٧١هـ / ٧٨٧م)^(٤)، كذلك من الولاة الذين حاولوا الاستقلال بالبلاد ، وكان له نصيب كبير مما أراد ، عبيد الله بن السري^(٥) الذي تولى مصر سنة (٢٠٦هـ / ٨٢١م) بمبايعة الجند له وخرج عن طاعة الخلافة العباسية ، مما دفع الخليفة المأمون الى إرسال عبد الله بن طاهر لقتاله حتى استسلم سنة (٢١١هـ / ٨٢٦م)^(٦)، وقد كان انتصار عبد الله بن طاهر على عبيد الله بن السري، هو السبب الذي جعل الخليفة المأمون يوليه مصر سنة (٢١١هـ / ٨٢٦م) ويهب له خراجها الذي قدر بثلاثة ملايين دينار^(٧)، ومن الولاة الذين أرادوا الاستقلال بمصر أيضاً موسى بن عيسى الذي تولى مصر مرة ثانية سنة ١٧٥-١٧٦هـ / ٧٩١-٧٩٢م)، وعندما بلغ الخليفة الرشيد موقفه هذا عزله^(٨) .

(١) ابن اياس الحنفي، تاريخ مصر، ج١/ص ٣١ ؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج٢/ص ٢٦٦.

(٢) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ١٣٢؛ كاشف، مصر في فجر الاسلام ، ص ٣٤ .

(٣) علي بن سليمان بن علي بن عبد الله، الامير ابو الحسن الهاشمي العباسي، ولي إمرة مصر من قبل الخليفة الهادي عام (١٦٩هـ / ٧٨٥م)، (ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١/ص ٦١) .

(٤) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ١٣١ .

(٥) ولي إمرة مصر بعد موت أخيه محمد بن السري بمبايعة الجند على الصلاة والخراج معاً وسكن المعسكر، (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢/ص ١٨٠)

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢/ص ١٨٠.

(٧) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٨٠.

(٨) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٣٢.

امتازت حقبة الولاية في مصر بشيوع ظاهرة الإقطاع ، وهي إقطاع الخلفاء العباسيين بعض أقاليم الدولة العباسية لبعض الشخصيات في مقابل مال يؤدونه للخلافة ، وكان لهؤلاء الإقطاعيين نواب يتبعونهم مباشرة ولا يتبعون الخلافة، كما فعل الرشيد بعبد الملك بن صالح (١٧٨هـ / ٧٩٤م)^(١) ، والخليفة المأمون بطاهر بن الحسين (٢١٢هـ / ٨٢٧م)^(٢) ، والخليفة المعتصم بأشناس (٢١٩هـ / ٨٣٤م)^(٣) ، والخليفة الواثق بايتاخ (٢٣٠هـ / ٨٤٤م)^(٤).

بعد تولي الخليفة المعتصم الخلافة سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م، كانت بداية دخول الأتراك في إدارة ولاية مصر في ذلك ان الخليفة المعتصم اكثر من العناصر التركية في المؤسسات الإدارية وفي الجيش، فقد تولى أشناس التركي ولاية مصر (٢١٩-٢٣٠هـ / ٨٣٤-٨٤٤م) نيابة عن الخليفة المعتصم وفوض له إدارتها^(٥) ، ثم جاء من بعده ايتاخ التركي الذي كان يتمتع بما كان يتمتع به اشناس من تولي الولاية وعزلهم وإدارة شؤون الولاية نيابة^(٦) عن الخليفة الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ / ٨٤١-٨٤٦م)، وقد ازداد نفوذ ايتاخ واتسع ليشمل ولاية الكوفة والحجاز ومكة والمدينة فضلاً عن مصر^(٧)، يتضح من هذه الأحداث مدى التوسع في استخدام العنصر التركي في الإدارة بدل العنصر العربي، فقد كان والي عنبة بن إسحاق آخر الولاية من العرب على مصر، ونلاحظ من ذلك أن الأتراك تمكنوا من السيطرة على مراكز الحكم والإدارة وبحسب رغباتهم^(٨)، فقد اخرج الخليفة المعتصم العرب من ديوان الجيش وأرسل الى والي مصر حيدر بن نصر (٢١٦ - ٢١٩ هـ / ٨٣١ - ٨٣٤ م) يأمره بحذف اسماء المقاتلة العرب من الديوان وقطع أعطياتهم فقام بذلك^(٩)، وأحل الأتراك محلهم^(١٠)،

وكان هؤلاء الأتراك يجلبون من أسواق الرقيق في بلاد ما وراء النهر، واتخذ المعتصم من حسن هندامهم وشجاعتهم سببا للاعتماد عليهم فولاهم حراسة قصره وأسند إليهم أعلى

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ١٠/ص ٧١ .

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠/ص ٢٧٩ .

(٣) جروهمان، اوراق البردي العربية، ج ٣/ص ١٢ .

(٤) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٢/ص ٢٥٥ .

(٥) الكندي ، الولاية والقضاة ، ص ١٩٤ .

(٦) الكندي ، الولاية والقضاة ، ص ١٩٦ .

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج ٢/ص ٢٧٥ .

(٨) الكندي، الولاية والقضاة، ص ١٥٣ .

(٩) الكندي، الولاية والقضاة، ص ١٩٣؛ المقريزي ، الخطط، ج ١/ص ٩٤ .

(١٠) الكندي، الولاية والقضاة، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

المناصب، وقلدهم الولايات الكبيرة، وخلع عليهم الهبات والأرزاق ، وزاد اعتماده على الجند الأتراك حتى بلغ عددهم فى عهدة سبعين ألفا ، وظلت مصر يحكمها ولاية من الأتراك، كانوا يقطعون هذه الولاية بصورة إقطاع مقابل اموال ترسل الى عاصمة الخلافة العباسية، وكان أول الولاة الاتراك يزيد بن عبد الله التركي، (٢٤٢ - ٢٥٣هـ / ٨٥٦ - ٨٦٧ م)^(١).

ال خليفة المعتصم أقطع القائد التركي أبا جعفر اشناس مصر فى سنة ٢١٩هـ / ٨٣٤م ثم اذن له بأن يولى الحكام بنفسه^(٢)، وكان اسم أشناس يذكر في خطبة الجمعة مع الخليفة ، وضربت السكة باسمه كما نقش اسمه على الموازين والمكايل^(٣)، وظل اشناس صاحب اقطاع مصر الى أن توفى سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤م، وأقطعت مصر بعد ذلك لنفر من الترك .

على أن سياسة اقطاع الأتراك ولاية مصر، قد أدت الى بقاء هؤلاء القواد الترك في عاصمة الخلافة خشية أن تدبر ضدهم الدسائس ، كما كان الخلفاء أنفسهم يرحبون ببقائهم خوفا من أن يستقلوا بالبلاد التي كانوا يحكمونها ، فكان هؤلاء القادة الأتراك لا يباشرون حكم مصر بشكل مباشر وإنما كانوا يعينون نواب عنهم على أن يحمل اليهم هؤلاء النواب الأموال ويدعون لهم على المنابر كما يدعى للخليفة، وكان لهؤلاء النواب طموحات ظهرت فيما بعد وكانت لهم آمال واسعة أن يستقلوا بأمور البلاد بعد أن تطرق الضعف الى مركز الخلافة نفسها، وهذا ما حدث فقد تقلد بايكباك مصر وأراد من يخلفه عليها، ف قيل له: إن أحمد بن طولون الثقة الأمين، الخير الدّين، فقلده خلافته على مصر وضم إليه الجيش وبعثه، فدخل مصر يوم الخميس لسبع بقين من رمضان سنة ٢٥٤هـ / ٨٦٨م الذي استقل بمصر عن الخلافة وأسس بها دولة مستقلة عرفت باسم الدولة الطولونية كانت أول دولة مستقلة في تاريخ مصر الإسلامية (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥ م) .

كان الوضع الاقتصادي في عهد الولاة قد شهد نوعا من عدم الاستقرار والذي انعكس بدوره على الحياة السياسية ولا سيما فيما يخص الجباية والضرائب والتي كانت إحدى الاسباب لعدم الاستقرار السياسي، فزيادة ضريبة الخراج كانت سببا لتمرد كل من الأقباط والمسلمين مما اضطر الخليفة العباسي المأمون الى القدوم بنفسه الى مصر للقضاء على احدى تلك الثورات في سنة ٢١٧ هـ / ٨٣٢م^(٤)، وفرضت ضرائب على الصناع والعمال، وفرضت ضرائب على

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٠٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢/ص ٢٢٩.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢/ص ٢٢٩.

(٤) الكندي، الولاة والقضاة ، ص ١٥٢.

التجارة الداخلية في مصر عرفت بالمكوس، كذلك فرضت ضرائب على التجارة الخارجية ، فيذكر المقريزي أنه كان يجبى ضرائب مقررة من التجارة في الثغور المصرية وهى دمياط وتتيس ورشيد وعيذاب وأسوان والاسكندرية^(١) .

وقد وجد العرب عند الفتح في مصر نظاما زراعيا وماليا ، وكان قوام هذا النظام طائفة من الأعيان وكبار الملاك الذين كانوا يدفعون أو يضمنون دفع الضرائب عن مساحات زراعية كبيرة، وبمرور الزمن ولا سيما بعد اخراج العرب من الديوان اتجهوا نحو إمتلاك الأرض وضمان الخراج، وكان لهذا القرار أكبر الأثر فى انتشار المسلمين فى مصر مما أدى لزيادة عدد المسلمين العاملين بالزراعة بجانب الاقباط وايجارات الأراضي الزراعية كما أوردها جروهمان^(٢)، فمنذ بداية القرن الثالث الهجرى اتضح زيادة عدد المسلمين ووجد كشف خاص بالعرب المستأجرين للأراضي الزراعية بأسماء اشخاص مع بيان وصف كل فرد يعود للقرن الثالث الهجرى، يبدأ بذكر اسم العربي المسلم ثم الاسم المسيحي السابق ووصفه وأصله^(٣)، وكانت مصر تنتج الحبوب بكثرة وخاصة القمح والشعير وكذلك الخضروات.

وبقي النظام المالي في مصر خاضعا لسياسة الخلفاء العباسيين الذين سكوا العملة^(٤)، وظلت العملة فى مصر خاضعة للعملة الاسلامية الى أن استقلت مصر عن الخلافة فبدأت تظهر النقود المضروبة بمصر، وقد ظهر ذلك جليا في عهد الامارة الطولونية، وفى ذلك يقول المؤرخ المقريزي "ومع هذا فان مصر لم تنزل منذ فتحت دار امارة وسكتها انما هي سكة بني امية ثم بنى العباس الا أن الأمير أبا العباس أحمد بن طولون ضرب بمصر دنانير عرفت بالأحمدية"^(٥) .

وشهدت الصناعة ازدهارا في مصر مثل صناعة البناء وورق البردى والنسيج والتجارة والدباغة وصناعة الزجاج والأدوات المعدنية والفخار والخزف فضلا عن صناعة السفن . وكانت معظم الصناعات المصرية تعتمد على المواد الخام في مصر، وأحيانا كانوا يستوردون بعض المواد الخام مثل الخشب والحديد والجلود والحريز، وكان رجال الصناعة فى القرنين الأول والثاني بعد الهجرة اكثرهم من الاقباط واتضح من أوراق البردي أن المسلمين قد زاولوا بكثرة بعض المهن

(١) المقريزي، الخطط، ج١/ص ١٠٩ .

(٢) اوراق البردي العربية، ج١/ص ٣٠ .

(٣) جروهمان، اوراق البردي العربية ، ص ٤٦ ، ٥٣ ، ١٧٤ .

(٤) كاشف، مصر في فجر الاسلام، ص ٦٥ - ٦٩ ؛

(٥) المقريزي، شذور المعقود في ذكر النقود القديمة والاسلامية، ص ١٢ .

والحرف منذ القرن الثالث الهجري وخاصة بعد اسقاطهم من الديوان سنة ٢١٨ هـ/٨٣٣ م ، ووجد طراز به كشف بأسماء أرباب الحرف يرجع تاريخه إلى بداية القرن الثالث الهجري^(١)، ومن تلك الأسماء الحرفية القطاعين والمقشرين والدباغ والبقال والطباخ والنحاس والحجارين وغلماان الالبالغ صناع السكر الهرمي وصاحب الدست ورئيس ديوان الإنشاء والدخان والنساجين والدهان والجزار ، ووجدت في مصر صناعه شواهد القبور التي يرجع تاريخها للقرن الثالث الهجري على وجود أسماء عربية مضافة اليها نوع المهنة التي مارسها المتوفى في حياته سواء كان خياطاً أو عطاراً أو نجاراً^(٢)، ووجدت قوائم تعود للقرنين الثاني والثالث الهجري تشمل الأعمال التي مارسها المسيحيون في مصر ومنها الجبان والكاتب والسمسار والنجار ، ووثيقة تعود للقرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي تتضمن ذكرا للبان، وورد ذكر تعامل بين اقباط ومسلمين وطلب شراكة في عمل^(٣)، انفردت مصر عن باقي أنحاء العالم آنذاك بصناعة ورق البردي فكانت المصدر الوحيد له واشتهرت بصناعة المنسوجات، وكان رجال الفنون والصناعات في القرنين الأول والثاني من الهجرة من الأقباط وحمل الأقباط لواء صناعة المنسوجات لمدة طويلة ويدلنا على ذلك أن العرب كانوا يطلقون على المنسوجات المصرية اسم قباطي^(٤) ، وكانت المراكز الرئيسية لصناعة النسيج في العصر الاسلامي هي نفس المراكز التي اشتهرت قبل الاسلام مثل الاسكندرية ودمياط وتتيس في الوجه البحري والأشومنين وأسيوط وأخميم في الوجه القبلي، واشتهرت مصر بصناعة المنسوجات على اختلاف انواعها وخاصة الكتانية لوفرة زراعته ، وكذلك كان ينسج الصوف والحريز والقطن .

وكانت الحكومة تسيطر على مصانع النسيج ، وكان هناك نوعان من هذه المصانع : الأول طراز الخاصة وكان لا يعمل الا للخليفة ورجال بلاطه وخاصته ، والثاني طراز العامة وكان يعمل لحساب بلاط الخليفة وأفراد الشعب، وقد كتب على بعض المنسوجات التي عثر عليها والتي ترجع الى عصر الولاة انها صنعت في طراز الخاصة وعلى البعض الآخر انها صنعت في طراز العامة، وعن الخلفاء والأمراء بكتابة أسمائهم على هذه الأقمشة الثمينة التي كانوا يتخذونها ملابس لهم أو خلعا يخلعونها على كبار رجال دولتهم وعلى الخلفاء منذ الفتح العربي لمصر .

(١) جروهمان، اوراق البردي العربية، ج٣/ص٢٣٢.

(٢) عطا ، قبطي في عصر اسلامي، ص٢٨٣.

(٣) جروهمان، اوراق البردي العربية، ج ٤/ص٢٥٨.

(٤) الأزرقى، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ١/ص ١٣٧، ١٦٨؛ المقريزي، الخطط، ج ١/ص ١٨١

واعتنى الخلفاء العباسيون باتخاذ كسوة الكعبة من المنسوجات النفيسة التي كانت تصنع في مصر، فيذكر الأزرقى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كسا الكعبة القبطية وكان يكتب الى مصر التصنع له فيها^(١)، وكان معظم الصانع بمصر في عصر الولاة من المصريين سواء كانوا من المسلمين او الاقباط، واحتفظت مصر في هذا العصر بكيانها الخاص فى الأساليب الفنية، ويعد عصر الولاة عصر الانتقال من الأساليب الفنية القبطية الى الأساليب الفنية العباسية^(٢).

وامتاز النشاط التجاري في مصر بازدهاره، فلم يكن النشاط الزراعي والصناعي سببا وحيدا في زيادة النشاط التجاري وانما ايضا موقعها الاستراتيجي بين قارات العالم، وقد فطن المؤرخون المسلمون الى ذلك الموقع الممتاز الذي تتمتع به مصر، فكتبوا أن من فضائل مصر، " انها فرضة الدنيا يحمل من خيرها الى سواحلها"^(٣)، " ومن فضائل مصر: أنها تدير أهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر فرضة الدنيا يحمل خيرها إلى ما سواها، فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه إلى الحرمين واليمن والهند والصين وعمان والسند والشحر، وساحلها من جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلاد الروم والإفرنج، وسواحل الشام والثغور إلى حدود العراق، وثغر إسكندرية فرضة أفریطس وصفلية وبلاد المغرب، ومن جهة الصعيد يحمل إلى بلاد الغرب والنوبة والبجة والحبشة والحجاز واليمن، وبمصر عدّة من الثغور المعدة للرباط في سبيل الله تعالى وهي: البراس ورشيد والإسكندرية وذات الحمام والبحيرة واخنا ودمياط وشطا وتنيس والأشتموم والفرما والواردة والعريش وأسوان وقوص والواحات، فيغزى من هذه الثغور الروم والفرنج والبربر والنوبة والحبشة والسودان"^(٤)، وقال بعض من صنف في فضائل مصر: بمصر الحمير المريسية، والبقرة الحسينية، والنجب النجارية، والأغنام النوبية، والدجاج الحبشية، والمراكب الحربية، والسفن الزيبقية، والمناسف الحملية، والستور البهنساوية، والغلائل القصبية، والحرم السمطاوية، والنعال السندية، والسلال الوهبانية، والمضارب السلطانية ويحمل إلى العراق وغيرها من مصر زيت الفجل والعسل النحل، ويفخر به على أعسال الدنيا"^(٥).

(١) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١/ص ١٦٨.

(٢) يراجع في الفنون والصناعات، زكي، الفن الاسلامي فى مصر؛ زكي، بعض التأثيرات القبطية في الفنون الاسلامية.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١/ص ٣٨.

(٤) المقريزي، الخطط، ج ١/ص ٥٢.

(٥) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢/ص ٣٢٥.

وقد زاول المسلمون بكثرة بعض المهن أو الحرف ومنها التجارة خاصة بعد اسقاطهم من الديوان، وقد وجدت قطع خشبية ترجع الي عصر الإنتقال ببين الصناعة القبطية في القرن الاول والثاني الهجري والصناعة الإسلامية في القرن الثالث الهجري ووجود الكتابات العربية عليها دخلت في مجال التجارة في الأخشاب^(١).

٦- السياق العام لقيام الدولة الاخشيدية واثره في ظاهرة التخليد:

بعد قرار الخلافة العباسية ارجاع مصر الى السيطرة المباشرة إليها من الدولة الطولونية قررت ارسال قواتها بقيادة محمد ابن سليمان الى مصر، فدخلت مدينة دمشق وانضم إلى هذا الجيش كبار القواد في الدولة الطولونية مثل طنج بن جف والحسين بن أحمد الماذرائي وتقدم الجيش حتى دخل فلسطين ، واتجه هذا الجيش نحو المعركة الفاصلة التي تهدف إلى القضاء على الدولة الطولونية في مصر ، وبالرغم من الضعف الذي تمر به الدولة الطولونية إلا أن هارون بن خمارويه قاد القوات المصرية للتصدي لقوات الخلافة^(٢) ، وقد تجمعت القوات البرية المصرية عند بلدة العباسية للوقوف في وجه القوات البرية ، وكانت البحرية الطولونية تتقدم في النيل لتقف في وجه أسطول الخلافة ، النقى الأسطولان عند تئيس فهزم الأسطول المصري وسقطت هذه المدينة في يد قوات الخلافة ، ثم هزم الأسطول المصري عند دمياط واستولى جند الخلافة على مراكب المصريين، وأستطاع محمد بن سليمان أن يحقق انتصارات عديدة على الجيش الطولوني ، حتى قتل هارون ليتولى القيادة عمه شيبان في صفر - ربيع الأول سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) ولكن الجند رفضوا إقرار تعيينه وكاتبوا محمد بن سليمان حتى دخل القسطنطينية وسار منها إلى القطائع عاصمة الطولونيين سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م وأشعل فيها النار فالتهمت الدور والمساجد والحمامات والأسواق والبساتين^(٣) ، وهكذا انتهت الدولة الطولونية وخربت عاصمتها القطائع ولم يبق منها غير المسجد الجامع، وبنهاية الدولة الطولونية بدأ عهد جديد في مصر وهو ما يصطلح على تسميته تاريخياً بعصر الولاة، (٢٩٢ - ٣٢٣ هـ / ٩٠٤ - ٩٣٥ م)، كانت فيه مصر تابعة للخلافة العباسية مباشرة ترسل إليها الولاة من بغداد لمدة ثلاثين عاماً^(٤)، عانت مصر من الارباك والاضطراب السياسي بسبب ضعف الخلفاء العباسيين وصارت القوه الفعلية بيد الجند الأتراك^(٥)، وكان الولاة من الضعف بسبب سيطرة الجنود عليهم وقد سيطر

(١) زكي، بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية، ص ١٤

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤/ص١٥٧.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣/ص١١١.

(٤) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٤٩ .

(٥) مصطفى، دولة بني العباس ، ص ١١٠.

مؤنس الخادم على مقاليد الحكم في مصر سنة (٣٠٩ هـ / ٩٢١م) ولعدة سنوات يولي ويعزل من الولاة من يشاء، وانتشر عبث الجند وفسادهم، مما أدى إلى انتشار الفوضى والفساد في البلاد وعدم الاستقرار^(١).

وشهدت هذه الحقبة التنازع والتنافس ما بين الولاة وعمال الخراج، وكانت الأسرة الماذرائيه ابرز مظاهر تلك المنافسة والتي سيطرت على خراج مصر، والماذرائيون أسرة فارسية الأصل، تنسب إلى مازاريا أو ماداريا هاجرت من العراق الى مصر ولا يعرف تاريخ محدد لهجرتهم الى مصر تمتعت بنفوذ قوي زمن الطولونيين^(٢)، وظل الماذرائيون يتمتعون بنفوذ كبير في مصر بعد سقوط الدولة الطولونية حتى قيام الدولة الأخشيديه، وكان من ابرز الشخصيات في هذه العائلة والذي انضم الى الاخشيديين أبو علي الحسين بن أحمد الماذرائي المعروف بأبي زنبور^(٣)، فقد انضم إلى جيش محمد بن سليمان الكاتب للاستفادة من خبرته بالشئون المالية، فقد عيّن من قبل والي العباسي عيسى النوشري على خراج مصر^(٤)، وقد استطاع ابي زنبور من تثبيت نفوذ عائلته في مصر والشام وفي يدهم من الناحيتين المالية والاقتصادية، وامتد نفوذهم إلى العراق فكان لهم في بغداد شأن عظيم^(٥)، عن طريق نظام الضمان في مصر والشام وتعهدهم بدفع مبلغ معين إلى الخزنة المركزية في بغداد، على أن يأخذوا على عانقهم جباية الخراج في هذين الإقليمين والقيام بنفقات الجيش^(٦)، وبالرغم من سيطرت الماذرائيين على مقاليد المالية في مصر والشام إلا انهم كان لهم دور في الحياة السياسية ايضا، فقد برز الوزير أبو بكر محمد بن علي الماذرائي الذي استوزره الأمير هارون بن خماروية وظل يدير أمور مصر المالية حتى سقوط الطولونيين فغادر مصر إلى بغداد، فلما سار مؤنس الخادم من العراق بجنده لقتال الجيش الفاطمي بمصر سبقه إليها فوصلها في ربيع الأول سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤م وكان الخراج حينئذ في يد أخيه أبو الطيب أحمد بن علي الذي توفي في سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥م فخلفه أبو بكر محمد علي خراج مصر حتى آخر سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦م^(٧)، وظل أبوبكر يقيم في مصر،

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٣٩.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٤٥؛ كاشف ومحمود، مصر في عصر الطولونيين والابخشيديين، ص ١٣١.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤/ص ١٥٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٤٥.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٤١.

(٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٥/ص ٧٠.

(٦) ستانلي لينبول، سيرة القاهرة، ص ١٢٠.

(٧) المقرئ، المققى الكبير، ج ٦/ص ١٢٧.

ولكنه استدعى إلى دار الخلافة عدة مرات مع عمه أبي زنبور الماذرائي وطولبا بأداء أموال كثيرة وصودر جزء كبير من أملاكهما كما صودرت بعض أملاك أقاربهم^(١) ، وظل أبوبكر بعيداً عن الوظائف أربعة عشر عاماً ، وعين عاملاً على خراج مصر في جمادي الأول سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠م^(٢) ، والملاحظ أن الاتصال بين أفراد الأسرة الماذرائية كان قوياً والتعاون بينهم موفوراً ، وقد أصبح الأمر كله في مصر بعد وفاة تكين في ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣م بيد أبو بكر محمد بن علي الماذرائي ، دون أن يكون والياً على البلاد^(٣) ، بقيت الأوضاع في مصر مضطربة وغير مستقرة فقد استطاع محمد بن علي الخنجي الأمير أبو عبد الله المصري الطولوني، أن يستولي على مصر وينشر نفوذه فيها ما يقرب من ثمانية شهور^(٤) ، إذ استطاع الهروب من يد القائد العباسي محمد بن سليمان الكاتب ، وقد عقد العزم على أحياء الدولة الطولونية^(٥) ، وانضمت إليه جماعة من المصريين واستولي على الرملة في سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤م " ، وأمر بالدعوة على منابرهما في يوم الجمعة للخليفة العباسي المكتفي ومن بعده لإبراهيم بن خماروية بوصفة أميراً للبلاد الذي كان أسيراً في بغداد ومن بعدهما لنفسه بوصفة نائباً عن إبراهيم ، وازداد عدد أنصاره بشكل كبير ، فسار بهم نحو مصر التي أستعد واليها عيسى النوشري للقائه والتقى الجيشان عند غزة وكان النصر حليف ابن الخنجي ، الذي تقدم بعدها إلى العريش ثم الفرما وتتابع انتصاراته^(٦) ، ولم يستطع والي مصر عيسى النوشري ان يتصدى لابن الخنجي فهرب الى الفسطاط ، ودخل ابن الخنجي مدينة الفسطاط فأحسن الشعب أستقباله ، ودعي له على المنابر بعد الخليفة العباسي المكتفي وإبراهيم بن خماروية ، وقد عمل ابن الخنجي على تهدئة أمور مصر والقضاء على الفوضى في البلاد وجمع الضرائب ودفع مرتبات الموظفين والجند^(٧) ، استتجد النوشري بالخليفة العباسي المكتفي الذي ارسل له قوات عسكرية لكنها هزمت امام قوات الخنجي أوائل المحرم سنة (٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) ، الامر الذي دفع الخليفة المكتفي الى ارسال قوات مرة ثانية انتقاماً لهزيمته فانتصرت على ابن الخنجي والذي هرب الى الفسطاط واخيرا تم القبض عليه في رجب سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤م بعد أن دامت ولايته على مصر

(١) المقرئزي، المقفى الكبير، ج٦/ص١٢٧.

(٢) الكندي، الولة والقضاء، ص٢-٣.

(٣) كاشف ومحمود، مصر في عصر الطولونيين والاششيديين ، ص ١٣٥ .

(٤) ابن خلدون، تاريخ، ج٤/ص٤١٠ .

(٥) السيوطي ، حسن المحاضرة، ج٢/ص١٧٠.

(٦) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢/ص١٧١.

(٧) الكندي، الولة والقضاء، ص٤٣٤.

نحو سبعة أشهر وعشرين يوماً ، إذ أخذ ابن الخنجي إلى بغداد مع جماعة من أتباعه وقتلوا هناك^(١).

يعود الفضل الى محمد بن طغج في تأسيس الدولة الاخشيدية وجهوده في ذلك خلدها المصادر التاريخية، ويعود اتصاله بخدمة تكين والى مصر نقطة بارزة في ظهور هذه الاسرة على المسرح السياسي في مصر، ففي سنة ٣٠٢هـ / ٩١٤م أغار الفاطميون على مصر بقيادة حباسة^(٢) وأبلي محمد بن طغج بلاء حسنا مع تكين في قتال هذا الجيش وتوثقت صلته به، وفي سنة ٣٠٦هـ / ٩١٨م عهد تكين إلى محمد بن طغج بولاية عمان و جبل الشراة ببلاد الشام ، ثم ولاه مدينة الإسكندرية وظل مقيماً بها إلى أن غزا الفاطميون مصر مرة ثانية بقيادة القائم في سنة ٣٠٧هـ / ٩١٩م فأبلى محمد في قتالهم بلاء حسنا، وعمل منذ ذلك الوقت على توثيق علاقته بكبار رجال الحكم فاتصل بأبي بكر محمد بن الماذرائي ، وبأبي زنبور الحسن بن أحمد الماذرائي كما أتصل محمد ابن طغج بالقائد العباسي مؤنس الخادم الذي قدم من العراق في العام ٣٠٨هـ / ٩٢٠م على رأس جيش لطرد الفاطميين من الأراضي المصرية^(٣)، استطاع ان يحصل تقليد من بغداد على ولاية الرملة في فلسطين سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م ، ثم دمشق في سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م^(٤)، وكان لابن طغج أصدقاء كثيرون في دمشق وكان محبوباً عند أهلها فرحبوا بتوليته واستطاع محمد بن طغج أن يوطد لنفسه الأمور في دمشق، وبدأ يجمع الأموال بمختلف الطرق والوسائل للحصول على ولاية مصر وعندما تولى الخليفة الراضي بالله " ٣٢٢ - ٣٢٩هـ / ٩٣٤ - ٩٤٠م وكانت الأحوال في مصر مضطربة أشد الاضطراب بين مطامع القواد وصاحب الخراج محمد بن علي الماذرائي ، ولما كانت الخلافة محتاجة إلى رجل قوى ليقر الأمن في مصر وليجعل منها قاعده قويه ضد هجمات الفاطميين ، فقد ولي الخليفة الراضي بالله محمد ابن طغج على مصر في سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٥م^(٥).

كان تعيين الاخشيد قد تم بموافقة الخليفة العباسي الراضي بالله، الامر الذي يدعوا الى القول ان رضى الخلفاء العباسيين قد انعكس على علاقتهم بالاخشيدين والتي اتسمت بالإيجابية، وقد منح الخليفة الراضي محمد بن طغج لقب الاخشيد، وقد توثقت العلاقة بين الخليفة الراضي

(١) ابن خلدون، تاريخ، ج١/ص٣١٠ .

(٢) المقريزي، الخطط، ج١/ص٣٢٢ .

(٣) حسن، مصر في العصور الوسطى، ص ٨٨ .

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١١/ص١٣٧ .

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١١/ص٢٩٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣/ص٢٥١؛ ابن خلدون،

تاريخ، ج٣/ص٥٠٨؛

ومحمد الاخشيد بعد حادثة ابن رائق الذي توجه للسيطرة على حكم مصر والشام^(١)، فقد ارسل الخليفة الراضي إلى الإخشيد كتاباً يخبره فيه بمسير ابن رائق إليه^(٢)، ويحذره حتى يستعد للقاء عدوه^(٣)، وقد ولي الخلافة في حياة الإخشيد بعد الراضي ثلاثة خلفاء وهم الخليفة المتقي (٣٢٩-٣٣٣ هـ / ٩٤٠-٩٤٤ م)، والخليفة المكتفي (٣٣٣-٣٣٤ هـ / ٩٤٤-٩٤٥ م)، والخليفة الثالث المطيع (٣٣٤-٣٦٢ هـ / ٩٤٥-٩٧٢ م)، وقد أقر هؤلاء الخلفاء الثلاثة الإخشيد في حكم مصر والشام، وعندما ساءت أحوال الخليفة المتقي في عام^(٤)، لجأت الخلافة العباسية إلى الاستعانة بالإخشيديين نتيجة تحكم القادة الاتراك، فالخليفة المتقي بالله وبسبب القائد توزون التركي وخذلان الحمدانيين ذهب إلى الشام وهناك التقى بمحمد الاخشيد وقد طلب منه الاخير حمايته والذهاب معه إلى مصر، وقد قدر الخليفة المتقي هذا الموقف لكنه رفض الذهاب إلى مصر^(٥)، وفي عهد المكتفي كتب إلى الاخشيد يعرض عليه إمارة بغداد بعد موت توزون ولكن الإخشيد رفض هذا المنصب، لان الاخشيد كان يفضل الابتعاد عن المشاكل في بغداد بعد أن كان قبل ذلك يريد أن يعيش بجانب الخلفاء ويدافع عنهم، وتعد النقوش على العملة المصرية وذكر اسماء الخلفاء العباسيين دليل على حسن العلاقة بين الطرفين، فقد اظهرت النقود المضروبة باسم الراضي من سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م، وبعض الدنانير المضروبة باسم المتقي في سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م، عليها اسم الخليفة وحده، أما الدنانير التي ضربت في سنة ٣٢٩ وسنة ٣٣١ وسنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٠-٩٤٤ م فعليها اسم الإخشيد مع اسم الخليفة^(٦)، وبعد موت محمد الإخشيد، اقرت الخلافة العباسية اولاده من بعده واستطاع كافور الوصي على أبناء الإخشيد أبو القاسم أنجور وأبو الحسن علي، أن يحصل من الخليفة المطيع على إقرارهما في حكم مصر والشام والحجاز والشعور الشامية، وكذلك أقره الخليفة بعد موتهما في حكم تلك الجهات، وهكذا ظل الإخشيديون يتمتعون برضاء الخلفاء العباسيين حتى آخر عهدهم^(٧)، وقد نجح الإخشيديون في الاحتفاظ بعلاقتهم جيدة مع الخلافة العباسية قائمة على سياسة سلمية، وكان للأمراء الإخشيديون وكلاء

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ٢٦-٢٧.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣ / ص ٢٥٢.

(٣) بدر، مصر الاسلامية، ص ١٩٨ ..

(٤) كاشف ومحمود، مصر في عصر الطولونيين والاكشيديين، ص ١٣٠.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٢٥٨.

(٦) بدر، مصر الاسلامية، ص ١٩٩.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٢٦٠.

في بغداد عاصمة الخلافة العباسية يعملون دائماً على تقليل العقبات التي تواجههم ، وإلى كسب رضا الخلفاء وكبار رجال الدولة^(١).

(١) بدر، مصر الاسلامية , ص٢٠٠.

الفصل الثاني

التخليد في الدولة الطولونية

مظاهر التخليد في الدولة الطولونية.

- ١-التخليد السياسي**
- ٢-التخليد العسكري**
- ٣-التخليد الإداري**
- ٤-التخليد الاقتصادي**
- ٥-التخليد الاجتماعي**
- ٦-التخليد الديني**
- ٧-التخليد الثقافي والعلمي**

الفصل الثاني

التخليد في الدولة الطولونية

انطلاقاً مما خلص إليه الفصل الأول من تأصيل مفهوم التخليد وبيان دلالاته وسياقاته التاريخية، يأتي هذا الفصل لينتقل بالدراسة من الإطار النظري العام إلى التطبيق العملي، من خلال تناول مظاهر التخليد في الدولة الطولونية. فقد شكّلت هذه الدولة أول تجربة حكم شبه مستقل في مصر خلال العصر العباسي، وبرزت بوصفها مرحلة مفصلية في تطوّر العلاقة بين السلطة والتخليد.

ويركّز هذا الفصل على تحليل الوسائل التي اعتمدها حكام الدولة الطولونية لتخليد أسمائهم وتأكيد حضورهم السياسي، سواء من خلال المنشآت العمرانية، أو النقود، أو المظاهر الإدارية ذات الطابع الرمزي. كما يسعى إلى الكشف عن الدلالات الكامنة وراء هذه المظاهر، وربطها بطبيعة السلطة الطولونية وبسعيها إلى إظهار الاستقلال مع الحفاظ على مظاهر الارتباط الاسمي بالخلافة العباسية.

ويعتمد الفصل على قراءة للمصادر التاريخية والشواهد المادية، للكشف عن الكيفية التي وُظِّفت بها ظاهرة التخليد في خدمة السلطة، وإبراز دورها في ترسيخ أركان الدولة الطولونية. وبهذا، يُمثّل هذا الفصل التطبيق الأول لما طُرِحَ نظرياً في الفصل السابق، ومقدمة لما سيليه من دراسة لتجربة حكم أخرى في السياق نفسه.

١ - التخليد السياسي:

- الاستقلال عن الخلافة العباسية

الدولة الطولونية هي إحدى الدويلات المستقلة الإسلامية أسسها أحمد بن طولون في مصر والشام في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، استقلت عن الخلافة العباسية، استمر حكمها حوالي ٣٥ عامًا قبل أن تعود إلى حكم الخلافة العباسية.

تميزت سياسة الخلفاء العباسيين التي سبقت قيام الدولة الطولونية على التغيير المستمر للدولة من أجل الابتعاد عن فكرة الاستقلال بالبلاد عن الخلافة، فأكثروا من العنصر التركي كقوة بديلة عن العرب والفرس جميعاً، وهؤلاء تم جلبهم من بلاد ما وراء النهر والذين اشتهروا بالطاعة

وحب النظام والشجاعة، ولم يلبث الأتراك أن تسللوا إلى قلب الخلافة العباسية، إذ رحب بهم الخلفاء وقلدوهم أهم مناصب الدولة في الجيش والإدارة حتى صاروا من ضمن الوزراء والولاة^(١).

ينسب الطولونيون الى (طولون)^(٢) وهو من اترك التغرغز في بلاد ما وراء النهر، كان من ضمن الرقيق الذين أرسلهم نوح بن أسد^(٣) والي بخارى هدية إلى الخليفة المأمون العباسي^(٤) في سنة (٢٠٠هـ - ٨١٥م)، فأصبح من ممالك المأمون ثم ارتقى حتى صار من حملة الأمراء، وقد أعجب الخليفة المأمون بطولون الذي بدت عليه علامات النجابة والإخلاص، وازدادت مكانته لديه، فكلفه بعدة وظائف نجح في إدارتها بشكل ملحوظ، فولاه رئاسة الحرس، ولقبه بأمرير الستر، وظل طولون عشرين سنة يشغل هذا المنصب المهم،^(٥) الى وفاته سنة (٢٤٠هـ - ٨٤٥م)^(٦).

حين مات طولون والد أحمد قام الخليفة المتوكل بتوكيله بكل ما كان لأبيه، ثم تنقلت به الأحوال إلى أن تولى إمارة الثغور^(٧)، في سنة (٢٥٤هـ / ٨٦٨م) قام الخليفة المعتمد بإعطاء القائد بايكباك ولاية مصر الذي أناب عنه أحمد بن طولون، فقد كان من عادة الولاة الكبار الذين يقوم الخليفة بتعيينهم في الأقاليم التي تخضع له أن يبقوا في عاصمة الخلافة؛ لينعموا بالجاء والسلطان، وحتى يكون بالقرب من مناطق السيادة والنفوذ، وفي الوقت نفسه كانوا يختارون نائباً عنهم في حكم تلك الولايات ممن يثقون بهم من أتباعهم وأقاربهم، يجدون فيهم المهارة والكفاءة، وكانت مصر في تلك الفترة تحت ولاية القائد بايكباك، فأناوب ابن طولون عنه وأمدّه بجيش كبير

(١) حسن، تاريخ الإسلام، ج ٢/ص ١٥٧.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١/ص ٣.

(٣) نوح ابن أسد، يلقب بالساماني، هو أبو القاسم نوح بن منصور بن عبد الملك بن نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان، سلطان بخارى وسمرقند وابن سلاطينها، دام حكمه ٢٢ عاماً، (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦/ص ٥١٥)

(٤) عبد الله ابو العباس ابن الرشيد، سابع الخلفاء العباسيين، استمرت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر، (السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٣).

(٥) طقوش، تاريخ الطولونيين والأخشيديين والحمدانيين، ص ٤٢.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠/ص ٢٠٨.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٤.

فدخل مصر في رمضان، سنة ٢٥٤هـ / ٨٦٨م^(١)، فأصبح أميراً على مصر وولي ثغور الشام، وكان له من العمر أربعون سنة^(٢).

عندما توفي الخليفة المعتز^(٣) في رجب سنة (٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، وتولى الخلافة بعده المهدي لله محمد بن الواثق، الذي عين يارجوج بعد مقتل بايكباك^(٤) على مصر وكانت بينه وبين أحمد بن طولون مودة أكيدة، فاستخلفه على مصر^(٥)، وكتب إليه "تسلم من نفسك لنفسك"^(٦)، وأضاف له مسؤولية المناطق خارج قسبة مصر، وكتب إلى إسحاق بن دينار^(٧) وكان مسؤولاً عن الإسكندرية أن يسلمها لأحمد بن طولون، فعظمت لذلك منزلته، وخرج ابن طولون إلى الإسكندرية وتسلمها من إسحاق بن دينار، وأقره عليها^(٨)،

اتسمت علاقة ابن طولون بالخلافة العباسية بالجيدة، وكانوا يوكلون له مهام قتال المتمردين ففي رجب من سنة (٢٥٦هـ - ٨٦٩م)، تولى الخلافة المعتمد بالله أحمد بن المتوكل^(٩) فتمرد عليه أحمد بن عيسى بن شيخ الشيباني والي جند فلسطين والاردن أصحابه^(١٠)، فقام المعتمد بمكاتبة ابن طولون في مصر وأمره بقتال ابن شيخ، وأن يعد لذلك جيشاً وعدة كبيرة، وفي الوقت نفسه كتب لابن المدبر أن يقدم لابن طولون كل ما يحتاج من مال، قام أحمد بن طولون باختيار أفضل المقاتلين من الرجال، واشترى العبيد من الروم

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧/ص١٨٧.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٠/ص٢٦٨.

(٣) أبو عبد الله محمد، وقيل الزبير بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد هارون بن المهدي العباسي، أصبح خليفة وهو ابن عشرين سنة أو أقل، وكان أبيض جميلاً وسيماً، (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢/ص٥٣٣).

(٤) بايكباك التركي ظهر بعد قتل الخليفة المستعين وتولى المعتز، وكان من القادة الذين شاركوا في الصراع بين الطرفين، فقام المعتز بتسليمه أعمال مصر ونواحيها مكافأة له، (المقريزي، الخطط، ج٢/ص١٢١).

(٥) المقريزي، الخطط، ج١/ص٣١٤.

(٦) المقريزي، الخطط، ج١/ص٣١٤.

(٧) إسحاق بن دينار بن عبد الله، والي الإسكندرية في زمن الخليفة المعتمد بالله، (اليقوبي، تاريخ اليقوبي، ج٢/ص٥٠٩).

(٨) المقريزي، الخطط، ج١/ص٣١٤.

(٩) احمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد الخليفة الخامس عشر من الخلفاء العباسيين، دام حكمه ثلاث وعشرون سنة، توفي في العاشر من رجب سنة ٢٧٩هـ / ٨٩٢م، (الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٢/ص٥٤١).

(١٠) المقريزي، الخطط، ج٢/ص١٢٢.

والسودان، وعمل سائر ما يحتاج إليه، وخرج في جمع كبير وجيش عظيم^(١)، ويذكر القلقشندي أن ابن طولون كان أول من جلب ممالك الترك إلى مصر واستخدمهم عساكر في جنده^(٢).

كان لأحمد بن طولون مكانة خاصة في نفس الخليفة المعتمد الذي كان دائم التذمر من تصرفات أخيه الموفق حتى أنه فكر جدياً بالهروب إلى مصر واللجوء إلى ابن طولون، وذكر ابن خلدون، أن المعتمد كتب إلى أحمد ابن طولون في السر يشكو ذلك، وأشار عليه ابن طولون أن يأتيه مصر لينصره، وبعث له جنداً إلى الرقة في انتظاره، فسار المعتمد منتصف سنة (٢٦٩هـ/٨٨٢م)، مع بعض قادته وجنده مظهراً أنه ذاهب للصيد^(٣)، ثم سار إلى أعمال الموصل وكان واليها وسائر الجزيرة إسحاق بن كنداج^(٤)، وعلم الموفق بذلك فأرسل إلى إسحاق أن يرد المعتمد وأن يقبض على من معه من القادة، فتم الأمر وقبض على هؤلاء القادة وقيدهم وعاد إلى المعتمد فعدله في المسير من دار خلافته ومغاضبة أخيه، وأن يستجد بعده ومن يريد زوال ملكه، وحمل الجميع إلى سامراء^(٥).

تولى ابن طولون ولاية الشام سنة ٢٦٢هـ/٨٧٦م من قبل الخليفة المعتمد^(٦)، وكتب له يحثه على جمع أموال الخراج، وأرسل إليه نفيساً الخادم، وأمره بتقليده خراج مصر، وولى ابن طولون إمارة الثغور الشامية^(٧)، وحقيقة الأمر أن ابن طولون قد عمل على تحصين الثغور الشامية ضد تهديدات البيزنطيين واعتداءاتهم على ثغور الشام في أنطاكية وطرسوس والمصيصة، لم يجد الخليفة المعتمد قائداً أفضل من أحمد بن طولون يوليه أمر الشام لمواجهة هذا الخطر، وقتال البيزنطيين، خصوصاً أن دولة الخلافة كانت مشغولة بالقضاء على فتنة الزنج في البصرة^(٨).

(١) المقريزي، الخطط، ج٢/ص١٢٢.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/ص٤٢٤.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣/ص٤١٢.

(٤) إسحاق بن كنداج الخزري اليهودي الأصل، ساند الموفق في إحباط سعي أخيه الخليفة المعتمد في مسيره نحو أحمد بن طولون في مصر، وشارك الموفق في معركة الطواحين ضد خمارويه، (الطبري، تاريخ الطبري، ج٩/ص٦٦٧).

(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣/ص٤١٢.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١/ص١٧٣.

(٧) الكندي، الولاة والقضاة، ص٢١٧؛ المقريزي، الخطط، ج١/ص١٠٣.

(٨) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣/ص٤٢٢.

تعرض أحمد بن طولون الى ازمة صحية وهو في أنطاكية بسبب لبن الجواميس، الذي أكثر منه، فأصابه منه هيضة،^(١)، ودخل الفسطاط يوم الخميس شهر جمادى الآخرة سنة (٢٧٠هـ/ ٨٨٣) زادت عليه شدة المرض، فأمر الناس بالدعاء له، فغدا الناس بالدعاء له إلى مسجد محمود بسفح المقطم يوم الإثنين لستّ خلون من شوال سنة سبعين، وحضر معهم القصاص، فدعوا له، ثم غدوا أيضاً اليوم الثالث مع النساء والصبيان، وأقاموا على ذلك أياماً، حتى مات ليلة الأحد في العاشر من ذي القعدة سنة (٢٧٠هـ - ٨٨٣م)، ولما سمع الخليفة المعتمد بوفاته اشتد حزنه عليه وقال يرثيه^(٢)

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَسَى عَزَانِي كَوْفَعِ الْأَسَلِ
عَلَى رَجُلٍ أَرْوَعَ يُرَى فِيهِ فَضْلُ الْوَجَلِ
شِهَابٌ خَبَا وَقُدُّهُ وَعَارِضٌ غَيْثٌ أَقْلِ
شَكَتْ دَوْلَتِي فَقُدَّهُ وَقَدْ كَانَ زَيْنَ الدُّوَلِ

دام حكم أحمد بن طولون في مصر والشام اثنا عشر عاماً^(٣)، خلفه ابنه خمارويه، استلم حكم مصر والشام وهو ابن عشرين سنة، على صلاتها وخراجها، بايعه الجند يوم الأحد لعشر خلون من ذي القعدة سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م^(٤)، وامتدت مملكته من الفرات إلى حدود النوبة^(٥)، وأمر بإحضار أخيه العباس لبياعه، لكن الأخير رفض، فأدخل منزلاً من الميدان ولم ير بعدها أبداً^(٦)، ويذكر ابن خلدون "اجتمع أهل الدولة وخواص الأولياء كبيرهم أحمد بن محمد الواسطي والغالب على دولة الحسن بن مهاجر، فاتفقوا على بيعه ابنه أبي لجيش خمارويه، وأحضروا ابنه العباس من محبسه وعزاه الواسطي وهم ييكون. ثم قال: بايع لأخيك، فأبى، فقاموا وسحبوه إلى حجرة في القصر واعتقلوه بها، وأخرج من الغد ميتاً، وأخرجوا أحمد إلى مدفنه وصلى عليه ابنه أبو الجيش"^(٧)

(١) الهيضة: مرض يشبه الكوليرا يصيب الإنسان بالإسهال الشديد والهزال، (الحازمي، الكوليرا الهيضة في الخليج في القرن التاسع عشر أثارها الاجتماعية الاقتصادية، ص ٢٥٣-٢٧٠).

(٢) الكندي، الولاة القضاة، ص ١٧٢.

(٣) كرد علي، خطط الشام، ج ١/ ص ١٧٥.

(٤) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٧٣.

(٥) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج ٢/ ص ٣٧.

(٦) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٧٣.

(٧) تاريخ ابن خلدون، ج ٤/ ص ٣٩٦.

في عهد خمارويه ساءت العلاقة مع الخلافة العباسية ولا سيما مع ابي العباس ابن الموفق، وكان ذلك من تدبير أحمد بن محمد الواسطي الذي كان يطمح ان يكون كاتب خمارويه ليتحكم به كونه صغيرا، ويصبح هو من يدير امر الدولة، لكن خمارويه ارسله إلى الشام واستكتب محبوب بن رجاء بديلاً عنه، فأضمر شرا لخمارويه وكتب إلى ابن الموفق كتاباً يحثه الى المسير إلى مصر وقال: أنا أست أمر أبي الجيش والله لأهدمن ما كنت بنيت^(١)، وضمن الكتاب هذه الأبيات^(٢):

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَرْهُوبُ جَانِبُهُ شَمِرَ ذُيُولُ السُّرَى فَأَلَامُرُ قَدْ قَرَبَا
كَمْ ذَا الْفُغُودُ وَلَمْ يَفْعُدْ عَدُوَّكُمْ عَنِ الْقِتَالِ لَقَدْ أَصْبَحْتُمْ عَجَبَا
لَيْسَ الْمُرِيدُ لِمَا أَصْبَحَتْ تَطْلُبُهُ إِلَّا الْمَشْمَرُ عَنْ سَاقٍ وَإِنْ لَعَبَا

فكان من نتيجة ذلك معركة الطواحين^(٣) في فلسطين في صفر سنة (٢٧١هـ/ ٨٨٤)، وكان عدد جيش العباسيين أربعة الاف جندي فيما كان جيش خمارويه قد بلغ سبعين ألفا، ومع ذلك فقد انهزم خمارويه وهرب بجيشه، وترك أثقاله ونفائسه غنيمة سهلة لابن الموفق حتى وصل مصر، الا ان سعد الأعسر^(٤) احد قيادات خمارويه تمكن من هزيمة الموفق وطرده من معسكر الطولونيين^(٥)، ومن اجل توثيق العلاقة بينهما حدث التصاهر بين البيتين الطولوني والعباسي، فقد زوج خمارويه ابنته قطر الندى للخليفة المعتضد، وبعث معها بالأموال والتحف والجواهر^(٦).

في سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م ورد كتاب الخليفة المعتضد على خمارويه بولايته هو وولده ثلاثين سنة من الفرات إلى بركة، وجعل إليه الصلاة، والخراج، والقضاء، وجميع الأعمال على أن يحمل في كل عام من المال مائتي ألف دينار عن ما مضى، وثلاثمائة ألف عن كل عام للمستقبل، ثم قدم رسول المعتضد في شهر رمضان سنة ثمانين بالخلع وهي اثنتا عشرة خلعة،

(١) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٧/ص ٣٨٢ .

(٢) الكندي ، الولاة والقضاة،/ ص ١٧٤

(٣) الطواحين، موضع قرب الرملة من ارض فلسطين،(ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٧/ص٤٣٩).

(٤) سعد الأعسر، أحد قادة خمارويه البارزين، كان له دور بارز في معركة الطواحين، لكنه خرج عن طاعة خمارويه فيما بعد فقتله سنة ٢٧٣هـ،(ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٦/ص٣٤٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣/ص٦٣).

(٥) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب،ج٧/ص٣٨٣.

(٦) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج ١٦/ص ١٨٢.

وسيف، وتاج، ووشاح مَعَ خَادم يُدعى سنيف، وعقد المُعْتَصِد عَلَى قَطْر النَّدى بُنِت خُمَارَوِيه سنة إحدى وثمانين^(١)

قتل خمارويه على يد غلمانه في دمشق في سنة (٢٨٢هـ - ٨٩٥م)، وكان له من العمر اثنين وثلاثين عاما، وحمل في تابوت إلى مصر، وصلى عليه ابنه جيش^(٢)، وقيل إن مدة ولايته على مصر والشام والثغور كانت اثنتا عشرة سنة وثمانية عشر يوما^(٣).

ثم وَلِيَهَا جَيْش خُمَارَوِيه، فحكم مصر والشام والثغور^(٤)، وكانت أحوال الدولة الطولونية قد اضطربت بعد موت خمارويه ، بسبب تدخل الجند في الحكم إذ اشتعلت الثورات والفتن، وكان جيش ابن خمارويه صبياً صغيراً لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره^(٥) واستخلف على دمشق طغج بن جف الذي قام بأخذ البيعة لجيش من قادة الجند، وعاد جيش إلى مصر، لم يكن جيش على مستوى المسؤولية التي حملها للقيام بمهام حاكم مصر والشام والدفاع عن الثغور الشامية، كما لم تنحصر مشكلات الإمارة على سوء سياسة جيش بل أيضاً كان قد تسلم الحكم والخزانة فارغة، وزاد من مشكلات الإمارة تفكك أسرة الطولونية وتنافس أفرادها على الوصول إلى الحكم، لها في وقت قصير كانت بلاد الشام قد خرجت عن طاعة جيش وقام طغج بن جف بحكم بلاد الشام دون أن يقدم الطاعة للأمير وقطع الدعوة الخطبة من على منابرهم^(٦)، وتركه نحو ثلاثمائة من وجوه قواده، فلحقوا بالمعتضد، وكان أحمد بن طغان على الثغر، فخلع جيشاً، ثم وثب جيش على عمه نصر بن أحمد بن طولون، فقتله، فوثب به يرمش وصافي وفائق في أكثر الجيش والموالي، فخلعوه وبايعوا أخاه هارون بن خُمَارَوِيه، وجمع له القضاة، والفقهاء، والقراء، فتبرأ إليهم من بيعته وحلَّهم منها وأشهدهم على نفسه بذلك، وكان خلعه يوم الأحد لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م، فكانت ولايته تسعة أشهر واثنين عشر يوماً^(٧).

فقام الخليفة بخلعه وإسقاط اسمه من الخطبة والدعاء له على المنابر، فلم يأبه لذلك، كما اجتمع رجال أبيه وقرروا كذلك خلعه بعد أن تذكروا أفعاله، فجمعوا عدول البلد وأخبروهم بما قام به ، فقالوا: "ما مثل هذا يقد شئناً من أمور المسلمين، هجموا عليه وقتلوه وقتلوا كذلك

(١) الكندي ، الولاة والقضاة، ص ١٧٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢/ص ٣٥٠.

(٣) الكندي ، الولاة والقضاة، ص ١٧٧.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٧/ص ٤٩.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٨٨.

(٦) الكندي ، الولاة والقضاة، ص ١٧٧.

(٧) الكندي ، الولاة والقضاة، ص ١٧٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٩٠.

كاتبه... ونهبوا داره وأحرقوها... وقيل إن الجند وقع في أيديهم من النهب ما يملأ قلوبهم وعيونهم ما جعلهم يتركون الجندية وسكن الريف وصاروا إما مزارعين أو تجاراً^(١).

يدل موت جيش بن خمارويه على سوء الأحوال السياسية التي وصلت إليها هذه الدولة وخاصة أنه تولى حكم هذه الدولة وقد تركها أبوه خالية من الأموال وما قام به من أعمال منها قتل أعمامه ولجؤه إلى الشرب واللهو، مما أدى هذا الأمر إلى خروج القادة عليه، وقيامهم بالنهب والحرق والعزل والخلع، فلم يكن هذا الصبي قادراً على حماية هذه الدولة، فكانت وفاه أبو العساكر في العاشر من جمادي الآخرة سنة (٢٨٣هـ/ ٨٩٦م) استمرت فيها ولايته ستة أشهر وأثنى عشر يوماً، ويشير ابن تغري بردي إلى أن هارون أخو أبي العساكر هو من كان وراء مقتله وذلك بعد أن رفض أهل مصر ولاية أبي العساكر وقالوا "نريد أبا العشائر هارون"^(٢)، بينما ذكر المسعودي أنه ذبح بدمشق في ذي القعدة من سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م، وقد كان بنى في سفح الجبل أسفل من دير مروان قصراً، وكان يشرب فيه في تلك الليلة، وعنده طغج، وكان الذي تولى ذلك خادماً من خدمهم، وأتى بهم على أميال فقتلوا وصلبوا^(٣).

خلفه هارون بن خمارويه وكانت بيعته من غير عطاء للجند، وهو من الغرائب، وبايعوه طوعاً أو رسلًا ولم يمتنع عليه أحد^(٤)، الذي تعهد أن يحمل إلى الخلافة العباسية كل سنة مليون وخمسمائة ألف دينار^(٥)، وجعلوا مدبر دولته أبو جعفر بن أبي^(٦) فثبت ملكه بعد أن تم التخلص من جميع حاشية أخيه جيش^(٧) بيد أن أحوال البلاد كانت مضطربة، ولم يكن يرجي للدولة صلاح على يديه، وكان جند الدولة الطولونية قد فسد أمره وتفرقت وحدته، لأنه كان يتكون من فرق من الترك وأخرى من السود، وجماعات شتى هم أخلاط من المرتزقة ابرزهم الروم الذي كان أمرهم قد علا شأنهم وكانوا من خيرة القواد عقلاً وقدرة^(٨)، فحقد عليهم الباقون، وخاصة السود، يضاف إلى هذا أن ربيعة بن أحمد بن طولون، وهو عم هارون، قد أنكر ولاية هذا الغلام وحدته نفسه بطلب الولاية لنفسه، إلا أن هارون استطاع بفضل اعتماده على طوائف الجند من السود

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٩٣.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٩٣.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤/ص ١٥٨.

(٤) الكندي، الولاية والقضاة، ص ١٧٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٩٩.

(٥) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج ١٦/ص ١٨٣.

(٦) ابن الداية، المكافأة، ص ١٥٦.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٩٩.

(٨) الكندي، الولاية والقضاة، ص ٢٤١.

القضاء على عمه ربيعة وقتله^(١)، وفي ذلك الحين ورد على هارون خبر وفاة الخليفة المعتضد زوج أخته قطر الندى وذلك في ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م، وتولى ابنه محمد الملقب بالمكتفي^(٢) الخلافة مكانه^(٣) ما بدأت في الوقت نفسه حركة القرامطة تجتاح الشام، فتصدي لها هارون وارسل قواته وتمكن جنده من الثبات في وجه القرامطة فقتل من قواد المصريين وفرسانهم خلق كثير الأمر الذي استنفد فيه جانبا كبيرا مما كان قد بقى لجيشه من قوة^(٤)، في الوقت نفسه زادت الوحشة التي وقعت بينه وبين الخليفة المكتفي^(٥) الذي طمع في استعادة سلطانه على مصر، لذلك أسرع بندب القائد محمد بن سليمان للقيام بهذه المهمة، وكان محمد هذا من خدم أحمد بن طولون، إذ استخدمه لؤلؤ الطولوني كاتباً له^(٦)، فلما انحرف لؤلؤ عن بني طولون وانضم إلى رجال الخلافة العباسية انحرف معه محمد بن سليمان، ومازال أمره يرقى حتى أصبح في جملة القواد حتى ندبه المكتفي للقضاء على آخر الطولونيين^(٧)

وبينما كان جند العباسيين يستولى على أملاك الطولونيين في الشام^(٨) وثب عدى وشيبان ابنا أحمد بن طولون على ابن أخيهما هارون وقتلاه وهو ثمل في صفر سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م وهو لا يزال في الثانية والعشرين من عمره بعد أن دامت ولايته على مصر ثماني سنوات وثمانية أشهر ويضعه أيام^(٩)، وأنفرد شيبان عمه بالولاية ولقب بأبي المقانب^(١٠)، اختلف المؤرخون في أسباب وفاة هارون، فرواية ابن تغري بردي تنص على " أنه ذات ليلة في العباسية شرب وثل، فنام فاستغل الفرصة بعض غلمانه فقاموا بذبحه"، أما المقرئ فيقول، " أن هارون عندما تفرق عنه أصحابه وبقي منهم القليل تشاغل باللهو، فأجمع عمه شيبان وعدي بن أحمد بن طولون

(١) احمد، تاريخ واثار مصر الاسلامية، ص. ١٠٣.

(٢) الخليفة المكتفي بالله ابن المعتضد بالله ابي العباس احمد بن الموفق طلحة ابن المتوكل العباسي ببيع سنة

٢٨٩هـ/ ٩٠١م واستمرت خلافته ستة اعوام ونصف، (الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٣/ ص ٤٧٩)

(٣) المقرئ، الخطط، ج ٣/ ص ٣٢٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ ص ١١٠-١٢٧.

(٤) احمد، تاريخ واثار مصر الاسلامية، ص ١٠٣.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ ص ١١٠.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ ص ١١١.

(٧) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ١٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ ص ١٠٩.

(٨) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢٤٧.

(٩) المقرئ الخطط، ج ٣/ ص ٣٢٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ ص ١١١.

(١٠) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ ص ١٣٤؛ المقرئ، الخطط،

ج ٣/ ص ٣٢٢.

على قتله ودخلا عليه وهو ثمل فقتلاه^(١)، في حين يرى ابن الأثير^(٢) وأبو الفداء^(٣) " أنه وقع بين أصحاب هارون في بعض الأيام عصبية فاقتتلوا فخرج هارون يسكتهم فرماه بعض المغاربة بمزراق فقتله"، خلفه شيبان بن أحمد بن طولون الأمير ، تولى إمرة مصر، ونفرد شيبان بالولاية وكان أهوج جسيما، جلدا، شديد البدن في عفوان شبابه^(٤)، فصار يسرع في أموره، ويجزل العطاء للجند بعد استيلائه على ودائع أم هارون التي كانت قد خبأتها في دور بعض تجار الفسطاط^(٥)، واتصل القواد من اتباع هارون وانضموا الى القوات العباسية بقيادة محمد بن سليمان في العباسية، فأسرع دميانه قائد الأسطول المصري فنزل الفسطاط بثمانية عشر مركبا حربيا مشحونة بالرجال والسلاح فأحرق جسر مصر الشرقي وبعض الغربي^(٦) حتى تعزل الفسطاط عن الصعيد، وأقبل القائد محمد بن سليمان بمن معه ووقف دون الفسطاط، في الوقت الذي نهض فيه شيبان بمن بقى معه من الجند السود في محاولة يائسة لإنقاذ ملكه^(٧) حتى كاتبه محمد بن سليمان يؤمنه وأهله جميعا، فسار إليه بأهله تاركا جنده وهم لا يعلمون بتخليه عنهم وتفرق أمرهم^(٨)، أمر محمد بن سلمان بإحراق القطائع ونهب الفسطاط وانتهت ولاية شيبان التي لم تستمر سوى تسعة أيام، بل انتهت دولة بنى طولون بأكملها، واجتهد محمد بن سليمان في إزالة آثارها جملة حتى لم يبق منها شيء واستصفي أموالهم ونهبها^(٩) وحمل إلى بغداد جزء وسرق الباقي، ويقال أن الخليفة المكتفي قد حاسبه على ذلك، ولم يطل مقام محمد بن سليمان بمصر، بعد إن استبدله الخليفة المكتفي بعبسى النوشرى^(١٠)، وعادت مصر من جديد ولاية عباسية كما كانت من قبل بعد أن حكمها بنو طولون ثمانية وثلاثين عاما.

- سياسة الطولونيين في بلاد الشام:

- (١) المقرئزي، الخطط، ج٣/ص٣٢٢.
- (٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦/ص٥٤٣.
- (٣) ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٢/ص٦٠.
- (٤) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٣/ص١٣٥.
- (٥) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٣/ص١٣٤-١٣٥.
- (٦) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٣/ص١٣٦.
- (٧) محمود، حضارة مصر الاسلامية العصر الطولوني، ص١٦٤.
- (٨) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٣/ص١٣٧.
- (٩) ابن الداية، المكافاة، ص٤٢.
- (١٠) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٣/ص١٤٧.

اعتمد ابن طولون سياسة متوازنة بين الرعية والولاية تقوم على تثبيت هؤلاء الحكام والمتربصين على المدن شرط الطاعة والاعتراف به كما راعى مصلحة الشعب وأخذ برأيه، وعندما وصل حمص استقبله واليها عيسى الكرخي أحسن استقبال ورغب ابن طولون أن يثبتته على هذه المدينة لكن الأهالي ضجوا لسوء سيرة الكرخي فيهم وطلبوا من أحمد بن طولون عزله عنهم فما كان منه ألا أن استجاب لرغباتهم وعين يمن التركي بدلا عنه^(١)

وكانت خطته الحربية مبنية على التخفيف من الصدام المسلح بقدر الإمكان وعدم اللجوء الى القوة العسكرية بل يمكن لنا أن نقرر انه لم يرغب في استعمال السلاح وإذا ما أستعمل الشدة فكان مرده لتعنت أعدائه وكان يضطر للقائهم للمحافظة على سلطانه^(٢) , وأعظم دليل على ذلك موقفه مع سيما الطويل في انطاكية عندما عجز ابن طولون من الكتابة له في حملته الأولى سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م الى بلاد الشام فلم يثته ذلك عن تصميمه ومخاطبته فركب اليه ليخاطبه مشافهة وأشرف عليه سيما الطويل من برج من أبراج الحصن وجرت بينهما مخاطبات ولاطفه ابن طولون بكل لطف وحيلة وحلف له بكل يمين فأجابه سيما " لأن يلعب الصبيان برأسي فأحمد أثر عندي واحب الى قلبي من أن تلعب أنت بروحي"^(٣), وما أن رأى أحمد بن طولون رأس سيما بعد أن اقتحمت قواته حصن انطاكية المنيع حتى قال, " وقد علم الله جل اسمه اني كنت احب لك غيرها فأبيت فأنا بريء من دمك والله ما امرت بقتلك ولقد نهيت عنه فأحب الله جل ذكره فيك ما احب فأمضاه"^(٤)

هذه السياسة القائمة على صرف الأموال وزيادة العطاء والتوازن بين الحاكم والمحكوم والوصول الى الاهداف المرسومة بمختلف الطرق والأبتعاد عن القوة العسكرية قدر المستطاع واختيار الوقت المناسب لتحقيق الهدف كانت السياسة العامة لابن طولون في بلاد الشام وفي سبيل تدعيم مركزه في الشام والمحافظة على استقلاله ودولته فيها اعتمد نفس الأسلوب الذي سار عليه في مصر فكان يتقرب الى الأهالي بمختلف الوسائل ولم يترك مناسبة أو فرصة إلا واستغلها لإرضائهم وشعوره ان تدعيم حكمه واستمراريته لا يكون إلا بحب أهل البلد والتقرب منهم^(٥), وقد رافقت سياسته أعماله الاستقلالية في مصر فلقد سار خطوات كبيرة في كسب ود المسلمين ورضائهم والتقرب من المصريين فكان يفضلهم في تولي الوظائف واستكتب الكثيرين

(١) الكندي, الولاية والقضاء، ص ٢٢٠.

(٢) بدر , مصر الإسلامية, ص ١٢٣.

(٣) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ٩٤.

(٤) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ٩٤.

(٥) محمود، حضارة مصر في العصر الطولوني، ص ٥٧.

منهم ومنهجه في ذلك حسب قوله، "أن اصلح الأشياء لمن ملك بلدا أن يكون كاتبه منه وإن يكون شمل الكاتب فيه"^(١)، ولم يكن خمارويه بأقل اعتمادا على المصريين من أبيه أن لم نقل انه قد سبقه في هذا المجال فقد اكثر في جيشه من المصريين^(٢)، وهكذا عمل على زيادة العنصر الوطني في الجيش ومضاعفته كما انه شكل من العنصر العربي الخالص فرقة خاصة تعرف بالمختارة^(٣) ممن امتاز بالشجاعة والقوة واهتم بتدريبهم والعناية بهم وشكل هؤلاء قوة كبيرة متماسكة أشبه ما تكون بحرسه الخاص^(٤)

وسياسة ابن طولون في كسب ود الأهالي لم تقتصر على المسلمين بل تعداها الى الأقليات منه فلقد كان حظ اليهود جيدا أيضا نتيجة لهذا الاتجاه العام إذ سيطر هؤلاء على الحركة التجارية في المنطقة وأصاب يهود مصر والشام ثراء عظيماً من جراء اشتغالهم بالتجارة والصيرفة في أسواق الفسطاط والقطائع ودمشق وغيرها^(٥)، رغم انهم كانوا قلة فقد تلقوا كل عناية واهتمام^(٦) وأدوا أدوارا مهمة في الحضارة الطولونية ومشاريعها العامة، وهذا الاتجاه ظهر واضحا بجلاء في بلاد الشام ففي كل مدينة دخلها ابن طولون ترك بها أثرا حسنا يعطي تصورا كاملا لسياسته القائمة على التودد والتقرب من الأهالي والاعتماد على دعمهم له للمحافظة على كيانه والوقوف بوجه أعدائه والقوى الكثيرة التي واجهته، عندما وصل دمشق في حملته الأولى سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م حتى وقع بها حريق عند كنيسة مريم وركب ابن طولون فورا في اتجاهه ومعه أبو زرعة عبدالرحمن^(٧) بن عمرو الحافظ الدمشقي وأبو عبدالله أحمد بن محمد الواسطي كاتبه، فما كان منه ألا أن امر بسبعين الف دينار من ماله توزع على المتضررين من جراء هذا الحريق^(٨) وأراد أن يعطي الشعب ثقته وهو يطمع بدوره لكي يعطيه هذا الشعب حبه وثقته أيضا وبهذا الدليل الأكيد على مدى اهتمامه لكسب ود هذه الجماهير الدمشقية، ولم يكتف ابن طولون بذلك بل انه امر بمال كبير أيضا وزعه على الفقراء من أهل دمشق والغوطة حتى أصاب الواحد من

(١) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ١٠٧.

(٢) المقرئ، الخطط، ج ١/ص ٥٨٠.

(٣) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٥٩.

(٤) محمود، حضارة مصر في العصر الطولوني، ص ٩٨.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٨٣.

(٦) محمود، حضارة مصر في العصر الطولوني، ص ٥٨.

(٧) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٣.

(٨) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٧١/ص ٢١٩.

هؤلاء المستورين ديناراً على الأقل^(١) ولم يبق من لم يأخذ، ولم يترك دمشق ألا بعد أن احسن الى أهلها إحساناً بالغاً فزاد تعلقهم به وتقضيلهم له على الولاة العباسيين حتى قيل أن ابن طولون لعدله وحسن سياسته في بلاد الشام فضله الناس على بعض الخلفاء^(٢)

أن أحمد بن طولون، قد تبع سياسة تثبيت القادة على مدنها التي كانوا يتولونها من قبل، فبعد وفاة اماجور سنة (٢٦٤هـ/٨٧٨م) تولى ابنه مكانه فتجهز أحمد بن طولون ليسير الى الشام فيملكه فكتب الى ابن اماجور يذكر له ان الخليفة قد اقطعه الشام والثغور فأجابه بالسمع والطاعة وسار أحمد واستخلف بمصر ابنه العباس فلقبه ابن اماجور بالرملة فأقره عليها وسار الى دمشق فملكها وأقر قواد اماجور على اقطاعهم وسار الى حمص فملكها وكذلك حماة وحلب وراسل سيما الطويل بأنطاكية يدعوه الى طاعته ليقره على ولايته فأمتنع فعاوده فلم يطعه فسار أحمد بن طولون فحصره بأنطاكية وكان سيء السيرة مع اهل البلد فكاتبوا أحمد بن طولون ودلوه على عورة البلد فنصب عليه المجانيق وقاتله فملك^(٣).

اما الثغور الشامية فقد ربطت أحمد بن طولون بها علاقة قديمة، وكان كثير التردد على طرسوس، وكان محباً للغزو، فقد سأل الوزير عبيد الله بن يحيى ان يكتب له برزقه الى الثغر، وعرفه رغبته في المقام به، فأجابه الوزير الى ذلك وكتب له به، وخرج فأقام بطرسوس مدة^(٤)، ومن المؤكد أن هذه المدة التي أقام فيها أحمد بن طولون في منطقة الثغور قد ولدت فيه حب الغزو والجهاد والمرابطة، لذلك فإن أحمد بن طولون ما انفك يتحين الفرص بعد ولايته مصر لضم الثغور الشامية الى ملكه، ويعلق البلوي على حب أحمد بن طولون للثغور بقوله، "كان أغلب البلدان على قلبه محبة وأثرها عنده"^(٥)

وهكذا فقد أدت الظروف التي عانتها الثغور الشامية دوراً كبيراً في اسناد الثغور الشامية الى أحمد بن طولون سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م، وأنفذ إليها طخشي بن بلبرد، ووصاه بحسن العشرة لهم وجميل السيرة فيهم واحتمال هفواتهم، ففعل وحسنت سيرته بطرسوس، فأقام بها الى أن مات فاغتم عليه أهل طرسوس وسائر الثغور^(٦). ويعلق ابن الأثير على فرح أحمد بن طولون لتوليته

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٤.

(٢) كرد علي، خطط الشام، ج ١/ص ١٧٤.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٦/ص ٣٥٣.

(٤) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٣٥.

(٥) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٤٧.

(٦) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٩١؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢٢٤.

الثغور بقوله: "كان أحمد بن طولون قد أدمن الغزو بطرسوس قبل أن يلي مصر فلما ولي مصر كان يؤثر أن يلي طرسوس ليغزو منها أميراً"^(١)، فقام بضم المصيصة^(٢) و أذنة^(٣) ومنها سار أحمد بن طولون إلى طرسوس، ويذكر البلوي أن أحمد بن طولون دخل طرسوس في جمع عظيم وعز منيع^(٤)، وقام بتقديم المساعدة لأهلها حيث قضى حوائج أهل البلد في كل ما سألوه فيه وأرادوه ، وبلغ لهم كل ما أحبوه، وكثر الدعاء له والضجيج بذلك في الجامع والمطرقات، وخرج إلى مضربه وخرج أهل البلد كلهم معه يشيعونه ويدعون له، ورحل عنهم، فبلغ ذلك ملك الروم وما كان من أهل طرسوس فعله، فعظمت هيبة الثغر في قلبه^(٥)، لم يبق طويلا في الثغور بسبب ثورة ابنه العباس عليه في مصر اضطرته العودة إلى مصر سنة ٢٦٥هـ / ٨٧٨م، لإخماد هذه الثورة ومن ثم العودة لاستكمال مهامه في الجهاد ضد البيزنطيين^(٦).

وهكذا تمكن ابن طولون من توسيع رقعة دولته حتى وصلت في آخر أيامه الى حدود العراق وجبال طرسوس وطرابلس في الغرب وزاد نفوذه باعتماده على قوة القطرين البشرية والاقتصادية فلم يتوفر لعامل من عمال مصر مثل هذه السلطة والقوة وهكذا جعل من مصر والشام حصن الإسلام وخط دفاعه الأول^(٧)

هناك وصية أحمد بن طولون قبل وفاته لابنه ابي الجيش، وهي وثيقة تاريخية خلدت مفهوم السلطة والحكم عند أحمد بن طولون، قال له: يا بني اني لم ادفع الحنث في يمين البيعة الا بما كنت احملة الى امير المؤمنين المعتمد خاصة وهو مائة الف دينار في كل سنة ذكر لي فيما كاتبني به انها تكفيه فكان حملي هذا المال يقينا الحنث في يمين البيعة بيعته فلا تؤخرها عنه ولا تقطعها ولو أعيتك الحروب وواصلتك فلا تغفل حملها وما يقاومها فانك تدفع بها حنث هذا الجيش بأسره في يمين البيعة وتشرح بها صدورهم في قتال من قصدك ممن قهر الخليفة ومنعه أمره وتصرفه في انفاذ حكمه وجميع امره والله بكرمه يكفيه ثم عطف على ابي الجيش

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦/ص٣٤٧.

(٢) المصيصة: مدينة من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم، تقارب طرسوس، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥/ص ١٤٥).

(٣) آذنة، بلد بالثغور قرب المصيصة، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١/ص ١٣٢).

(٤) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٩٧.

(٥) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٩٨.

(٦) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢٢٠.

(٧) محمود، حضارة مصر في العصر الطولوني، ص ٩١.

فقال له: يا بني لا تعدلن عن مشورتني عليك فلن تجد ابدا انصح لك مني قد خلفت دخل بلدك يزيد على ما ينوبك بجيشك وسائر مؤنتك فلا تطلقن فيه يدا بجور فيختل امرك بخراجه ولا تقبل بنصيحة من يتصح لك بما يؤول الى خراب بلدك والاحجاف بمعاميلك فيه فإنه عدو مبين من حيث لا تعلم فأنبذه عنك ولا تقربه منك وقد خلفت لك رعيته لا يطلبون منك الا لين الجانب والأمن من المخاوف ولم اكن امنعهم لين جانبي بخلا به عليهم ولكني أثرتك على نفسي بمنعي لهم لين جانبي والأمن من مخافتي فأستعمل انت ذلك معهم فتملك (١)

اما وصيته لقواده وغلماؤه، فقد نصت " قد وطأة لكم المهاد بهذه الدولة وخلفت لكم من عدتها ما يكفيكم فأطرحوا الأحقاد بينكم واسقطوا التحاسد واتركوا الاستنثار ولتكن كلمتكم واحدة وجماعتكم كرجل واحد ولا تغتروا بمخازيق اهل العراق ومواعيد من يطلب سيئاتكم فليس يرأسكم ابدا مثلي ولا احن مني ومن ولدي عليكم فلا تخفروا ذمتي واحفظوا صحبتي وتربيتي لأكثركم وإيثاري وأحساني وتقضي لي لجماعتكم وهم يحلفون له ويكون بأجمعهم". (٢)

بعد وفاة أحمد بن طولون تولى ابنه خمارويه مكانه، فكان عليه الدفاع عن الدولة التي في مصر والشام (٣) والأهم من ذلك الإبقاء على حكم الشام في يده باعتبارها منطقة الدفاع الأمامية لمصر والمجال التجاري المهم لها، لذلك قام بتنظيم أمورها وشحنها بالجيش وجعل قيادتها إلى قائده أحمد بن دو غباش (٤) الذي ولاه واليا على دمشق، لكن هذا الأخير سرعان ما أظهر الدعوة للموفق وانضم إلى التحالف المناوئ للدولة الطولونية والذي تمثل في إسحاق بن كنداج، ومحمد بن أبي الساج اللذان دفعا الموفق على محاربة الدولة الطولونية، فاستطاعوا السيطرة على الرقة والشغور والعواصم (٥) وطردوا عامل الطولونيين منها وتابعت الجيوش العباسية تقدمها حتى وصلت دمشق واستولت على حمص، وهكذا تزعزعت السلطة الطولونية في بلاد الشام، وكان على خمارويه أن يتصدى لهذا الأمر لإعادة سيطرته على بلاد الشام، فجهز لهذه الغاية جيشين الأول بقيادة أحمد بن محمد الواسطي، والثاني بقيادة سعد الأيسر (٦) كما بعث

(١) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ٣٣٨-٣٤١.

(٢) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ٣٣٩.

(٣) زيود، دول بلاد الشام ومصر في العصر العباسي الثاني، ص ٣٧.

(٤) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ٣١٥.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧/ص ٤١٠-٤١٥.

(٦) سعد الايسر، ولي امرة دمشق نيابة عن ابي الجيش خمارويه بن طولون سنة ٢٧٣هـ، (ابن منظور، مختصر

تاريخ دمشق، ج ٢/ص ٢٤٢).

مراكب كثيرة في البحر كانت مقيمة بسواحل الشام^(١) فاستطاعت القوات الطولونية استرداد مدينة دمشق، ومناطق عديدة من بلاد الشام حتى وصلت إلى شيزر^(٢) إذ وقع صدام غير حاسم بين القوات العباسية والقوات الطولونية التي انهزمت بسبب وصول مدد للقوات العباسية بقيادة الموفق^(٣) فتوجهت إلى دمشق ثم إلى الرملة، بسبب ملاحقة القوات العباسية التي سيطرت على دمشق سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م ، عندما علم خمارويه بما حصل قرر الخروج بنفسه على رأس جيشه إلى الرملة إذ التقى هناك بالجيش العباسي قرب ماء يعرف بالطواحين^(٤) في معركة غير متكافئة هُزم فيها جيش خمارويه الذي "مضى خُمارويه على وجهه إلى القُسطاط"^(٥)، بينما كان أفراد الجيش العباسي يجمعون الغنائم ويعيشون فرح النصر، قام الجيش الذي يقوده سعد الأيسر بمهاجمة قوات أبي العباس للموفق، فاضطرت إلى التراجع نحو طرسوس، بينما استعاد سعد الأيسر كافة المناطق في الشام، وأعادها لطاعة خمارويه، فأرسل البشائر إلى مصر، فسر خمارويه كثيراً وأقيمت الاحتفالات^(٦)، ان أهم ما أسفرت عنه هذه المعركة هو إعادة السيطرة الطولونية على بلاد الشام، وتقرير مصيرها لمدة عشرين سنة، استقر الأمر في الشام للطولونيين بعد معركة الطواحين، وظهرت عبقرية سعد الأيسر وحسن سياسته بالتقرب والتودد إلى الأهالي، وحسن معاملته لهم، فعمل على نشر الأمن والاستقرار وامن بذلك طريق الحج^(٧) . إلا أن الأوضاع في المنطقة والتدخل لعباسي المستمر جعلته ينجح إلى النزعة الاستقلالية. فأخذ يعمل لمصلحته، متهماً خمارويه بالجبن والتخاذل والانشغال باللهو، علم خمارويه بما كان يحاك ضده من قبل سعد الأيسر، لذلك قرر التخلص منه، فسار من مصر حتى وصل الرملة إذ قتله سنة ٢٧٢هـ / ٨٨٥م اضطرب أهل دمشق لمقتل واليهم فثاروا ضد خمارويه ولعنوه، فما كان منه إلا أن اتجه لدمشق وبقي فيها مدة تمكن من استرداد سلطته عليها، ثم بدأ يتقرب إلى أهلها، إذ وزع عليهم الأموال، وساعد الفقراء والمساكين وأهل العلم، واهتم بطرق الحج، فركنت البلد إلى لهدوء^(٨) ، حتى سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م، عندما عادت الأمور إلى التآزم بسبب مطامع ابن كنداج وابن أبي

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧/ص ٤١٠-٤١٥.

(٢) شيزر قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينهما وبين حماه يوم،(ياقوت الحموي، معجم البلدان،

ج٣/ص٤٣٤)

(٣) شاكر، جنوب بلاد الشام، ص ٣١.

(٤) المقرئ، المقفى الكبير، ج ١/ص ٥٢٠

(٥) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٧٤

(٦) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢٣٩.

(٧) زيود، العلاقات بين مصر والشام، ص ١٢٧.

(٨) الصفدي، الوافي بالوفيات، ص ٢٦٠.

الساج، فخرج خمارويه إلى شمال بلاد الشام للتصدي لهما، فصالح ابن أبي الساج بينما الحق الهزيمة بآبن كنداج عند الرافقة قرب الرقة على الفرات، فاضطر للتوجه نحو سامراء .

كانت نتيجة هذه الحروب التي استمرت منذ أن تولى خماروي الحكم حتى سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م ، والتي لم يستطع العباسيون وحلفاؤهم من خلالها تحقيق مطامعهم في القضاء على الدولة الطولونية أو إبعادها عن الشام، الصلح مع الموفق^(١) بعد أن كاتبه خمارويه، فكتب لخمارويه كتاباً موقعاً من الخليفة المعتمد والموفق وابنه بأن الشام ومصر له ولولده مدة ثلاثين سنة، فحصل بذلك على اعتراف رسمي بولايته على الشام ومصر، فأمر بالدعاء لأبي أحمد الموفق^(٢)، اعتقد خمارويه أن أمور الشام قد استقرت، فغادرها إلى مصر، ولم يكد يصلها حتى بلغه خروج ابن أبي الساج فخرج إليه، والتقى معه عدة مرات، كان آخرها في ثنية العقاب^(٣) على مشارف الشام، فهزمه وأعاد السيطرة على بلاد الشام^(٤).

استقرت الأوضاع في الشام بعد أن قضى خمارويه على أعدائه، كما تحسنت العلاقات بين الخلافة العباسية والطولونية، وفي سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م توفي الموفق ثم توفي الخليفة المعتمد سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، فبويع أبو العباس بن الموفق بالخلافة ولقب بالمعتضد فأرسل إليه خمارويه الهدايا والتعاني، فأرسل إليه الخليفة سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م كتاباً بولايته هو وولده على المنطقة الممتدة من الفرات إلى برقة^(٥) لمدة ثلاثين عاماً، وجعل إليه الصلاة والخراج، على أن يحمل له من المال مائتي ألف دينار عن كل عام مضى، وثلاثمائة ألف عن كل عام آت^(٦) ، توج خمارويه انتصاراته السياسية بربط البيتين الطولوني والعباسي برباط المصاهرة وهو الذي عرف عنه ولعه بالتترف والإسراف والبذخ لحد انهك الدولة وساهم في أسقاطها في بناء القصور الكثيرة في الشام إذ أقام على كل مرحلة من مراحل انتقال ابنته (قطر الندى)^(٧) من

(١) ضيف، عصر الدول والامارات والشام، ص ١٨.

(٢) الكندي، الولاية والقضاة، ص ٢٤٠.

(٣) ثنية العقاب: تشرف على غوطة دمشق وتقع على الطريق من دمشق الى حمص: (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢/ص ٨٥).

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٦/ص ٥٣.

(٥) شاكر، جنوب بلاد الشام، ص ٣٣.

(٦) الكندي، الولاية والقضاة، ص ٢٤٠.

(٧) قطر الندى: اسماء بنت خمارويه تزوجت من الخليفة المعتضد سنة (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) كانت شديدة الجمال وادب وعقل قيل قدمت مع عمها الى بغداد وقيل مع عمتها وكان المعتضد يحبها حب شديد: (ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢/ص ٢٥٠).

مصر الى العراق قصرا جعله مقرا لها واستراحة لموكبها أثناء سفرها للخليفة المعتضد وقيل انه كان بكل قصر من هذه القصور كل ما كان بقصور أبيها في القطائع^(١) وكانوا يسيرون بها سير الطفل المدلل فاذا وافت الاستراحة المخصصة وجدت قصرا قد فرش فيه كل ما تحتاج اليه وعلقت فيه الستور وأعد به كل ما هو لائق بها حتى أنها كانت في مسيرها من مصر الى بغداد وكأنها في قصر أبيها الى أن دخلت بغداد وزفت الى الخليفة المعتضد^(٢)، وجهزت قطر الندي بجهاز لم يكن له مثيل.

وخطى خمارويه بن أحمد بن طولون على سيرة أبيه في حكم بلاد الشام، مركزا بالدرجة الاولى على كسب ود الناس، والعطف على الفقراء منهم، وكان له مع فقراء الشام نوادر كثيرة اوردت المصادرات تدل على حسن سياسته ويصف الصفدي خمارويه بقوله "كان مفرط الجود لا يبالي بما يطلق من الأموال، وكان أوسع صدراً وأكثر نفقة من أبيه"^(٣)، فيما وصفه ابن سعيد بقوله "كان محسناً لسائر من يرد عليه"^(٤)

وكان خمارويه كثير التجوال في دمشق، كثير الرحلات بين مصر والشام، وكان يقوم بزياراته المتكررة الى الشام يتفقد فيها رعايا دولته ويطمئن على اوضاعهم. ويذكر الصفدي ان خمارويه زار دمشق سنة ٢٧٠هـ/٨٨٦م، قام خلالها بتفريق الاموال الكثيرة على الفقراء، والمساكين والمستورين واهل العلم، فاستمال اليه اهل دمشق واحبوه، كما انه بعث الى طريق الحج من اشرف عليها ونشر الامن فيها^(٥).

وعندما تولى جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون، الحكم بعد مقتل أبيه، وكان جيش هذا صبيّاً لا يحسن أمور السياسة فحرب الأحداث وأخذ إلى استماع أقوالهم، فغيروا نيته على قادته وأصحابه، وأخذ نعمهم وأموالهم، مما كان له أكبر الأثر في إشاعة الفوضى في أنحاء الدولة الطولونية^(٦)، ويروي ابن سعيد، ان جيش بن خمارويه قام أفعال، لا يجدر بقائد أن يقوم بها^(٧)، وفي ظل هذه الأوضاع التي وصلت إليها البلاد، كان لابد من وضع حد ونهاية لقيادة جيش بن خمارويه، فما كان من قادة الجند إلا أن عملوا على قتله والتخلص منه

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٦٢.

(٢) المقرئ، الخطط، ج ١/ص ٦٠٠.

(٣) الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج ١/ص ٣١٨.

(٤) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ١٣٦.

(٥) الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص ٣٢٥.

(٦) المقرئ، الخطط، ج ١/ص ٦٠٥.

(٧) المغرب في حلى المغرب، ص ١٤٣.

سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) ^(١) وقد شهدت فترة حكم جيش هذا والتي لم تدم سوى تسعة أشهر، حالة من الفوضى في مختلف نواحي الدولة، وخاصة في الجيش الطولوني، الذي كان الدعامة التي ارتكزت عليها الدولة الطولونية ^(٢). ويعلق المقرئزي على أوضاع الجند في عهد جيش بن خمارويه "... إن منهم من ترك الجندية وصار مزارعاً أو تاجر" ^(٣).

تولي هارون بن خمارويه الحكم بعد مقتل أخيه جيش في جمادي الآخرة سنة ٢٨٣هـ/حزيران ٨٩٦م ^(٤) وكان عمره عشرين ^(٥)، وعلى الرغم من أن هارون هذا لم يكن أهلاً لقيادة الدولة في هذه الظروف، إلا أن قادة الجيش كانوا مضطرين لتتصيبه لتهدئة الأوضاع في البلاد.

عمل هارون بن خمارويه على إعادة بلاد الشام إلى حظيرة الدولة الطولونية، فما أن تولى السلطة حتى أرسل جيشاً إلى دمشق عليه بدر الحامي، والحسن بن أحمد الماذرائي، فتفاوضا مع طنج بن جف، الذي وافق على مبايعة هارون بن خمارويه مقابل بقاءه في منصبه ^(٦) وعلى الرغم من ذلك فإن التدهور والاختلال استمر في الدولة وخاصة في صفوف الجند، فقد استولى كل قائد من القادة على طائفة من الجند، وبذلك تشتت القوات العسكرية وضعف أمرها وفي سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨ م، أرسل هارون بن خمارويه إلى الخليفة المعتضد طالباً منه الاعتراف بإمارته على ما في يده من أراضي، إلا أن المعتضد لم يوافق على ذلك إلا بعد أن اشترط على الطولونيين عدة شروط منها: إرسال ٤٥٠ ألف دينار في كل سنة ^(٧)، وأن يتنازل الطولونيون عن أعمال حلب وقنسرين والعواصم والثغور ^(٨). كما اشترط المعتضد على هارون أن يقيم شخصاً من قبل الخليفة في مصر للإشراف على شؤون الطولونيين فيها". إن موافقة هارون بن خمارويه على إقامة شخص من قبل الخليفة في مصر لمراقبة الأوضاع فيها، والإشراف على شؤون الطولونيين، توجي بمدى حالة الضعف والتدهور التي وصلت إليها البلاد. كما أن تنازل الطولونيين عن مناطق واسعة في بلاد الشام يدل على أنها بدأت بالخروج من

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ١٤٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٦/ص ٤٩٠.

(٣) المقرئزي، المقفى الكبير، ج ٣/ص ١١٧.

(٤) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢٤٢.

(٥) النويري، نهاية الارب، ج ٢٨/ص ٣٣.

(٦) المقرئزي، المقفى الكبير، ج ٢/ص ٢٣٢.

(٧) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج ٢٢/ص ٣٥٥.

(٨) الطبري، تاريخ الطبري، ج ١٠/ص ٧١.

أيدي الولاة الطولونيين، وهو دليل واضح على انحسار السيطرة الطولونية عن البلاد الشامية وعلى الرغم من الشروط السابقة التي فرضها الخليفة المعتضد على هارون بن خمارويه، إلا أن الأخير أرسل إلى المعتضد يخبره بموافقته على هذه الشروط والتزامه بتنفيذها^(١)، عندئذ سار المعتضد في جمادي الأولى ٢٨٦هـ/أيار ٨٩٩م، تسلم حلب وقنسرين والعواصم والثغور^(٢). وهكذا فلم تأت سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م، حتى كانت مناطق شاسعة في شمالي الشام قد خرجت من السيادة الطولونية، لتنتقل إلى السيطرة العباسية. ولا شك أن ذلك يدل على أن العباسيين كانوا جادين في تخليص هذه المناطق من أيدي الطولونيين، وأنهم إنما كانوا يتحينون الفرص للقيام بهذه المهمة.

٢- التخليد العسكري

- الجيش الطولوني وبنائه التنظيمي

يتكون الجيش الطولوني من عدة عناصر من الأتراك ومن السودانيين، ومن العرب^(٣)، والنوبيين^(٤)، والموالي^(٥)، وكان هؤلاء يقدمون فروض الطاعة والولاء^(٦)، وبنى لهم القطائع وأحياء خاصة بهم وسميت بأسمائهم^(٧)، بلغ تعداد جيش ابن طولون مائة ألف جندي، وقيل أنه "بلغ ٢٤ ألف مملوك من الترك و ٤٠ ألفاً من السود من بلاد النوبة و ٧٠٠٠ من المطوعة"^(٨).

ان تنوع عناصر جيشه كان الهدف منه ضمان ولائهم وحتى لا تغلب على الجيش عنصر فيستبد به، لأن هذه العناصر لا تجمعها أية روابط ماعدا رابطة الولاء لأحمد بن طولون^(٩)، ذكر البلوي أن عدد الجيش الذي أرسله أحمد لإخضاع ابنه العباس قدر بمائة ألف^(١٠)، وعندما أرسل أحمد كتابه إلى المعتمد يعرض حمايته وإنقاذه من استبداد الموفق ويهدد

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١/ص ٨٤.

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج ١/ص ٥٣.

(٣) كاشف ومحمود، مصر في عصر الطولونيين والاشيدين، ص ٢٦.

(٤) مشكبية، السودان عبر القرون، ص ٣٩.

(٥) علي، الاسلام والحضارة العربية، ج ٢/ص ٢٤٤.

(٦) حتي وآخرون، تاريخ العرب مطول، ج ٢/ص ٥٤٤.

(٧) المقرئ، الخطط، ج ١/ص ٣١٥.

(٨) كاشف، احمد بن طولون، ص ١٢٦.

(٩) محمود، حضارة مصر الاسلامية، ص ٤٧.

(١٠) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ١٤٨.

الموفق بإرسال مائة ألف^(١)، نال الجيش الطولوني اهتماما كبيرا من قائده أحمد بقوله: "هؤلاء الغلمان فهم عدتي وينتسبون إلى انتساب الأبناء إلى الأباء... فأنا أؤثرهم بم يحبون وارتفع أنا عنه كما أنهم يوثرونني في أوقات التضايق على نفوسهم فيذلون في مهجهم دون مهجتي"^(٢)، اتصف الجيش الطولوني بالخلاص لقائده أحمد بدليل أنه لم تحدث في أيامه ثورة تنسب إلى تخلفهم عليه^(٣)، لقد ذكر البلوي اهتمام أحمد بأرزاق جيشه حتى في مرضه فعندما اشتدت علته تقدم إلى ابن مهاجر^(٤) في إطلاق رزق سنة للجيش في بيعة أبي الجيش بعده، فظن ابن هاجر أن ذلك من اختلاط العلة، فأهمل العمل به، فلما كان من غد يومه ساله عما صنع في ذلك، فقال له: ما خرج الحساب من أيدي الكتاب بعد،... فقال أحمد لابن مهاجر إنما أردت أن يعلم الجيش أنه قد حصل لهم مالا يسح ببعضه من يحاربهم ويكاثرهم فتكون أيديهم وقلوبهم قوية"^(٥)، فقد بعث إلى قائده بهم بخلع وطوق من ذهب، بعد انتصاره على ابن صوفي، الذي خرج سنة (٢٥٦هـ/٨٦٩م) بصعيد مصر^(٦)، وعندما فتح ابن طولون الشام انضم إلى جيشه جنود الأقاليم واجه صعوبة في تدريبهم بالطريقة نفسها التي اتبعها مع جيشه في مصر^(٧).

كان أحمد بن طولون يقوم باستعراض الجيش في مناسبات الاحتفالات والأعياد فكان بقصره مكاناً يشرف على الجيش في يوم عرضه^(٨)، وعند وفاته خلف لابنه جيشاً عظيماً، كما أوصاه بالحفاظ عليه وأن يبقيه متحداً ويحافظ على الولاء لدولته، وعليه إدراك أنهم من صناع هذه الدولة فقال: قد وطأتكم المهاد بهذه الدولة وخلفت لكم من عدتها ما يكفيكم فاطرحوا الأحقاد بينكم وأسقطوا تحاسد ولتكن كلمتكم واحدة جماعتكم كرجل واحد^(٩). ومن إحدى الوصايا التي

(١) كاشف، أحمد بن طولون، ص ١٢٧.

(٢) البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص ١١١.

(٣) زكي، الجيش المصري في العصر الإسلامي من الفتح العربي إلى معركة المنصورة، ص ١٤.

(٤) الحسن بن مهاجر بن أبي المهاجر موسى بن محمد بن أبي المهاجر أيوب بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى بن سعد، ولد بالرقّة، وكان أبوه متوكلاً للحسين الخادم المعروف بـ «عرق الموت» في ضياعه. فلما تقلّد الحسين البريد بمصر اتخذ كاتباً، ولما أراد أحمد بن طولون استبدال كاتبه أحمد بن مفضل بسبب كذبه واحتاج من يقوم مقامه، فذكر له حسن بن مهاجر هذا، فأحضره وجعله كاتبه وأعطاه مائة ألف دينار، (المقريزي، المقفى الكبير، ج ٣/ص ٢٥٩).

(٥) البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٣٦.

(٦) كاشف، أحمد بن طولون، ص ١٢٩.

(٧) كاشف، أحمد بن طولون، ص ١٢٩.

(٨) زكي، الجيش المصري، ص ١٣.

(٩) البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٣٩.

تدل على أنه قد ترك أموالاً للجيش قوله: يا بني في حاصلي ألف ألف دينار وسبعمائة ألف وهي غير الوديعة، يكون ذلك لعطاء جيشك وما عسى أن يعرض لك عند مقاومته من قصدك^(١)، وكان الجند زمن أحمد بن طولون يستعملون في قتالهم السيوف والمجانيق والقنابل الحارقة والنبال والقوس والرمح، ولإعداد أسلحة هذه الجيوش فقد خصص لهم مصانع لتمدهم بالأسلحة التي تحتاج إليها تلك الجيوش، فقد اهتم أحمد بن طولون بدور الصناعة وعهد إلى أبي كامل شجاع بن أسلم^(٢) بالإشراف عليها، واشترط أن تتوفر في إنتاج هذه الأسلحة الوثاقفة والجودة في الصنعة وتقدير الأحسن^(٣)، كما أقرن أهالي دمشق صناعة السيوف والقسي التي تميزت بالصلابة والرونق، مما أكسب دمشق شهرة في هذه الصناعة مما دفع خمارويه بأن يأمرهم بصناعة سبعة عشر سيفاً دمشقياً لغلمانهم مقابل سيوفهم التي تبرعوا بها للإعرابي الذي مدح خمارويه، واشتهرت أسرتان من الأسر المسيحية التي نسبت إليهم هذه السيوف وهم بنو المسابكي وبنو بولار^(٤).

وكانت الفرق المحاربة تصطحب معها الموسيقى، فتدق الطبول لبث الحماسة في نفوس المقاتلين^(٥). وبهذه القوات الضخمة تمكن ابن طولون من القضاء أول الأمر على الثورات المناوئة للعباسيين، مثل عصيان بغا الأصغر^(٦) في برقة والإسكندرية فهزمه وقتله^(٧) واستطاع بهذا الجيش من توسيع رقعة إمارته سنة (٢٥٣هـ / ٨٦٨م)، وزادت مساحتها عن مساحة الخلافة، فقد ضم ابن طولون برقة وطرابلس والنوبة والشام، وكذلك انطاكية وجبال طرسوس، وتمكن من الدفاع عن دولة الخلافة بصد عدوان دولة بيزنطة^(٨) وفي عهد أحمد بن طولون وخمارويه كان

(١) البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٤٠.

(٢) شجاع بن أسلم بن محمد بن شجاع الحاسب المصري أبو كامل كان فاضل وقته وعالم زمانه وحاسب أوانه، من كتبه (المساحة الهندسة) و (الجبر والمقابلة) و (طرائف الحساب) توفي نحو ٣٤٠هـ، (القحطبي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٦٣؛ الزركلي، الاعلام، ج ٣/ص ١٥٧).

(٣) محمود، حضارة مصر الإسلامية، ص ٢٠٩.

(٤) بيطار، الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام، ص ٣٣٦.

(٥) المقرئ، الخطط، ج ١/ص ٣١٨.

(٦) أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا، خرج فيما بين الإسكندرية وبرقة بموضع، يُقال له: الكنائس، ومعه ابن عم لجابر بن الوليد المُدَلّجِي وذلك في جمادى الأولى سنة ٢٥٥هـ، وسار في جمع معه إلى الصعيد فقتل بغا وأتى برأسه إلى القُسطاط، (الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٦٠).

(٧) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢١٨.

(٨) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٣/ص ٥٧.

هذا الجيش يسوده النظام والانضباط ، وبلغ رزق الجيش في أيام خمارويه تسعمائة ألف دينار في السنة ، وأجرى عليهم الأرزاق ووسع لهم العطاء^(١)،

عمل خمارويه على الاهتمام بالجيش بصفته القوة التي تمكنه من البقاء ومن أجل القوة والنفوذ ذلك بجلبه عناصر من الاتراك من بلاد ما وراء النهر، كما ضم إليه طائفة من المصريين^(٢) وعنى أيضا بتجنيد المقاتلة العرب وانتقى منهم من عرف بالشجاعة والشدة والبأس وضخامة الأجسام، واهتم بتدريهم وتنظيمهم وتسليحهم، وكون منهم فرقة خاصة عرفت في كتب التاريخ باسم المختارة^(٣)، يقول المقرئزي "وأعدّ لنفسه من مولّدي الضياع والحواف قوما سمّاهم المختارة أصحاب شجاعة وبأس شديد وخلق تامّ، ألبسهم الأقبية والخفّاتين الديباج والمناطق النقال العراض، وقلّدهم سيوفا محلّاة على أكتافهم ودرقا من حديد مصقول، وصاروا يمشون بين يديه محيطين به، وعدّتهم ألف. فكان إذا ركب أطاقوا به، وقدامهم على قدر نصف رمية سهم، ألف أسود عليهم البيض الحديد المصقولة من فوق رءوسهم، وعلى أكتافهم الدرق، وثيابهم أقبية سود بعمائم سود، فتكون له هيبة عظيمة، وكان تامّ الظهر إذا ركب كأنه قطعة جبل في وسط هؤلاء"^(٤)، ولم يبخل على أفراد هذا الجيش بالمال، فكان يمنحهم أعطيات منتظمة^(٥)، وعمل في الوقت نفسه على استرضاء أهل البلاد متبعا نفس السياسة التي سار عليها أبوه من قبل، فشمّل النصارى بتسامحه وظفروا في عهده بحريات لم يفوزوا بها من قبل، كما استمال قلوب المسلمين^(٦) من المصريين وأشركهم في الجيش كما ذكرنا، ولم يعدم الشعب أن يفيد من الرخاء الذي خيم على البلاد بصورة لم تشهدها مصر الإسلامية من قبل^(٧).

بعد وفاة خمارويه اختل نظام الجيش، وترك خمارويه خزانة دولة خالية^(٨)، فانقسم الجيش إلى فرق سادتها الفوضى، مما جعل ابن خمارويه يفقد السيطرة عليه مما أدى إلى فرار بعض القادة إلى العراق، كذلك لم يكن جيش بن خمارويه يتمتع بالحزم والشدة، فأصبح الجند يشكل في تلك الفترة أكبر أسباب الفوضى، وهذا بسبب أن العناية بمثل هذا الجيش تحتاج إلى

(١) ابن تغرى بردي، النجوم، ج ٣/ص ٥٩.

(٢) محمود ، حضارة مصر الإسلامية، ص ٩٩.

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ١/ص ٣١٨.

(٤) المقرئزي، المقفى الكبير، ج ٣/ص ٤٦٦.

(٥) محمود ، حضارة مصر الإسلامية، ص ١٠٠.

(٦) احمد، تاريخ واثار مصر الإسلامية ، ص ٩٧.

(٧) محمود، حضارة مصر الإسلامية، ص ١٠١.

(٨) محمود، حضارة مصر الإسلامية، ص ١٤٠.

أموال وتدريب وتسليح نفقات، وفي عهد جيش ابن خمارويه امتنع الجيش عن بيعته وكذلك هارون إذ تمت مبايعته من غير عطاء الجيش^(١)، وقد ذكر ابن تغري بردي أن هذا الأمر يعد من الغرائب^(٢)، أما شيبان فقد حاول أن يأخذ في العطاء للجند إلا أنه لم يجد من المال ما يكفيه^(٣)، ويبدو أن ضعف هؤلاء الخلفاء جعل الجيش في اضطرابات مما سبب الفرقة بين هذه العناصر وتولى الخلفاء الحكم في حادثة سنهم وعدم درايتهم بأمور الدولة مما جعل الجيش يمتنع من المبايعة الذي أدت إلى الفوضى العارمة في هذه الدولة.

الأسطول البحري:

أهتم أحمد بن طولون بالأسطول أهتماماً كبيراً، وزاد اهتمامه به بعد توسعه في بلاد الشام واضطراره الى حماية شواطئه ومواجهة الهجوم البيزنطي ، ثم المحافظة على طرق الاتصال البحري بين سواحل مصر والشام^(٤)، ثم زادت عنايته بالناحية البحرية لما وضحت مشروعات الموفق للقضاء عليه وتفكيره في غزو مصر ، وخوف ابن طولون من أن يبطأ العدو من ناحية النيل ، لذلك شرع في بناء حصن الجزيرة والاكتثار من بناء السفن^(٥)، وقد بنى أحمد بن طولون اسطولاً ضخماً يتكون من مائة مركب كبيراً، ومائة مركب حربي ، سوى ما يضاف اليها من العلابيات والعمائم والعشاريات وقوارب الخدمة^(٦) وقد أهتم أحمد بن طولون بصناعة الأسطول وبجودة صناعة السفن والانفاق عليها ، فيقول أبو كامل شجاع بن أسلم الحاجب " لما أطلقني أحمد بن طولون الأزمني دار (الصناعة) فدعاني يوماً فقال لي : كل ما تعمل لي من العدة يكتفي فيه بالقليل مع تقدم هيبتي في صدور الناس إلا المراكب فإن البحر لا يهابني ولا يخاف سورتني ، وليس يعمل في البحر إلا الوثاقة والجودة في الصناعة وتقديم الاحسان . فقدم الحزم في الاحتياط ، والاستزادة في الانفاق على لمراكب ، لتسلم بعون الله عز وجل وتوفيقه من معرة البحر"^(٧)، وفي العصر الطولوني احتفظت الإسكندرية بشهرتها باعتبارها أكبر قاعدة بحرية، وازدادت مكانتها عندما قام أحمد بزيارة إلى هذه المدينة فأولى اهتماماً بالغاً بدار الصناعة لمضاعفة عدد السفن ولحاجاته إلى زيادة أسطوله ليحمي بها سواحل بلاده، ويحافظ على طرق

(١) محمود، حضارة مصر الإسلامية، ص ١٥٠.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٩٩.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٣٦.

(٤) كاشف، مصر في عصر الطولونيين والاختشيديين، ص ٢٧.

(٥) الكندي، الولاية والقضاء، ص ٢١٨.

(٦) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ١٠٢.

(٧) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٢٠٨.

الاتصال البحري بين مصر والشام، كما قام أحمد بن طولون بربط النيل بالإسكندرية لدعمها في التجارة البحرية في الخارج والنهرية في الداخل، عندما قام في سنة (٢٥٩هـ / ٨٧٢م) بإعادة حفر خليج الإسكندرية^(١).

وقد سار خمارويه بن أحمد بن طولون على سيرة أبيه في الاهتمام بالثغور وتزويدها بما تحتاج اليه ويذكر ابن العديم أن خمارويه أرسل الى والي الثغور سنة ٢٧٧هـ / ٨٩٠م خمسين ألف دينار ومائة وخمسين ثوبا ومائة وخمسين دابة وسلاحا كثيرا^(٢) كما حرص خمارويه في سبيل المحافظة على الثغور وهيبتها على تولية الثغور لأشخاص أكفاء ومن ذلك توليته لأحمد بن طغان الذي عمل على تدبير الثغور ووصف بأنه مشكور السياسة وله غناء في الجهاد^(٣)، قام خمارويه باستكمال ما بدأه والده فظل يعتني بموانئ الشام وقد قام بأرسال مراكب كثيرة في البحر فكانت مقيمة بالسواحل الشامية^(٤)، كذلك قام بأيجاد قوات بحرية لربط السواحل الشامية والمصرية المطلة على البحر المتوسط، وان خمارويه بن أحمد بن طولون استطاع الاحتفاظ بحكم الشام الى جانب مصر، بفضل الثروات الفخمة التي تركها له والده، والتي استطاع خمارويه استغلالها لتثبيت حكمه من جهة، والانفاق على جيشه من جهة ثانية، فقد ترك أحمد بن طولون ثروة كبيرة قدرت بعشرة ملايين دينار من الذهب، و من الخيل سبعة آلاف، ومن الغلمان اربعة وعشرين الفا، ومن الدواب الخاص ثلثمائة^(٥).

أما أعماله التي خلده في الجانب الحربي، فهو اهتمامه بالأسطول بزيارته للقطع البحرية وتقدها^(٦)، وقيامه بوضع أشخاصا على المنارة لأيقاد النار طول الليل لإرشاد السفن فاذا احسوا بقدوم خطر قاموا بأشعال النار حتى ينتبه الحرس وليتخذوا حذرهم حتى تضرب الأبواق والأجراس ليتحرك الناس لمواجهة العدو^(٧)، وقد اعتنى خمارويه بميناء طرابلس الشام الذي كان يتسع لأعداد كبيرة من السفن، إذ أشار اليعقوبي الى هذا الميناء بقوله "بأنه ميناء عجيب يحتمل ألف مركب"^(٨)، أما خلفاء خمارويه فلم يعطوا البحرية اهتماما كبيرا فأصبحت السفن في عهدهم

(١) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٤٧؛ المقرئ، الخطط، ج ١/ ص ٣١٧.

(٢) زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج ١/ ص ٥١.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٢/ ص ٨٠٧.

(٤) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢٣٤.

(٥) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٣٤٩.

(٦) العبادي وسالم، تاريخ البحرية الاسلامية، ص ٤٦.

(٧) المقرئ، الخطط، ج ١/ ص ١٥٧.

(٨) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٢٧.

لا تتجاوز عددا محدودا من السفن لدرجة أن الخلافة العباسية في نهاية الدولة الطولونية لم تستعين ألا بقوة من الأسطول يبلغ عدده ثمانية عشر مركبا حربيا يقوده أمير البحر دميانه غلام يأزمان الذي عهد اليه المكتفي بقيادة الأسطول العباسي وذهب لمصر لقتال هارون بن خمارويه ولل قضاء على الدولة الطولونية وقام محمد بن سليمان الكاتب بمساعدته في هذه الحملة عندما استطاع القضاء على الأسطول المصري في تئيس سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م)^(١)

دار صناعة السفن :

عين أحمد بن طولون ابي كامل شجاع بن أسلم في إدارة دار الصناعة, وقال له " كل ما تعمل لي من العدة فانه يكتفي بالقليل مع تقدم هيبتي في صدور الناس إلا لمراكب فإن البحر لا يهابني، ولا يخاف سورتى، وليس يعمل في البحر إلا الوثاقة، الجودة في الصنعة، وتقديم الإحسان، فقدم الحزم في الاحتياط، والاستزادة في الإنفاق الى المراكب لتسلم بعون الله عز وجل"^(٢).

أهم دور صناعة السفن ما يلي:

- الإسكندرية: تعد من القواعد البحرية مهمة في حوض البحر المتوسط، كذلك من المراكز الرئيسية للتجارة البحرية، كما تم إنشاء دار كبرى لصناعة السفن سواء التجارية أم الحربية^(٣) في العصر الطولوني احتفظت الإسكندرية بشهرتها باعتبارها أكبر قاعدة بحرية، وازدادت مكانتها عندما قام أحمد بزيارة إلى هذه لمدينة فأولى اهتماما بالغاً بدار الصناعة لمضاعفة عدد السفن ولحاجاته إلى زيادة أسطوله ليحمي بها سواحل بلاده، ويحافظ على طرق الاتصال البحري بين مصر والشام، كما قام أحمد بن طولون بربط النيل بالإسكندرية لدعمها في التجارة البحرية في الخارج والنهرية في الداخل، عندما قام في سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م) بإعادة حفر خليج الإسكندرية^(٤).

- دمياط: اشتهرت دمياط برسو السفن الآتية من المغرب بمحاذاة الساحل الشمالي لأفريقيا وترتبط أيضاً عن طريق البحر بثغور الشام وعلى الأخص صيدا^(٥)

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١١٠.

(٢) البلوى، سيرة احمد بن طولون، ص ٢٠٨.

(٣) العبادي وسالم، تاريخ البحرية الاسلامية، ص ٤٥.

(٤) البلوى، سيرة احمد بن طولون، ص ٤٧.

(٥) المقرئ، الخطط، ج ١/ص ٢١٤.

- عكا: كان لهذه القاعدة أهمية كبرى وخاصة في العصر الطولوني، إذ أولاهها أحمد بن طولون عناية كبرى، وعندما قام أحمد بزيارتها أدرك مدى حصانتها واستدارة حائطها على الميناء، وتولى ذلك أبو بكر البناء^(١)، ودفع إليه ألف دينار سوى الخلع غيرها من المركوب وسمع عليه مكتوب^(٢)، وبهذا قام بن طولون بإحاطة عكا بسور منيع وشد مينائها بسلسلة لمنع السفن من اجتيازها^(٣).

- صيدا وصور: بحكم تبعية صيدا لدمشق خضعت للحكم الطولوني، وتعد من المدن التي قام أحمد بحماية ثغورها، وكان يتولاها النعمان بن عامر الأرسلائي^(٤)، حتى وفاة اماجور عام (٢٦٤هـ/٨٧٧)، وعند فتح أحمد للمدينة أقر صيدا للنعمان لما تميز به من شجاعة وفصاحة، وظل فيها حتى وفاته سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م)^(٥)، أما صور فهي لا تقل أهمية عن صيدا، لكونها مدينة حصينة ويحيط بها البحر من ثلاثة جوانب، كما يوجد بصور دار لصناعة السفن، أشار إليها اليعقوبي بقوله "وبها دار الصناعة، ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم، وهي حصينة جليلة"^(٦).

- طرسوس: عند دخول أحمد لطرسوس سنة (٢٦٤هـ/٨٧١) عمل على نقل بعض وحدات الأسطول الطولوني إليها، وجعلها قاعدة حربية تعتمد اعتماداً كلياً على إمكانياتها عسكرية المحلية المتمثلة بالحاميات والمتطوعة وأهل الثغور عامة أيضاً تخرج منها لسفن لمهاجمة قوات الروم في أسيا الصغرى، وظلت بعد ذلك طرسوس ذات أهمية بحرية في الصراع البحري بين الطولونيين والبيزنطيين لوقوعها بالقرب من شواطئ اسيا الصغرى^(٧)، لشدة

(١) أبو بكر البناء المقدسي البشاري المهندس الذي بنى لابن طولون ميناء عكا، وهو جد الرحالة المقدسي صاحب كتاب احسن التقاسيم، (كرد علي، خطط الشام، ج ٤/ ص ٢٧؛ تيمور، اعلام المهندسين في الاسلام، ص ٦٢)

(٢) المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ١٦٢.

(٣) سالم، دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي، ص ٥١.

(٤) نعمان بن عامر بن هانئ بن مسعود ابن أرسلان التتوخي اللخمي، أبو الحسام: أمير، عالم بفقهِ المالكية، شاعر، من أسلاف آل أرسلان بلبنان. تعلم ببغداد ولازم الجاحظ، وأخذ عن المبرد سنة ٢٤٩ هـ وعاد إلى لبنان. وولي إمارة الساحل، وأضيف إليه عمل صفد. وكانت له وقائع مع المردة (سنة ٢٦٢) ومع الإفرنج برأس بيروت (سنة ٣٠٣) وصنف كتاب "تيسير المسالك إلى مذهب مالك" وجمع شعره في "ديوان" توفي سنة ٣٢٧هـ، (الزركلي، الاعلام، ج ٧/ ص ٣٧)

(٥) سالم، دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي، ص ٥١.

(٦) البلدان، ص ٣٢٧.

(٧) بيطار، الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام، ص ٢٧٤.

اهتمام أحمد بن طولون بحماية هذه السواحل، ظل يحمل إلى طرسوس غيرها من الثغور الأخرى وقواعده سواء في مصر أو الشام كل ما تحتاجه من عتاد زاد لدرجة أنه لم يحمل أحد لهذه العدة قبل ذلك، كما شرع في بناء حصن يافا، غير أن المنية وافته قبل إتمام هذا الحصن سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣)^(١)، وفي عهد خمارويه قام باستكمال ما بدأه أبوه فظل يعتني بموانئ الشام، وقام بإرسال مراكب كثيرة في البحر، فكانت مقيمة بالسواحل الشامية^(٢)، كما قام بإيجاد قوات بحرية لربط السواحل الشامية والمصرية المطلّة على البحر المتوسط^(٣)، كما أتم خمارويه ما قام به أبوه في الإسكندرية فزاد اهتمامه بالأسطول بزيارته للقطع البحرية وتقده^(٤)، ووضع أشخاصاً على المنارة لإيقاد النار طول الليل لإرشاد لسفن، فإذا أحسوا بقدوم خطر قاموا بإشعال النار حتى ينتبه الحرس وليتخذوا حذرهم، حتى تضرب الأبواق والأجراس ليتحرك أناس لمهاجمة العدو^(٥)، لقد اعتنى خمارويه بميناء طرابلس الشام الذي كان يتسع لأعداد كبيرة من لسفن، إذ أشار اليعقوبي إلى هذا الميناء بقوله: بأنه يناء عجيب يحتمل ألف مركب^(٦).

اما أنواع سفن الأسطول التي استخدمها الطولونيون فهي متعددة من أهمها:

- العلابيات: وهي تعد من السفن التي تكون منها أسطول ابن طولون^(٧).
- الحمايم: وهي من المراكب السريعة ذات شراع^(٨).
- عشاريات: هي من السفن الليلية، وتشكل هذه السفن جزءاً من الأسطول الطولوني، ود صنع ظهرها من ألواح خشبية صلبة ولها شرفات، أما سطحها فيوجد فوقه غرف خشبية تغطيها قبة بها نواف وفتحات، وهذه الغرف مزينة بألوان مختلفة، وتستخدم هذه لسفن لنقل الغلال والخطب، كذلك هذا النوع من السفن يستخدم لنزهة الملوك وكبار قوم،

(١) دياب، سياسة الدولة الإسلامية، ص ٥٠.

(٢) الكندي، الولاية والقضاء، ص ٢٣٤.

(٣) دياب، سياسة الدولة الإسلامية، ص ٥١.

(٤) العبادي وسالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص ٤٦.

(٥) المقرئ، الخطط، ج ١/ص ١٥٧.

(٦) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٢٧.

(٧) فهمي، التنظيم البحري شرق المتوسط، ص ١٦١.

(٨) فهمي، التنظيم البحري شرق المتوسط، ص ١٦١.

ويركبونها في الأعياد والمناسبات الخاصة للدولة^(١)، وتسير هذه السفن بعشرين مجدافاً^(٢).

- **الصنادل:** وتعد من المراكب الكبيرة الحجم، وكانت تستخدم لنقل الغلال والركاب، وتعد من السفن معروفة لدى البيزنطيين^(٣)، وكانت هذه السفن تجهز وتشحن بالسلاح والآلات الحربية اللازمة، إذ تمر من ثغر الإسكندرية ودمياط وتتنيس والفرما في مصر، ومن ثغر طرابلس الشام وصيدا وصور في الشام إلى مواجهة أعداء الدولة الذي تمثل في لبيزنطيين والفرنجة^(٤).

أما انواع الأسلحة التي تم استخدامها من قبل الجيش الطولوني فهي:

أ- **السيوف والرماح والفؤوس:**

تعد السيوف من الأسلحة الأكثر شيوعاً وأعظمها شأنًا، أما الرماح فلها أحجام مختلفة وأسماء منه المزارق والنيذك والحربة وهي أشبه بالعصا، وكانت تدهن بالزيت ليتبقى مرنة، أما الفؤوس فهي من الأسلحة التي لها رأس نصف مستدير ويتخذ أحياناً من الحديد^(٥)

ب- **القوس والنشاب:**

القوس عود من شجر جبلي صلب، وهو من آلات القذف النشاب، بدايته أجزاؤه متصلة، فتتم بعد ذلك فصلها عن بعضها، وهي ذات نصول مثلثة مدببة من حديد^(٦)

ج- **التوابيت:**

جمع تابوت وهي صناديق أعلاها متفتحة تنصب بأعلى الصواري، يصعد إليها البحارة ومعهم قطع من الحجارة يضعونها في مخلاة تعلق إلى جانب التابوت، يرمون بها الأعداء ثم يحتمون في التابوت^(٧).

د- **المنجنيق والعرادة:**

(١) فهمي، التنظيم البحري شرق المتوسط، ص ١٦٢.

(٢) فهمي، التنظيم البحري شرق المتوسط، ص ١٦٢.

(٣) فهمي، التنظيم البحري شرق المتوسط، ص ١٦٣.

(٤) العبادي وسالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١٣١.

(٥) الشطشاط، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٧٠.

(٦) الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ص ٥٠٨.

(٧) الشطشاط، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٧٠.

وهي تعد من الأسلحة الثقيلة التي تستخدم في الحروب وتقوم بقذف الأحجار لضخمة، إذ كان في بداية الأمر على كل قاعدة من الخشب السميك "يرتفع في وسطها عمود خشبي قوي، ويركب في أعلاه ذراع المنجنيق قابلاً للحركة كذراع الشادوف،... يتدلى منه صندوق خشبي، مملوء بالرصاص والحجارة والحديد"^(١)، أما عرادة فهي آلة تشبه المنجنيق وتستخدم لرمي الحجارة والسهام وقدور النفط^(٢).

هـ- النفط البحري:

تستخدم هذا النفط في إحراق السفن، وهو من المواد السريعة الاشتعال المركب من القطران والكبريت، ولا تخمد ناره عند ملامسته الماء، ويتم إطلاق هذا النفط عن طريق آلة صعت من النحاس أو الحديد تعرف بالنفاطة، وكان النفاطون يستخدمون لسهام والنشاب لقذف النفط، وأحياناً المنجنيق^(٣).

تحصين الثغور:

وهي من الاعمال التي خلدت ابن طولون الذي سار على طريقة من سبقه في الاهتمام بتحسين الثغور وشنها بالمقاتلة، لتكون جاهزة للقيام بالأعمال الحربية ضد البيزنطيين وكأجراء أممي لحماية أراضي الدولة الإسلامية.. وينقل ابن سعيد عن ابن الداية انه عندما وصل كتاب ملك الروم إلى أحمد بن طولون يطلب منه الهدنة سنة ٢٦٥هـ / ٨ ٨٧م، كتب أحمد بن طولون الى عامله على طرسوس يخبره ، " ان متملك الروم سألنا الهدنة كذا وكذا وقد اجبناه إلى ذلك، على علم منا أنه لم يدعه إلى ما سأل إشفاق من سفك الدماء، وتحوز لطلب السلامة، بل أظن وهو كذلك أنه قد خربت له حصون او استرمت أو لحقه من بعض أعدائه إضطراب أضطره إلى الهدنة هذه المدة، ومن الخسران المبين أن يكون بما التمس من ذلك أسعد منا، وإذا قرأت كتابي هذا ، تعاهد جميع الحصون التي بقربك، فرم بها ما استرم، واعمر منها ما خرب، وجدد منها ما أخلق وأنفق على ذلك من مالي الذي في أيدي وكلائي في ضياعي التي تقرب منك وفرق في صعاليك أهل الثغر، ممن تضرر به هذه الهدنة ما يقيم أودهم، ويكفيهم، وأوسع عليهم في ذلك وطالعتني بما يكون منك فيه، فإني أراعيه إنشاء الله، وأنفذ الكتاب وعمل به"^(٤)، ويذكر ابن ظافر

(١) الصالح، النظم الإسلامية، ص ٥٠٩.

(٢) مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج ١/ص ٥٩٨.

(٣) التليسي والذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص ١٨١.

(٤) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ٩٨.

الأزدي أن أحمد بن طولون أنفق على الثغور مائتي ألف دينار^(١) وكان رسم الصدقة المحمولة إلى الثغور في كل شهر ألفي دينار كما أنفق على من ناب بالثغور ثمانين ألف دينار، ويورد ابن سعيد حادثة يستشف منها حرص أحمد بن طولون على تحصين الثغور الشامية، وهي أن نفقات مطبخ أحمد بن طولون كانت من ضياع رجل يُدعى ابن مفضل فأرسل إليه: الا تتفق من مال أقطاع الضياع درهما واحداً فإنني أجمعه لطرسوس^(٢) وكان أحمد بن طولون يعد المنجنقيات^(٣) لإرسالها إلى الثغور الشامية، ويذكر البلوي أن أحمد بن طولون كان يقوم بتجريب هذه المنجنقيات قبل إرسالها^(٤). وقد أدت هذه السياسة التي اتبعتها أحمد بن طولون في تحصين الثغور الشامية إلى زيادة هيبة الثغور وعظمتها^(٥)، فقد حمل ابن طولون إلى طرسوس وغيرها من الثغور من المال العين والسلاح ... والثياب مالم يحمله إليه أحد قط^(٦)، ومهما يكن فقد وجه أحمد بن طولون التفاته إلى الاستحكامات فرمها، وبني غيرها وحصن البلاد وأكثر من الجند وقوي أمره^(٧)، وقد سلك خمارويه بن أحمد بن طولون الطريق التي سار عليها والده في الاهتمام بالقوى البحرية والاستمرار في تحصين المدن الساحلية وشحنها بالجند وكان امر الشام اهم شيء عند أبي الجيش خمارويه^(٨)، وبعث مراكب كثيرة في البحر فكانت مقيمة بسواحل الشام^(٩) وأمر بإتمام بناء حصن يافا^(١٠)، وحرص أحمد بن طولون على انشاء قوة بحرية يعتمد عليها في حماية سواحل دولته مما قد تتعرض له من اخطار سواء كان ذلك من قبل الدولة العباسية او البيزنطيين^(١١) فهو في سبيل حماية كيانه عمل بكل جهد لتقوية الشام عسكريا رغم الظروف السيئة التي ضمه لها وموقف القوى الكثيرة بزعامة الموفق ضده ولهذا دعت ضروراته العسكرية لإيجاد قوة بحرية تقوم بحماية السواحل الشامية والمصرية والوقوف في وجه الموفق أحمد ومن ثم

(١) مختصر اخبار الدول، ص ٣١ .

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ١٠٥

(٣) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة، (الجواليقي، المغرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، ص ٤٥)

(٤) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٢٠٠ .

(٥) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٩٨ .

(٦) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ١٨٣ .

(٧) الصرفي، تاريخ دول الاسلام، ج ١/ ص ٦٤ .

(٨) المقرئ، المققى الكبير، ج ٣/ ص ٨١٣ .

(٩) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢٣٤ .

(١٠) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ١٨٤ .

(١١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ٩٤ .

التصدي للهجوم البيزنطي المستمر والمحافظة على طرق الاتصال البحري بين الشام ومصر^(١) فأهتم بتحسين المدن الساحلية في الشام والثغور وأمر نوابه عليها ببذل كل الجهود لتحسينها والأشراف الدقيق لتنفيذ هذه الخطة الدفاعية^(٢) وفي سبيل ذلك قام بتحسين مدينة عكا وجعل منها أكبر قاعدة بحرية اتخذها كقاعدة انطلاق لقواته البرية والبحرية وأولاًها هذا الأمير جانباً كبيراً من عنايته، كما عني أحمد بن طولون بدور الصناعة عناية ويذكر البلوي أنه عهد بالأشراف على إحدى دور الصناعة إلى أبي شجاع كامل بن اسلم^(٣) كما يذكر البلوي أن ابن طولون أثناء استعداده وقيامه ببناء أسطولته البحري أنشأ وبنى مراكب من جميع الأحجام والأنواع ويورد البلوي قائمة بأسماء هذه المراكب^(٤) ويذكر ابن أيأس ما خلفه ابن طولون أنه خلف من المراكب الحربية ألف مركب^(٥)، وعندما ضم أحمد بن طولون بلاد الشام إلى ملكه أدرك ضرورة تحسين مدن الساحل الشامي والعناية بالقوة البحرية فيها ومن ذلك قيامه بتحسين مدينة عكا^(٦)، يذكر المقدسي أن عكا لم تكن على هذه الحصانة حتى زارها ابن طولون وقد كان زار صور^(٧) ورأى منعها واستدارة الحائط على مينائها رغب أن يجعل لعكا مثل ذلك الميناء وجمع مهرة صناعات الأقاليم لهذه الغاية^(٨) وعرض عليهم مشروعه فأظهروا العجز عن التنفيذ إلى أن ذكر له أبو بكر البنا وكوتب صاحب بيت المقدس لأرسال هذا البناء العظيم وعندما وصل إلى ابن طولون وذكر له ذلك قال هذا امر هين علي بفلق الجميز^(٩) الغليظ فصفها على وجه الماء بقدر الحصن البري وربط بعضها ببعض وأشاد لها باباً من الغرب عظيماً ثم بنى عليها بالحجارة والشيد وجعل كلما بنى خمس دوامس ربطها بأعمدة غلاظ ليشد البناء وجعلت الفلق كلما ثقلت نزلت حتى إذا أنها قد جلست على الرمل تركها حولاً كاملاً حتى أخذت قرارها ثم عاد فبنى من حيث ترك كلما بلغ البناء إلى الحائط القديم داخله فيه وخيطه به ثم جعل على الباب قنطرة فالمراكب في كل ليلة تدخل الميناء وتجر السلسلة مثل صور قال فدفع إليه ألف دينار سوى

(١) كاشف، مصر في العصرين الطولوني والإخشيدي، ص ٤٧.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ٩٤-٩٨.

(٣) البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص ١٠٨.

(٤) البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص ٨٧.

(٥) ابن أيأس، بدائع الزهور، ج ١/١، ص ١٦٩٠.

(٦) عكا: اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الاردن، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤/ص ١٤٣).

(٧) صور: مدينة مشرفة على بحر الشام إلى الشرق من عكا، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣/ص ٤٣٣).

(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٣.

(٩) الجميز: نوع من الشجر يشبه التين، (ابن منظور، لسان العرب، ج ٥/ص ٣٢٤).

الخلع وغيرها من المركوب واسمه عليه مكتوب وقد كان العدو قبل ذلك يغير على المراكب^(١)، بالإضافة الى اهتمامه بمدينة عكا فقد قام أحمد بن طولون ببناء قلعة في مدينة يافا^(٢) وهو أول من بنى فيها قلعة^(٣)، ويذكر النويري ان أحمد بن طولون انفق على بناء هذه القلعة مائتي الف دينار^(٤)، كذلك اهتمامه بـ(صيدا وصور) إذ تتمتع هاتان المدينتان بشهرة بحرية عالمية إذ اشتهر ملاحوها بمهارة عالية في قيادة السفن وفنون القتال^(٥)، أما صور فهي أهميتها كحال مدينة صيدا كونها مدينة حصينة ويحيط بها البحر من ثلاث جوانب إضافة لذلك يوجد فيها دارا لصناعة السفن، وأشار اليها اليعقوبي بقوله: "وبها دار الصناعة ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم وهي حصينة جليلة"^(٦)، كما سار ابن طولون في نفس الطريق واهتم ببقية الموانئ الشامية التي سبق أن دب الانحلال اليها بسبب إهمال الخلافة العباسية والقائمين في بغداد لشواطئ البحر المتوسط وموانيه وأصبحت هذه الموانئ وغيرها قواعد لقواته البحرية تقوم بدورها الفعال في الذود عن سلطته في مصر كما أنها لعبت دورا بارزا في النشاط البحري في حوض البحر المتوسط وقامت بمساعدة أسطول اقر يطش والتصدي المشترك للبيزنطيين، كذلك استفاد الطولونيون من الموانئ الأخرى في الشام والتي لا تقل عن عكا ويافا في الأهمية فقد استخدموا هذه الموانئ لرسو المراكب الحربية كما رست بها المراكب التجارية أيضا فلقد كانت صور مدينة محكمة التحصين على ساحل البحر المتوسط ومنها استقى ابن طولون أسس تحصين عكا وكان بها دار لصناعة السفن وكانت المراكب تخرج منها لغزو البيزنطيين^(٧)، ونتيجة لجهود أحمد بن طولون ومتابعة ابنه خمارويه الطريق الذي بدأه أبوه في هذا المجال زادت فعالية الأسطول المصري والشامي فلقد قيل أن الأسطول الشامي في القرن الثالث الهجري وبداية الرابع الهجري كان في مقدمة الأساطيل الإسلامية وكان اكثر كفاءة من الأسطول الفاطمي^(٨)، هذه القوة البحرية في بلاد الشام نهضت بفضل سياسة الطولونية نتيجة لإدراكها بقيمة الأسطول في استكمال الاستعدادات العسكرية والحربية والتفاني في تقوية السفن وصناعتها، كما أن الطولونيون ادركوا

(١) سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص ٤٩-٥٠.

(٢) يافا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥/ص ٤٢٦).

(٣) النويري، نهاية الارب، ج ٢٨/ص ٢١.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨/ص ٢٢.

(٥) العبادي وسالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص ٥٠.

(٦) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٢٧.

(٧) العدوي، الأساطيل العربية في البحر المتوسط، ص ١٠٩.

(٨) منتر، الحضارة الإسلامية، ج ٢/ص ٤٢٦.

إمكانيات القطرين (مصر والشام) فسخروا هذه الإمكانيات لهذه الغاية فاستقادوا من أخشاب الشام في بناء السفن ومن المواقع المهمة لهذه المدن والموانئ وجعلوها قواعد واحدة تنتقل الوحدات الطولونية بينها^(١)

٣- التخليد الإداري

تنظيم الدواوين وتطوير الإدارة

قسمت مصر إلى ثلاثة أقسام إدارية رئيسية، (مصر السفلى، ومصر العليا، ومصر الوسطى، وهي الصعيد الأوسط)، وقسمت هذه الأقسام إلى أقسام صغيرة عرفت باسم "الكورة"، وتنقسم كل كورة إلى قرى عديدة، ويتولى حكم كل كورة حاكم يُسمى صاحب الكورة وكانت له إمامة الصلاة في المسجد الجامع للكورة، وكان هؤلاء الحكام مسؤولين أمام الأمير مباشرة^(٢).

كما كان هناك رؤساء ومشايخ القرى الذين عرفوا في عهد ابن طولون باسم موازيت، وهي كلمة مأخوذة من الكلمة البيزنطية ميزوتروس، وكذلك عرفوا باسم العميد، وكان لكل مدينة من هذه المدن الساحلية والواحات، حاكم يعينه الخليفة مباشرة، وكانوا يختارونه من كبار القواد^(٣)، أما أهم المؤسسات الإدارية

الوزارة: كانت مصر ولاية تابعة للخلافة من الفتح العربي إلى مجيء أحمد بن طولون فحاول الاستقلال بها، فكانت في ذلك الوقت ولاية بلا وزارة، ورغم وجود هذا المنصب نرى أن أحمد بن طولون لم يطلق هذا اللقب مثلما فعل في الحجابة، رغم أنه كان له كاتب اتخذ، وكان له شأن عظيم عنده، فكان يقوم بأعباء الوزارة، دون أن يلقب بهذا اللقب^(٤)، بينما تذكر بعض المصادر أن أحمد أطلق هذا اللقب على الواسطي^(٥) مرة واحدة، وذلك عند ذهابه إلى الشام

(١) العدوى، الأساطيل العربية في البحر المتوسط، ص ١١٠.

(٢) كاشف، أحمد بن طولون، ص ١٦٧؛ حسن، مصر في العصور الوسطى، ص ٣٥٣.

(٣) كاشف، أحمد بن طولون، ص ١٦٨.

(٤) حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ٣/ص ٢٦٠.

(٥) أحمد بن محمد، أبو عبد الله، الواسطي، قدم مصر مع أحمد بن طولون سنة ٢٥٤هـ، فلم يزل بها حتى خرج أحمد بن طولون في جيوشه يريد الشام سنة ٢٦٤هـ واستخلف العباس على مصر، وضم إليه الواسطي مدبراً ووزيراً، فخالف العباس على أبيه وقيد الواسطي، ثم أفلت منه وفر إلى أحمد بن طولون وهو بالإسكندرية فلم يزل حتى مات أحمد بن طولون، لحق بابن الموفق، وقدم معه فشهد وقعة الطواحين مع

واستخلف ابنه العباس، فجعله مدبراً وزيراً^(١)، عظمت الوزارة بعد ذلك في عهد خمارويه، فقد كان له وزير نصراني هو أبو بكر محمد بن رستم الماذرائي الكاتب^(٢)، الذي خلف أباه علي بن أحمد الماذرائي الذي اختاره كذلك خمارويه وزيراً له وينظر في أموره، وقد استوزر هارون بن خمارويه أيضاً أبوبكر محمد بن علي بعد وفاة أبيه في سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) فأصبح مدبر أمور مصر إلى أن جاء محمد بن سليمان الكاتب من بغداد وأزال دولة بني طولون^(٣).

الحاجب: ورغم وجود هذا اللقب غير أن أحمد بن طولون لم يسمح بإعطائه لأحد خوفاً من أن يزداد نفوذ هؤلاء الأشخاص وسلطانهم، كذلك رغبته في أن يستبد بكافة أعمال الدولة، وهذا ما حدث مع نسيم الخادم^(٤)، رغم أنه تول هذا المنصب، إلا أنه لم يلقب بالحاجب، رغم وثوق أحمد فيه، وفي إدارة المهام في دار الخلافة على أكمل وجه، إلا أن هذا اللقب ظهر في عهد هارون بن خمارويه، وكان أشهرهم الحاجب بسمجور، وكان من القواد الذين تولوا حجابة هارون^(٥).

القضاء: ومنهم القاضي محمد بن عبدة^(٦) الذي تولى القضاء من قبل خمارويه بن أحمد بن طولون (٢٧٧-٢٨٣هـ/٨٩٠-٨٩٦م)^(١)، إذ تولى إلى جانب وظيفته النظر في المظالم

أبي الجيش، ثم انهزم إلى أنطاكية فأقام بها مديدة ومات كمدا في سنة ٢٧٢هـ، (المقريزي، المقفى الكبير، ج ١/ص ٥١٩)

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٦٥.

(٢) هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن رستم بن أحمد المارداني، وقدم إلى مصر في سنة ٢٧٢هـ، وخلف أباه علي بن أحمد المارداني أيام نظره في أمور أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون، وسنه يومئذ خمس عشرة سنة، وكان معتدل الكتابة ضعيف الحظ من النحو واللغة، ومع ذلك فكان يكتب الكتب إلى الخليفة، فمن دونه على البديهة من غير نسخة، فيخرج الكتاب سليماً من الخل. ولما قتل أبوه في سنة ثمانين ومائتين، استوزره هارون بن خماريه، فدبر أمر مصر إلى أن قدم محمد بن سليمان الكاتب من بغداد إلى مصر، وأزال دولة بني طولون، وحمل رجالهم إلى العراق، فكان أبو بكر ممن حملة، فأقام ببغداد إلى أن قدم صحبة العساكر لقتال خباسة، فدبر أمر البلد وأمر ونهى، وملك بمصر من الضياع الكبار ما لم يملكه أحد قبله، وبلغ ارتفاعه في كل سنة أربع مائة ألف دينار سوى الخراج، توفي سنة ٣٤٥هـ، (المقريزي، الخطط، ج ٣/ص ٣٧٥).

(٣) المقريزي، الخطط، ج ٣/ص ٢٧٥.

(٤) المقريزي، المقفى الكبير، ج ١/ص ٢٧٠.

(٥) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٠٣.

(٦) محمد بن عبدة بن حرب، العباداني، أبو عبيد الله، البصري، قاضي مصر، قدم مصر، وولي القضاء بها ولم يزل أبو عبيد الله ينظر في القضاء وما أضيف إليه، ويصطنع الناس والشهود وينفع من قصده، إلى

والمواريث والاحباس والحسبة^(٢)، اما رزق محمد بن عبده فكان خمارويه يجري عليه في كل شهر ثلاثة الاف دينار.^(٣)

ومن القضاة الذين تعدت سلطته مصر الى بلاد اخرى هو القاضي أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي (٢٨٤-٢٩٢هـ/٨٩٧-٩٠٤م)^(٤)، وكان أول من ولي قضاء مصر على مذهب الإمام الشافعي من قبل هارون بن خمارويه^(٥). فقد جمع له قضاء مصر وفلسطين والأردن ودمشق^(٦).

وفي بلاد الشام سار على السياسة نفسها التي اتبعها مع الولاة في مصر، فاستبقى القضاة في مناصبهم، ومنهم قاضي دمشق عبدالحميد بن عبدالعزيز^(٧) الذي كان قد ولي من قبل قاضي القضاة في بغداد^(٨)، إلا أن أحمد بن طولون ضم اليه قضاء الأردن وفلسطين^(٩)، كما جمع أحمد بن طولون لعبيد الله بن محمد العمري قضاء قنسرين والعواصم والثغور الشامية

أن قتل أبو الجيش بدمشق، ووصل تابوته إلى مصر. فصلّى عليه القاضي، وولي ابنه جيش، وأبو عبيد الله على حاله، إلى أن خلع جيش بن خمارويه وخلع عليّ بن أحمد الماذرائي في الفتنة التي ثارت عند المنظر، وكان القاضي راكباً يريد المنظر، فبلغه الخبر، فرجع إلى داره وأغلق أبوابه واستتر من عاشر جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين ومائتين مدة عشر سنين، توفي في بغداد سنة ٣١٠هـ، (المقريزي، المقفى الكبير، ج٦/ص٨)

(١) الكندي، الولاة و القضاة، ص ٥١٥.

(٢) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٥١٦.

(٣) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٥١٦.

(٤) محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زرعة، ابن أبي زرعة بن إبراهيم، أبو زرعة، الثقفي، مولاهم، قاضي مصر ودمشق، كان جدّه إبراهيم يهودياً فأسلم، فكانت ولاية أبي زرعة القضاء ثمانين سنين وشهرين، توفي بدمشق في شوال سنة ٣٠١ و قيل ٣٠٢ هـ، (المقريزي، المقفى الكبير، ج٦، ص ١٠٦).

(٥) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٥١٩.

(٦) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٥١٩.

(٧) عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد المجيد أبو خازم السكوني القاضي ولى قضاء دمشق والأردن وفلسطين بعد محمد بن إسماعيل بن عليّة في أيام أحمد بن طولون في خلافة المعتمد وكان ممن أفتى بدمشق بجامع أبي أحمد الموفق وحدث عن أبي بكر محمد بن بشار بNDAR العبدى وأبي موسى محمد بن المثنى العنزي وشعيب بن أيوب الصريفي الواسطي وحكى عن عبد الرحمن بن نائل القاضي روى عنه عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن زبر القاضي ومكرم بن احمد القاضي، (ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٤/ص٧٨).

(٨) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٤/ص٧٩-٨٠.

(٩) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٢٩٧.

وحمص وانطاكية^(١)، وولي القاضي أحمد بن أبي العلاء قضاء ديار مصر^(٢)، وهكذا أصبح أحمد بن طولون هو المسؤول عن تعيين القضاة في بلاد الشام، وتجلّى ذلك بوضوح حين أقام أحمد بن طولون بدمشق وأحضر قضاة أعماله، وكتب كتاب خلع الموفق وطلب من القضاة التوقيع عليه، وأنفذ إلى كل عمل من أعماله نسخة تقرأ على المنبر، وكان ذلك لأن الموفق منع أخاه المعتمد من التوجه إلى مصر وأعادته إلى العراق سنة ٢٦٩هـ / ٨٨٢م^(٣) وقد ظهر بعد هذا المؤتمر الذي عقده قضاة الشام، تأييدهم لأحمد بن طولون في نزاعه مع الموفق^(٤)، وقد علق عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي بدمشق والأردن وفلسطين على كتاب خلع الموفق بقوله، "قد قرئ علي هذا الكتاب وهو قولي وألحق عندي، وهو الذي أفتيت به، وقد صح عندي عذر الناكث المعروف بأبي أحمد الموفق، وتعيده وخروجه عن طاعة أمير المؤمنين أيده الله، وأنه قد استوجب بما كان منه اسقاط اسمه وخلعه"^(٥)، ورغم هذا التأييد الذي لقيه أحمد بن طولون من قضاة أعماله في صراعه مع الموفق، فقد وجد منهم من تحفظ على كتاب خلع الموفق، فقد امتنع بكار^(٦) بن قتيبة قاضي مصر و الذي حضر اجتماع دمشق لعن الموفق، فما كان من أحمد بن طولون إلا أن عمد إلى وضعه في السجن، فبقي مسجوناً إلى سنة ٢٧٠هـ / ٨٣ م، عندما مات بعد خروجه من سجنه بفترة وجيزة^(٧)، وعلى الرغم من أن هذه الحادثة توحى بتدخل أحمد بن طولون بشؤون قضائه، فإنه يبدو أن أحمد بن طولون قد رأي في بكار بن قتيبة خارجاً عن طاعته ومؤيداً لخصومه.

يورد القلقشندي، نصاً لرسالة أرسلها أحمد بن طولون لأحد الفقهاء يوليه فيها لقضاء، وهي رسالة خلدت سياسة ابن طولون في ضمان العدالة من خلال القضاء ، ومما جاء فيها، " ... وأنا لما وقفنا عليه من سديد مذهبك وقويم طريقتك وجميل هديك وحسن سيرتك ورجونه فيك وقرنائه عندك من سلوك الطريقة المثلي، واقتناء آثار أئمة الهدى والعمل بالحق لا بالهوى، رأينا

(١) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٢٩٦.

(٢) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ١٩٧.

(٣) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٢٩٤.

(٤) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٩٥.

(٥) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٢٩٧؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج ٣/ ص ٤٥٠.

(٦) القاضي أبو بكر بكار بن قتيبة بن أسد بن عبد الله بن بشر بن أبي بكرة بن نفع بن كدة الثقفي بن الحارث مولى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حدث عن أبي دواد الطيالسي وغيره، وكان أحد الفقهاء على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، أخذ الفقه عن هلال بن يحيى بالبصرة وولي قضاء مصر أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر وستة عشر يوماً، مات سنة ٢٨٩هـ، (ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ١/ ص ٢٨٠)

(٧) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ ص ١٩؛ العسقلاني، رفع الاصر، ص ١٠٥.

تقليدك القضاء .. وأمرناك بتقوى الله الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب وأن تقسم بين الخصمين إذا تقدما إليك وجلسا بين يديك في لحظك ولفظك، وتوفي كل واحد منهما قسمه من انصافك وعدلك، حتى ييأس القوي من ميلك، ويأمن الضعيف من حيفك وأن تحضر مجلس قضائك من يستظهر برأيه، فإن أصبت أيدك، وإن نسيت ذكرك، وإن تقتدي في كل ما تعمل بكتاب الله الذي جعله سراطاً مستقيماً ونوراً مستبيناً ، فشرع فيه أحكامه وبين حلاله وحرامه، وأوضح به مشكلات الأمور فهو شفاء لما في الصدور وما لم يكن في كتاب الله عز وجل نصه فإن فيما يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم حكمه، وما لم يكن في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتفيت فيه سبيل السلف الصالح من أئمة الهدى رضي الله عنهم" (١) .

استمرت سيطرة الطولونيين على امور القضاء في عهد خمارويه بن أحمد بن طولون، فقد عين خمارويه محمد بن عبده بن حرب قاضياً لمصر بعد وفاة بكار بن قتيبة^(٢)، كما عين حفص بن عمر قاضياً على حلب في عهده^(٣)، وفي عهد هارون بن خمارويه، جمع لأبي زرعة محمد بن عثمان الدمشقي قضاء مصر والاسكندرية والشام وحمص وفلسطين والرملة وطبرية^(٤)، فقد كان يعين نواباً من عنده على هذه المناطق^(٥)، أي ان دوره كان أشبه بدور قاضي القضاة في الدولة العباسية، وقد بقي أبو زرعة قاضياً على جميع أعمال الطولونيين، حتى دخل محمد بن سليمان الكاتب مصر وأعادها إلى الخلافة العباسية، فلما عاد إلى بغداد حمل معه أبا زرعة فيمن حمل معه من أسرى الطولونيين، وبعد أن سقطت الدولة الطولونية سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م، أصبح تعيين قضاة الشام من قبل الخليفة أو قاضي قضااته^(٦).

النظر في المظالم:

وعندما استقلت الدولة الطولونية بمصر كان أول من جلس بمصر من الأمراء للنظر في المظالم أحمد بن طولون^(٧)، ويذكر الكندي " ان جلوس أحمد بن طولون للنظر في المظالم جعل الناس تستغني عن القاضي حتى كان بكار ربما نعس في محله واتكأ ثم انصرف الى منزله، ولم

(١) صبح الاعشى، ج ١١/ص ٢٩-٣٠.

(٢) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٧٩ ؛ العسقلاني، رفع الاصر، ص ٢٦٥.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص ٥٢.

(٤) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٨٠.

(٥) ابن طولون، قضاة دمشق، ص ٢٤.

(٦) ابن طولون، قضاة دمشق، ٢٢.

(٧) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٢٧.

يتقدم اليه إثنان^(١)، وعندما تولى خمارويه بن أحمد بن طولون مصر (٢٧٠-٢٨٢هـ/٨٨٣-٨٩٦م) من بعده جعل على المظالم بمصر محمد بن عبدة بن حرب وذلك في سنة (٢٧٧هـ/٨٩٠م)، وكان ينظر في المظالم من بعد وفاة القاضي بكار بن قتيبة سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م)، حتى تولى القضاء سنة (٢٧٧هـ/٨٩٠م)، وكانت مصر في تلك المدة بلا قاضي^(٢).

كاتب السر:

وجد في البلاط الطولوني وظيفة كاتب السر، وهو بمثابة السكرتير الخاص للأمير، إذ استحدث هذا المنصب أحمد بن طولون فكان يتم اختيار شخص من المقربين إلى الأمير ليتولى هذه الوظيفة، فيقوم بكتابة وتدوين كل ما يحدث في مجلس الأمير^(٣)، وتتطلب هذه الوظيفة السرعة والدقة التامة، ورغم من سماع كاتب السر ما يدور في مجلس الأمير إلا أنه لا يظهر لأحد، وهذا فقد حرص ابن طولون على أن ينتفع بهذا في تكييف خطه الحكومية المختلفة^(٤).

الشرطة:

لم يتعرض أحمد بن طولون في أول ولايته للأهمية السياسية التي كان يتمتع بها صاحب الشرطة من العهود السابقة والتي كان أهم مظاهرها انه ينوب عن الوالي في حالة غيابه فنجد ان ابن طولون نفسه قد أناب عنه في الحكم صاحب الشرطة العليا طغلغ^٥ عندما خرج هو الى الاسكندرية سنة (٢٥٧هـ/٨٧١م)^(٦)، وعندما ازداد نفوذ ابن طولون في مصر وأصبح لدولته شبه استقلال عن دولة لخلافة العباسية في بغداد، جرد صاحب الشرطة العليا من هذا الاختصاص السياسي واقتصر عمله على حفظ الأمن وتنفيذ ما يصدر اليه من أوامر الحكام والقضاة وكانت تلك هي اختصاصات صاحب الشرطة في عاصمة الخلافة^(٧).

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٥١٢.

(٢) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٧٩.

(٣) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ١٠٠.

(٤) كاشف، أحمد بن طولون، ص ١٧٩.

(٥) طغلغ، أحد قواد أحمد بن طولون، جعله على الشرط موضع أخيه موسى بن طولون في رمضان سنة سبع وخمسين ومائتين. ثم استخلفه على الفسطاط لما خرج إلى الاسكندرية، فخلفه حتى قدم، توفي بعد سنة

٢٥٧هـ، (المقريزي، المقفى الكبير، ج ٤/ص ٢١)

(٦) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢١٥.

(٧) المقريزي، الخطط، ج ١/ص ٣٠٥.

إصدار النقود ونقش أسماء الحكام الطولونيين:

١- دينار أحمد بن طولون

رغم نجاح ابن طولون في تثبيت سلطته بمصر وتأسيسه مدينة القطائع ، إلا أنه لم يفكر في تسجيل اسمه على الدينار الذهبية الا في سنة ٢٦٦هـ/ ٨٨٠م، وعرفت هذه الدينار بالأحمدية لأنها حملت اسم أحمد بن طولون الى جانب اسم الخليفة المعتمد، وهي تتماشى في طرازها العام مع طراز الدينار العباسية السائدة آنذاك ولا يفرقها عن غيرها سوى أسماء دور الضرب التابعة لنفوذ الطولونيين في مصر والشام مثل دمشق وحمص والرملة بالإضافة الى اسم والي الطولوني، اشتهرت الدينار الأحمدية في الشرق الاسلامي بفضل وزنها القريب دوماً من الوزن الشرعي للدينار الإسلامي وهو ٤,٢٥ غم وارتفاع عيارها الذي وصل الى ٢٣,٥ قيراط وهو أعلى عيار عرفته الدينار الإسلامية كعملة دولية للتجارة في العصور الوسطي، وبعد أحمد بن طولون حرص خلفاؤه على ان تكون عملاتهم بذات الأوزان والوفية والعيارات العالية التي اشتهر بها الدينار الأحمدية فيما تبقى من عمر الدولة أثناء حكم خمارويه وابنه أبي العساكر ثم هارون بن خمارويه^(١) جاءت طرز دنانير أحمد بن طولون كالآتي:

الوجه	الظهر :
المركز :	المركز :
لا اله الا الله وحده	الله
لا شريك له	محمد
المفوض إلى الله	رسول
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة ست وستين ومائتين.	الله
المدار الثاني : لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.	المعتمد على الله
	أحمد بن طولون
	المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

من الكتابات الموجودة على الدينار الأحمدية تبين لنا ان أحمد بن طولون سعى الى تخليد نفسه عن طريق:

- اسمه الذي جاء بظهر الدينار بعد اسم الخليفة العباسي المعتمد على الله

(١) فهمي، موسوعة النقود العربية وعلم النميات، ج ١/ص ١٢٣-١٢٤.

- اكتسبت الدنانير الأحمدية شهرتها في الشرق الاسلامي بفضل وزنها "٤,٢٥ جرام" وارتفاع عيارها الذي وصل الى ٢٣,٥ قيراط وهو أعلى عيار عرفته الدنانير الإسلامية, لهذا السبب زاد الطلب عليها وعلى اكتنازها

- تشابهت كتابات دراهم أحمد بن طولون مع دنانيره إذ ظهر اسمه واسم الخليفة المعتمد على الله أسفل نصوص كتابات مركز الظهر, وظهرت له دراهم لسنة ٢٦٦هـ, ٢٦٧هـ, ٢٦٨هـ, ٢٦٩هـ, ٢٧٠هـ^١, وتوزعت مراكز سك الدراهم في مصر والرافقة^٢

٢- دينار خمارويه بن أحمد:

مظاهر التخليد في نقود خمارويه بقيت نفسها في الدينار الأحمدى بخصائصه ومميزاته, والاختلاف الوحيد هو في ظهور اسم الحاكم الطولوني الجديد وهو خمارويه بعد اسم الخليفة العباسي, وكالتالي:

الوجه المركز :	الظهر : المركز
لا اله الا الله وحده لا شريك له المفوض إلى الله	الله محمد رسول المعتمد على الله خمارويه بن أحمد
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة إحدى وسبعين ومائتين. المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.	المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

هذا الطراز مشابه تماما لطراز الدينار الأحمدى، والاختلاف فيه هو اسم الأمير الطولوني الجديد (خمارويه بن أحمد).

مظاهر التخليد التي ظهرت على دنانير خمارويه بن أحمد:

- تخليد اسمه أسفل نصوص مركز الظهر بدلا من اسم أبيه أحمد ابن طولون

^١ ينظر شكل رقم (١)

(٢) الرافقة الفاء قبل القاف, بلد متصل البناء بالرقعة وهما على ضفة الفرات, وهي على هيئة مدينة السلام ولها ربض, وبها أسواقها وقد خرب بعض أسوار الرقة وخربت وغلب اسمها على الرافقة وصار اسم المدينة الرقة وهي من أعمال الجزيرة مدينة كبيرة كثيرة, (ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج ٣/ ص ١٥)

- ظهور الحروف لأول مرة على السكة الطولونية إذ ظهر حرف (ج) و (ح) أعلى نصوص مركز الوجه و اسفل نصوص مركز الظهر
- ظهرت الحلقات الدائرية على دنانير خمارويه للسنوات, ٢٧٦هـ, و ٢٧٩هـ, ٢٨٠هـ^١, أعلى و أسفل نصوص كتابات مركز الوجه و الظهر^(٢).

٣- دينار جيش بن خمارويه:

لم يظهر له سوى دينار واحد, ويعود سبب ذلك الى مدة حكمه القصيرة جدا التي لم تتجاوز سبعة اشهر, لقد تشابهت دنانير جيش بن خمارويه مع دنانير أبيه والاختلاف هو استبدال اسم خمارويه باسم ابنه جيش^(٣).

الوجه	الظهر :
المركز	المركز:
لا اله الا	محمد
الله وحده	رسول
لا شريك له	الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينير بمصر	المعتضد بالله
سنة ثلث و ثمانين و مائتين	جيش بن خمارويه
المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد	المدار: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.	على الدين كله ولو كره المشركون.

٤- دنانير هارون بن خمارويه

تعددت نقوده والتي ضربت في مدن عدة في دمشق و فلسطين وحلب و جاءت مشابهة لدنانير أبيه خمارويه بن أحمد مع بعض الاختلافات بظهور حرف (ب) لأول مرة على السكة

^١ ينظر شكل رقم (٢)

(٢) فهمي, موسوعة النقود العربية, ج١/ص١٢١-١٢٢.

(٣) فهمي, موسوعة النقود العربية, ج١/ص١٣٦.

الطولونية، واستبدال اسم الخليفة المعتضد بالله الذي ظهر على دنائير خمارويه باسم الخليفة المكتفي بالله على نصوص كتابات مركز الظهر^١ وكالاتي.

الوجه المركز:	الظهر : المركز :
لا اله الا الله وحده لا شريك له	الله محمد رسول الله المعتضد بالله هرون بن خمارويه
المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة أربع وثمانين ومائتين. المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ومن قبل ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون،

٥- أبو المواقيت شيبان بن خمارويه بن أحمد بن طولون

و هو آخر الأمراء الطولونيين تولى الحكم ١٩ صفر سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م، بعد مقتل أخيه هارون، إلا أنه لم تظهر له سكة حتى الآن و لعل السبب في ذلك قصر المدة التي أصبح فيها حاكماً على مصر، لأنه عزل في ربيع الأول من السنة نفسها بعد أن حكم تسعة أيام.

مظاهر التخليد في الدراهم الطولونية:

١- دراهم أحمد بن طولون وتمثل طرازاً واحد فقط وكما يلي:

الوجه المركز:	الظهر : المركز :
لا اله الا الله وحده لا شريك له المفوض إلى الله	الله محمد رسول الله المعتمد على الله أحمد بن طولون
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدرهم بسنة سبع وستين ومائتين. المدار الثاني: الله الأمر من قبل و من بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

٢- دراهم خمارويه بن أحمد:

^١ ينظر شكل رقم (٣)

جاءت مشابهة لدرهم أبيه و كذلك مماثلة لكتابات دنانيه و لم يطرأ عليها أي تغير ، والدراهم التي وجدت له كانت ضرب سنة ٢٧٢هـ ، ٢٧٥هـ ، ٢٧٦هـ. كانت جميعها بطراز واحد كما يلي:

الوجه المركز :	لا اله الا الله وحده لا شريك له المفوض الى الله المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدرهم بدمشق سنة أثنين وسبعين ومائتين. المدار الثاني : الله الأمر من قبل و من بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.
الظهر : المركز :	الله محمد رسول الله المعتمد على الله خمارويه بن أحمد المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الفلس الطولونية:

بدأ سك الفلس الطولونية في سنة ٢٥٨هـ / ٩٦٨م، وجميع الفلس التي وصلتنا لأحمد بن طولون و جاءت بعدة طرز:

المركز : الوجه:	لا اله الا الله وحده لا شريك له
الظهر المركز :	الله محمد رسول الله المدار : بسم الله ضرب هذا الفلس بمصر سنة ثمان و خمسين و مائيتين

جاءت الفلس الطولونية خالية من تخليد أسماء الأمراء الطولونيين وخالية من النصوص القرآنية على كتابات مركز الوجه والظهر واحتوت فقط على مدار واحد جاء باسم مكان ودار الضرب، معظم الفلس الطولونية جاءت من سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م وواحد فقط جاء من سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م، وهي من ضرب مصر وجميعها جاءت من عهد أحمد بن طولون.

الرسائل الرسمية والعلاقات الدبلوماسية:

اهتم الخلفاء والأمراء ورجال الدولة الإسلامية على مر العصور بالأدب وعلومه، وعندما تولى أحمد بن طولون الحكم لم يهمل هذا العلم فقام كعادته بتشجيعه مثله مثل العلوم الأخرى التي ارتفع شأنها في عصره^(١) واصبحت لها مرتبة رفيعة عند ذوي الألباب ومما يدل على سمو مكانتها وفضل العناية بها منذ القدم ما نقل عن أرسطو (ت ٣٢٢ ق.م) انه قال "وما تفاخرت الملوك عن قديم الأيام إلا بكتابها ولا رفعت الى عظيم المنازل إلا بها"^(٢)، وكان حكماء اليونان يسمون صناعة الكتابة العلم المحيط.

يقول الشاعر في فضلها:

ان الكتابة رأس كل صناعة وبها تتم جوامع الأعمال^(٣)

ويعد أحمد بن طولون اول من اخذ في ترتيب ديوان الانشاء لما يحتاج إليه في المكاتبات والولايات^(٤)، واول من تولى ديوان الانشاء بمصر هو محمد ابن أحمد ابن مودود المعروف بابن عبد كان، أبو جعفر الكاتب المنشئ صاحب الرسائل المدونة في عشر مجلدات توفي سنة ٢٧٠هـ/٨٣٣م^(٥)، وكان على المكاتبات والترسل منذ أيام أحمد بن طولون ومكاتباته وأجوبته موجودة إلى آخر أيام أبي الجيش خمارويه بن أحمد، وكان أول أمر ابن عبد كان أنه ولى البريد بدمشق وحمص ثم صار كاتب أبي الجيش خمارويه بن أحمد، واشتهر بالبلاغة وحسن الكتابة ابو جعفر محمد بن أحمد بن مودود ابن عبد كان كاتب أحمد بن طولون وكان مبدا الكتاب المشهورين بها^(٦)، وفي مكان اخر يقول واستكتب ابن عبد كان فأقام منار ديوان الانشاء ورفع مقداره^(٧)، اذ تكاد تجمع النصوص التي وصلتنا عن ابن عبد كان انه كان ماهرا في صناعته بليغا في كتابته حتى ان القلقشندي روى ان اهل بغداد كانوا يحسدون اهل مصر على طبطب المحرر الذي انتهت إليه رئاسة الخط بمصر جودة وإحكاما وابن عبد كان يعني كاتب الانشاء لابن طولون ويقول بمصر كاتب ومحرر ليس امير المؤمنين بمدينة السلام مثلهما^(٨)، فقد احدث هؤلاء نهضة واسعة حتى انهم كانوا موضع حسد من قبل اهل بغداد فقالوا

(١) حميدة، الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى الفاطميين، ص ٢٣٠.

(٢) ابن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١/ص ٢٧٥.

(٣) الصولي، ادب الكتاب، ص ٢٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١١/ص ٢٧.

(٥) الصفي، الوافي بالوفيات، ج ٣/ص ٢٥٥.

(٦) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ١/ص ٩٥.

(٧) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ١/ص ٢٨.

(٨) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣/ص ١٧.

فيهم: كانوا يحسدون اهل مصر طبطب المحرر وابن عبد كان يعني كاتب الانشاء لابن طولون فيقولون بمصر كاتب ومحرر ليس لأمير المؤمنين بمدينة السلام مثلهما^(١)، وكانت كتابة ابن عبد تميل الى الاطئاب والتطويل، كما كان ابن عبد كان يدخل الدعاء، اما جملة فقصيرة يزينها بالسجع غالبا فهو يطنب في اللفظ ويكرر المعنى ويقتبس من القرآن الكريم ويكثر من التشبيهات والمحسنات اللفظية.

ففي الخطاب الذي كتبه ابن عبد عن أحمد بن طولون الى العباس بن أحمد بن طولون حين ثار على ابيه تتجلى صورة الكتابة العربية السليمة، ولأهميته التاريخية ولكونه صورة من صور تخليد أحمد بن طولون سوف نورد النص كاملاً^(٢)، " من أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين، إلى الظالم لنفسه، العاصي لربه، لملم بذنبه، المفسد لكسبه، العادي لظوره، الجاهل لقدره، الناكص على عقبه، لمركوس في فتنته، المنجوس من حظ دنياه وآخرته. سلام على كل منيب مستجيب، تائب من قريب، قبل الأخذ بالكظم، وحلول الفوت والندم، وأحمد لله الذي لا إله إلا هو حمد مُعترف له بالبلاء بالجميل، والطول بالجليل، وأسأله مسألة مخلص في رجائه، مجتهد في دعائه، أن يصلي على محمد المصطفى، وأمينه المرتضى، ورسوله المجتبي صلى الله عليه وسلم، أما بعد، فإن مثلك مثل البقرة تثير المدينة بقرنيتها، والنحلة يكون حقها في جناحيها، وستعلم - هبلتك الهوابل، أيها الأحمق الجاهل، الذي ثنى على لغى عطفه، واغتر بضجاج المواكب خلفه، أي موردة هلكة بإذن الله توردت؛ إذ على الله - عز وجل - تمردت وشردت، فإنه تبارك وتعالى قد ضرب لك ي كتابه مثلاً: [وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ]^(٣) ، إِنَّا كُنَّا نَقْرُبُكَ إِلَيْنَا، وننسبك إلى بيوتنا؛ طمعاً في إنابتك، وتأميلاً لفيئتك، فلما طال في الغي انهماكك، وفي غمرة الجهل ارتباكك، ولم نر الموعظة تلين كيدك، ولا التذكير يقيم أودك، لم تكن لهذه النسبة أهلاً، ولا لإضافتك إلينا موضعاً ومحلاً، بل لا نكنى بأبي العباس إلا تكرها وطمعاً بأن يهب الله عنك خلفاً نقلده اسمك ونكنى به دونك، ونعدك كنت نسياً منسياً، ولم تك شيئاً مقضيّاً، فانظر - ولا نظر بك - إلى عار نسبته تقلدت، وسخط من قبلنا تعرضت، واعلم أن البلاء بإذن الله قد أظلك، والمكروه إن شاء الله قد أحاط بك، والعساكر بحمد الله قد أتنك كالسيل في الليل، تؤذن بحرب وبويل، فإننا نقسم ونرجو أن لا نجور ونظلم أن لا ننثي عنك عناءاً، ولا نؤثر على شأنك شأننا، ولا تتوكل ذروة جبل، ولا تلج بطن واد؛ إلا جعلناك بحول الله وقوته فيهما،

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣/ ص ١٨.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٧/ ص ٧.

(٣) سورة النحل: آية ١١٢.

وطلبناك إذ أمّمت منهما، منفقين فيك كل مال خطير، ومستصغرين بسببك كل خطب جليل، حتى تستمر من طعم العيش ما استحلّيت، وتستدفع من البلايا ما استدعيت حين لا دافع بحول الله عنك ولا مزحج لنا عن ساحتك، وتعرف من قدر الرخاء ما جهلت، وتود أنك هبلت ولم تكن بالمعصية عجلت، ولا رأي من أضلك من غواتك قبلت؛ فحينئذ يتقرى بك الليل عن صبحه، ويسفر لك الحق عن محضه فتتنظر بعينين لا غشاوة عليهما، وتسمع بأذنين لا وقر فيهما، وتعلم أنك كنت متمسكا بحبال غرور، متمادياً في مقابح أمور؛ من عقوق لا ينال طالبه^(١)، وبغي لا ينجو هاربه، وعذر لا ينتعش صريعه، وكفران لا يودّ قتيله، وتقف على سوء رويتك، وعظم جريرتك في تركك قبول الأمان؛ إذ هو لك مبذول وأنت عليه محمول، وإذ السيف عنك مغمود، وباب التوبة إليك مفتوح، وتتلّهب والتلّهب غير نافعك، إلا أن تكون أجبت إليه مسرعاً، وانقذت إليه منتصحاً. وإن مما زاد في ذنوبك عندي، ما ورد به كتابك عليّ بعد نفوذي على الفسطاط من التمويهات والأعالي، والعداات بالأباطيل، من مصيرك بزعمك إلى إصلاح ما ذكرت أنه فسد علي، حتى ملت إلى الإسكندرية، فأقمت بها طول هذه المدة، واستظهارا عليك بالحجة، وقطعاً لمن عسى أن يتعلق به معذرة علم بأن الأناة غير صادة، ولا أنه خالجنى شك، ولا عارضني ريب في أنك أردت النزوح والاحتيال للهرب، والنزوع إلى بعض المواضع التي لعل قصدك إياها يوديك، ولعل مصيرك إليها يكفينيك، ويبلغ إليّ أكثر من الإرادة فيك؛ لأنك، إن شاء الله، لا تقصد موضعاً إلا تلوتك، ولا تأتي بلدًا إلا قفوتك، ولا تلوذ بعصمة تظن أنها تتجيك إلا استعنت بالله عز وجل في جد حبلها، وفصم عروتها، فإن حدًا لا يؤوي مثلك، ولا ينصره إلا لأحد أمرين من دين أو دنيا؛ فأما الدين فأنت خارج من جملة لمقامك على العقوق، ومخالفة ربك وإسقاطه، وأما الدنيا فما أراه بقي معك من الحطام الذي سرقته وحملت نفسك على الإيثار به، ما يتهياً لك مكاثرتنا بمثله، مع ما وهب الله لنا من جزيل النعمة التي نستودعه تبارك وتعالى إياها، ونرغب إليه في إنمائها، إلى ما أنت مقيم عليه من البغي الذي هو صارعك، والعقوق الذي هو طالبك^(٢). وأما ما منيتهاه من مصيرك إلينا في حشودك وجموعك، ومن دخل في طاعتك؛ لإصلاح عملنا، ومكافحة أعدائنا بأمر أظهرنا فيه الشماتة بنا، فما كان إلا بسبك، فأصلح أيها الصبي الأخرق أمر نفسك قبل إصلاحك عملنا، واحزم في أمرك قبل استعمالك الحزم لنا، فما أحوجنا الله وله الحمد إلى نصرتك ومؤازرتك، ولا اضطررنا إلى التكثر بك على شقاقك ومعصيتك: وما كذندُمتْ المضلّين عضداً على من تهول بالجنود، وتمخرق بذكر الجيوش، ومن هؤلاء لمسخرون لك، الباذلون دماءهم وأموالهم وأديانهم دونك؟ دون رزق

(١) القلقشندي، الصبح الاعشى، ج ٧ / ص ٧.

(٢) القلقشندي، الصبح الاعشى، ج ٧ / ص ٨.

ترزقهم إياه، ولا عطاء تدره عليهم، فقد علمت إن كان لك تمييز، أو عندك تحصيل كيف كانت حالك في الوقعة التي كانت بناحية أطرابلس، وكيف خذلك أولياوك والمرتزة معك حتى هُزمت، فكيف تغتر بمن معك من الجنود الذين لا اسم لهم معك، ولا رزق لهم على يديك؟! فإن كان يدعوههم إلى نصرتك هيبتك والمدارة لك والخوف من سلطانك، فإنهم ليجذبهم أضعاف ذلك منّا ووجودهم من البذل الكثير والعطاء الجزيل عندنا ما لا يجدونه عندك، وإنهم لأحرى بخذلك، والميل إلينا دونك، ولو كانوا جميعاً معك ومقيمين على نصرتك، لرجونا أن يمكننا الله منك ومنهم، ويجعل دائرة السوء عليك وعليهم، ويجرينا من عادته في النصر وإعزاز الأمر على ما لم يزل يتفضل علينا بأمثاله، ويتطول بأشباهه. فما دعاني إلى الإرجاء لك، والتسهيل من خناقك، والإطالة من عنانك؛ طول هذه المدة إلا أمران: أغلبهما كان علّ احتقار أمرك واستصغاره، وقلة الاحتفال والاكتراث به، وإني اقتصرت من عقوبتك على ما أخلقته بنفسك من لإباق إلى أقاصي بلاد المغرب شريداً عن منزلك وبلدك، فريداً من أهلك ولدك، والآخر: أنني علمت أن الوحشة دعتك إلى الانحياز إلى إذ انحزت إليه، فأردت التسكين من نفارك، والطمأنينة من جأشك، وعملت على أنك تحن إلينا حنين لولد، وتتوق إلى قربنا توقان ذي الرحم والنسب؛ فإن في رفقنا بك ما يعطفك إلينا، وفي تأخينا إياك ما يردك علينا، ولم يسمع منا سامع في خلاء ولا ملاء إنقاصاً بك، ولا غصاً منك، ولا قدحاً فيك؛ رقة عليك، واستتماماً لليد عندك، تأملاً لأن تكون الراجع من تلقاء نفسك، والموفق بذلك لرشدك وحظك، فأما لأن مع اضطرارك إياي إلى ما اضطررتي إليه من الانزعاج نحوك، وحبسك رسلي النافذين بعهد كثير إلى ما قبلك، واستعمالك المواربة والخداع فيما يجري عليه تدبيرك، فما أنت بموضع للصيانة، ولا أهل للإبقاء والمحافظة، بل اللعنة عليك حالة، والذمة منك برية، والله طالبك ومؤاخذك بما استعملت من العقوق والقطيعة، والإضاعة لرحم الأبوة، فعليك من ولد عاق شاق لعنة الله ولعنة للاعنين، والملائكة والناس أجمعين، ولا قبل الله لك صرفاً ولا عدلاً، ولا ترك لك منقلباً ترجع إليه، وخذلك خذلان من لا يؤبه له، وأنتكلك ولا أمهلك، ولا حاطك ولا حفظك. فوالله لأستعملن لعنك في دبر كل صلاة، والدعاء عليك في آناء الليل والنهار، والغدو والآصال، ولأكتبن إلى مصر، وأجناد الشامات والثغور، وقنسرين، والعواصم، والجزيرة، والحجاز، ومكة، والمدينة كتباً تُقرأ على منابرها فيك باللعن لك، والبراءة منك، والدلالة على عقوقك وقطيعتك، يتناقلها آخر عن أول، ويأثرها غابر عن ماض، ويخلد في بطون الصحائف، ويحملها الركبان، ويتحدث بها في الآفاق، وتلحق بك وبأعقابك عارا ما اطرء لليل والنهار، واختلف الظلام والأنوار فحينئذ تعلم أيها المخالف أمر أبيه، القاطع رحمه، العاصي ربه أي جناية على نفسك جنيت، وأي كبيرة اقترفت واجتيت، وتمنيت لو كان فيك مسكة، أو فيك فضل إنسانية أنك لم تكن ولدت، ولا في الخلق عرفت، إلا أن تراجع من

طاعتنا والإسراع إلى ما قبلنا؛ خاضعاً ذليلاً كما يلزمك، فنقيم الاستغفار مقام اللعنة، والرقعة مقام الغلظة، والسلام على من سمع الموعظة فوعاها، وذكر الله فاتقاه، إن شاء الله تعالى^(١)

وقد افرد القلقشندي في كتابه "صبح الاعشى" باباً عن هذه المكاتبات التي كانت ايام الطولونيين او ما قاربها^(٢)، وظهر عدد كبير من الكتاب ايام الطولونيين يعقوب بن اسحق كاتب موسى بن طولون وكان هذا الكاتب يقال انه يعرف زيغ السند هند وعنده علم النجوم^(٣)، وكذلك الحسن بن مخلد بن الجراح الكاتب^(٤)، الذي اشتهر بالذكاء والفهم والدراية فقد حظي بمكانة كبيرة عند الأمير ابن طولون، فولى الخراج وبدأ يوهب له الأموال فازدادت ثروته، فكان الحسن يحب أهل الأدب ويصلهم ويخلع على الشعراء فمدحه الشاعر أحمد بن أبي طاهر^(٥)، فأمر له بمئة دينار^(٦).

ولم يكن كتاب ابن طولون يختمون كتاباً ولا يحررون نسخته حتى يعرضوه عليه فان استصابه امضاه والا غيره وكان لما استكتب في خرجته الى الشام ابا الضحاك محبوب بن رجاء^(٧) ولم يكن بالكامل الا انه كان حاضر الذهن حلو الالفاظ فعرض عليه يوماً كتاباً فلم يقل شيئاً فانفذه محبوب فسأله عنه أحمد بن طولون بعد ايام فقال له: قد انفذته فحرد واغتاض وقال له، ويلك حق الكتب ان تراجع فيها الافكار وقد كان ينبغي ان تؤخر انفاذه وتراجعني فيه فكانت كتبه بعد ذلك تؤخر لمراجعة النظر والتصفح بعد الانشاء وجعل لها ديواناً^(٨)

(١) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ٢٦٠.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٨/ص ١٦٠-١٦٦.

(٣) ابن الداية، سيرة ابن طولون، ص ١٤.

(٤) ولي الحسن الوزارة للمعتمد مرتين، وصادره في الأولى، ثم استوزره مرةً ثالثة سنة خمسٍ وستين، ثم سخط عليه في شعبان من السنة، فتسحب إلى مصر، فأقبل عليه أحمد بن طولون وولاه نظر البلاد، وضمن له زيادة ألف ألف دينار في السنة مع العدل، توفي سنة ٢٧٠هـ، (الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦/ص ٣١٧).

(٥) احمد بن ابي طاهر: احد الشعراء والرواة والبلغاء من اهل العلم فهو صاحب كتاب تاريخ بغداد في اخبار الخلفاء والامراء وایامهم كان اديب اشتهر بتصنيف الكتب وقول الشعر اخذ عن علماء بغداد وعندما بلغ جلس للتعليم في بعض الكتاتيب ثم احترف بعد ذلك مهنة الوراقة مما جعله يقرأ كثيراً من المصنفات، (ياقوت، معجم الادباء، ج ١/ص ٢٨٢)

(٦) المقرئ، المقفى الكبير، ج ٣/ص ٢٥٦.

(٧) أبو الضحاك الحضاري أخو الحسن بن رجاء كان كاتباً لأحمد بن طولون ولابنه خمارويه بن أحمد أبي الجيش وقد تقدم ذكر أبيه رجاء وأخيه الحسن ولم يكن بمصر في زمان محبوب كاتب أنبل ولا أعظم مروءة ولا أحسن منزلاً منه وكان فيه أدب، (ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٧/ص ٧١).

(٨) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ١١٢-١١٤؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج ١/ص ٥٢١.

أما الذي تولى ديوان الإنشاء في عهد خمارويه، إسحاق^(١) بن نصير الكاتب البغدادي أبو يعقوب كاتب الرسائل^(٢)، ويحدثنا ياقوت الحموي أن إسحاق بن نصير الكاتب البغدادي كان كاتب الرسائل بديوان مصر بعد محمد بن عبد الله بن عبد كان^(٣)، فعندما قدم عليه أبو يعقوب إسحاق بن نصير البغدادي من العراق، والتمس التصرف، فقال له ابن عبد كان: فيم تتصرف؟ فقال: في المكاتبات والأجوبة الترسل، وكان بين يدي أبي جعفر كتب قد وردت، فقال له: خذ هذه وأجب عليها فأخذها ومضى إلى ناحية من الدار، فأجاب عنها، ثم وضع خفه تحت رأسه ونام، وقام أبو جعفر إلى الحجرة التي له فاجتاز به، والكتب بين يديه، فأخذها وقرأها، فلما تأملها جعل يروح إسحاق بن نصير حتى انتبه، فقال له: عمن أخذت الكتبة؟ وأجرى عليه أربعين ديناراً في كل شهر، فلم يزل مع أبي جعفر إلى أن توفي أبو جعفر وانفرد بالأمر علي بن أحمد المادرائي، فقال لإسحاق: الزم منزلك، وانصرف، فوردت كتب فأجاب عنها علي بن أحمد ودخل على أبي الجيش خمارويه فعرضها عليه، فقال له: ما هذه لألفاظ التي تخرج عني فمضى علي بن أحمد وعاد إليه، فما أراد أبو الجيش الجواب والاستزادة، فخرج علي بن أحمد وقال: هاتوا إسحاق بن نصير، فجيء به، فقال: أجب عن هذه، فأجاب، ودخل علي بن أحمد على أبي الجيش فقرأ الأجوبة، فقال: نعم هذا لذي أعرف، إيش الخبر؟ فقال له: كاتب كان مع أبي جعفر فاعتل وأحضرته الساعة، فقال: هاته، فأحضره، فقال: كم رزقك؟ فقال: أربعون ديناراً، فقال لعلي بن أحمد: اجعلها له أربعمائة في الشهر، وقال لإسحاق: لا تفارق حضرتي. فمكث إسحاق حتى صار رزقه ألف دينار في الشهر، فكان وجود بذلك، ويفضل به على الناس، وأرسل إلى بغداد إلى ثلاثة أنفس: إلى أبي العباس المبرد، وأبي العباس ثعلب، وإلى وراق كان يجلس عنده دفعة واحدة ثلاثة آلاف دينار لكل واحد منهم وتوفي هذا الكاتب سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م^(٤).

٤- التخليد الاقتصادي

المشاريع العمرانية الكبرى:

(١) إسحاق بن نصير الكاتب البغدادي كتب الرسائل بديوان مصر بعد محمد بن عبد الله بن عبد كان قال ابن زولاق مات سنة سبع وتسعين ومائتين كان رزقه أربعين ديناراً فجعلها خمارويه ابن طولون أربعمائة دينار وقال له لا تفارق حضرتي فبلغ إسحاق بن نصير إلى أن صار رزقه ألف دينار في كل شهر وكان وجود بذلك ويفضل على الماس وأرسل مرة إلى المبرد ألف دينار وإلى ثعلب ألف دينار وإلى وراق كان يجلس إليه ألف دينار وهم في بغداد، (الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ٢٧٨)

(٢) معجم الادباء، ج ٢/ص ٦٢٨.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٢/ص ٦٢٩.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٢/ص ٦٢٩.

أ- القطائع^(١):

اتخذها أحمد بن طولون عاصمه لدولته، وسبب التسمية ان كبار رجال ابن طولون وقواده وغلماؤه وكذلك أرباب الحرف و الصناعات والتجار اتخذوا قطيعة خاصة بهم فسميت المدينة كلها باسم القطائع، وهي ثالث العواصم الإسلامية التي أنشئت في مصر بعد الفتح العربي بعد الفسطاط والعسكر، وسبب بناء ابن طولون القصر والقطائع كثرة مماليكه وعبيده، فضاقت دار الإمارة عليه، فركب الى سفح الجبل وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى، واختط موضعهما وبنى القصر والميدان المقدم ذكرهما، ثم أمر لأصحابه وغلماؤه أن يختطوا لأنفسهم حول قصره وميدانه بيوتا، واختطوا وبنوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط، ثم بنيت القطائع وسميت كل قطيعة باسم من سكنها^(٢)، فكان للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم، وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم، وللفراسين قطيعة مفردة تعرف بهم، ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم؛ وبنى القواد مواضع، وعمرت القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيما السكك والأزقة، وعمرت فيها المساجد والطواحين والحمامات والأفران والحوانيت والشوارع، واصبحت مدينة كبيرة^(٣)، ويعود تاريخ بناء المدينة الى سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م، وتقع في المنطقة الواقعة شمالي الفسطاط بين جبل يشكر وسفح المقطم قرب دار الإمارة، وكانت مدينة القطائع تمتد في عصر أحمد بن طولون من قبة الهواء التي بنيت على اطلالها قلعه الجبل الى جامع بن طولون ومن الرميطة الواقعة تحت الجبل الى مسجد زين العابدين وهي مساحة قدرت بميل في ميل^(٤).

قال المقرئزي "وكان موضعها: من قبة الهواء التي صار مكانها قلعة الجبل إلى جامع ابن طولون، وهذا أشبه أن يكون طول القطائع، وأما عرضها: فإنه من أول الرميطة تحت القلعة إلى الموضع الذي يعرف اليوم بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يقال له الآن: زين العابدين، وكانت مساحة القطائع ميلا في ميل، فقبة الهواء كانت في سطح الجرف الذي عليه قلعة الجبل"^(٥)، وكانت تحد مدينة القطائع من جهة الغرب ببركة الفيل والخليج المصري وكلاهما من اجمل المنتزهات في ذلك الوقت بالإضافة الى منطقة المرصد التي وصفها والي مصر

(١) القطائع: جمع القطيعة، وهو ما قطعه الخلفاء لقوم فعمروه، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤/ص ٣٧١)

(٢) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ٥٣.

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ٢/ص ١٢٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٥.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٤.

(٥) الخطط، ج ٢/ص ١١٩.

العباسي موسى^(١) بن عيسى بقوله، "أرى ميدان رهان، وجنان نخل، وبستان شجر، ومنازل سكنى، ودور خيل وجبان أموات، ونهراً عجاباً، وأرض زرع، ومرعى ماشية، ومرتع خيل، ومصايد بحر، وقانص وحش، وملاح سفينة، وحادي إبل، ومفازة رمل، وسهلاً وجبلاً في أقل من ميل في ميل"^(٢).

أما خطط المدينة فكانت على شكل حارات أو قطع، تسكن فيها عبيد ابن طولون، وعساكره وغلماؤه، وكل قطيعة لطائفة، فيقال: قطيعة السودان، وقطيعة الروم، وقطيعة الفرّاشين، ونحو ذلك، فكانت كل قطيعة لسكنى جماعة بمنزلة الحارات التي بالقاهرة^(٣)، وجعل ابن طولون قصراً كبيراً فيه ميدانه الذي يلعب فيه بالكرة، وسمّى القصر كلّه الميدان^(٤)، وعمل للقصر أبواباً لكل باب اسم، فباب الميدان الكبير كان منه الدخول والخروج لجيشه وخدمه، وباب الخاصّة لا يدخل منه إلا خاصّته، وباب الجبل الذي يلي جبل المقطم، وباب الحرم لا يدخل منه إلا خادم خصيّ أو حرمة، وباب الدّرسون كان يجلس فيه حاجب أسود عظيم الخلقة يتقلّد جنایات الغلمان السودان الرّجالة فقط، واسمه الدرمون وبه سمّى الباب المذكور، وباب دعناج لأنه كان يجلس فيه حاجب يقال له دعناج، وباب الساج لأنه كان عمل من خشب الساج، وباب الصلاة لأنه كان يخرج منه إلى الصلاة وكان بالشارع الأعظم، وكان هذا الباب يعرف بباب السباع لأنه كانت عليه صورة سبعين من جبس، وكانت هذه الأبواب لا تفتح كلّها إلا في يوم العيد أو يوم عرض الجيش، وما كانت تفتح الأبواب إلا بترتيب في أوقات معروفة، وكان للقصر شبابيك تفتح من سائر نواحي الأبواب تشرف كلّ جهة على باب^(٥)، وكان الطريق الذي يخرج منه ابن طولون، وهو الذي يعرج منه إلى القصر طريقاً واسعاً فقطعه بحائط وعمل فيه ثلاثة أبواب كأكبر ما يكون من الأبواب، وكانت متصلة بعضها ببعض واحداً بجانب الآخر^(٦)، وكان ابن طولون إذا ركب يخرج معه عسكر متكاثف الخروج على ترتيب حسن بغير زحمة، ثم يخرج ابن طولون من

(١) موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، الأمير أبو عيسى العباسي الهاشمي، تولى إمارة مصر ثلاثة مرات، الأولى سنة ١٧١هـ، والثانية ١٧٥هـ، والثالثة ١٧٩هـ، وخرج من مصر وتوجه إلى بغداد وصار من أكابر أمراء الرشيد، وحجّ بالناس من بغداد، وفي سنة ١٨٢١هـ مات بعد عوده من الحج وله خمس وخمسون سنة، وقيل: كانت وفاته في سنة ١٨٩هـ، (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢/ ص ٦٢-٩٧)

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢/ ص ٦٧

(٣) المقرئ، الخطط، ج ٢/ ص ١٢٠.

(٤) البلوي، سيرة أحمد ابن طولون، ص ٥٤.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ ص ١٦.

(٦) المقرئ، الخطط، ج ١/ ص ١٢٣.

الباب الأوسط من الأبواب الثلاثة بمفرده من غير أن يختلط به أحد من الناس، وكان القصر له مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض، ويوم الصدقة لينظر من أعلاه من يدخل ويخرج، وكان الناس يدخلون من باب الصوالجة، ويخرجون من باب السباع، وكان على باب السباع مجلس يشرف منه ابن طولون ليلة العيد على القطائع ليرى حركات الغلمان، وتأهبهم وتصرفهم في حوائجهم، فإذا رأى في حال أحد منهم نقصاً أو خلا، أمر له بما يتسع به، ويزيد في تجمله، وكان يشرف منه أيضاً على البحر، وعلى باب مدينة الفسطاط، وما يلي ذلك^(١).

أحرقت القطائع من قبل محمد بن سلمان سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م^(٢)، يقول الكندي "ثم دخل محمد بن سليمان الكاتب يوم الخميس لمستهل ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائتين، فأمر بإحراق القطائع، فأحرقت ونهب أصحابه الفسطاط"^(٣)، وبقيت هناك مساكن لم تخرب إلى زمن الغلاء العظيم أو الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر الفاطمي سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وقد خربت المدينة بأكملها^(٤)، قال ابن دحية، "وخربت القطائع التي لأحمد بن طولون في الشدة العظمى زمن الخليفة المستنصر العبيدي أيام القحط والغلاء المفرط الذي كان بالديار المصرية، وهلك من كان فيها من السكان، وكانت نيفا على مائة ألف دار"^(٥).

ب- دار الإمارة:

أنشأ أحمد بن طولون بجوار الجامع خلف دار القبلة داراً صارت تسمى دار الإمارة وجعل لها باباً من جدار الجامع كان يدخل منه إلى المقصورة بجوار المحراب وكان ينزل بهذه الدار عند ذهابه لصلاة الجمعة فكان يجلس فيها ويجدد وضوؤه ويغير ثيابه وقد حربت هذه الدار فيما

(١) البلوي، سيرة أحمد ابن طولون، ص ٥٤-٥٥.

(٢) محمد بن سليمان المتولي بتحويل دولة بني طولون، كان أصله من ديار مضر من الرقة اصطنعه أحمد بن طولون وخدمه في مصر. ثم تنكر له وعامله في جاهه وأقاربه بما أحفظه، وخشي على نفسه فلحق ببغداد، ولقي بها مبرة وتكرمة، واستخدمه الخلفاء وجعلوه كاتباً للجيش، فما زال يغريهم بملك مصر إلى أن ولي هارون بن خمارويه، وفشلت دولة بني طولون بالشام، وعاث القرامطة في نواحيه وعجز هارون عن مدافعته، ووصل صريخ أهل الشام إلى المكتفي فقام لدفع ضررهم عن المسلمين، ودفع محمد بن سليمان لذلك، وهو يومئذ من أعظم قواده، فزار بالعساكر في مقدمته، ودخل مصر، (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٤٤)

(٣) الولاة والقضاة، ص ٢٤٧.

(٤) المقرئ، الخطط، ج ٢/ص ١٠٢.

(٥) المقرئ، الخطط، ج ٣/ص ١٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٤٠.

خرب من القطائع والعسكر^(١)، وجعل في هذه الدار جميع ما يحتاج إليه من الفرش والستور والآلات، فكان ينزل بها إذا راح إلى صلاة الجمعة، فإنها كانت تجاه القصر والميدان، فيجلس فيها، وكان يقال لها دار الإمارة، وموضعها الآن سوق الجامع عند البزازين وغيرهم، ولم تزل هذه الدار باقية إلى أن قدم الإمام المعز لدين الله أبو تميم معدّ من بلاد المغرب، فكان يستخرج فيها أموال الخراج^(٢).

ت- حصن جزيرة الروضة:

بنى أحمد بن طولون الحصن في سنة (٢٦٣هـ/٨٧٦م) على الجزيرة التي بين الفسطاط والجزيرة، وأراد بهذا البناء أن يكون معقلاً له ولحرمه وذخائره وماله، وخاصة، بعد غضب الخليفة المعتمد على الله وانفاذ موسى بن بغا واليا على مصر^(٣)، قال المقرئزي، " فلما بلغ أحمد بن طولون مسيره تأمل مدينة فسطاط مصر، فوجدها لا تأخذ إلا من جهة النيل، فبنى الحصن بالجزيرة التي بين الفسطاط والجزيرة ليكون معقلاً لحريمه وذخائره، واتخذ مائة مركب حربية سوى ما يضاف إليها من العشاريات وغيرها؛ فلما بلغ موسى بن بغا بالركة تتأقل عن المسير لعظم شأن ابن طولون وقوته، ثم لم يلبث موسى أن مات، وكفى ابن طولون أمره"^(٤)، قال محمد بن داود لأحمد بن طولون^(٥):

لما قضى ابن بغا بالركتين ملا	ساقيه درقاً إلى الكعبين والعقب
بنى الجزيرة حصناً يستجن به	بالعسف والضرب، والصناع في ب
وواثب الجزيرة القصوى فخذقها	وكاد يصعق من خوف ومن رعب
له مراكب فوق النيل راكدة	لما سوى القار للنظار والخشب
ترى عليها لباس الذل مذ بنيت	بالشط ممنوعة من عزة الطلب
فما بناها لغزو الروم محتسباً	لكن بناها غداة الروع للهرب

وقال سعيد القاص من أبيات^(٦):

(١) المقرئزي، الخطط، ج ٢/ص ١١٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٥.

(٢) المقرئزي، الخطط، ج ٤/ص ٤٥.

(٣) البلوي، سيرة أحمد ابن طولون، ص ٨٦.

(٤) الخطط، ج ٤/ص ٤٥.

(٥) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢/ص ٣٧٨.

(٦) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢/ص ٣٧٨.

وإن جئت رأس الجسر فانظر تأملاً
تري أثرًا لم يبق من يستطيعه
إلى الحصن أو فاعبر إليه على الجسر
من الناس في بدو البلاد ولا حضر

وقد قسم أحمد بن طولون بناء الحصن وعمله على قواده وثقاته وكان " يتعاهددهم بنفسه في كل يوم... ومن كثرة ما بذل في هذا العمل، قدّر أنّ كلّ طوبة منه وقفت عليه بدرهم صحيح، ولما تواترت الأخبار بموت موسى بن بغا كف عن العمل، وتصدّق بمال كثير شكرًا لله" (١).

كان أحمد بن طولون شديد الاهتمام في بناء هذا الحصن حتى ان المقرئ يروي شدة اهتمام الناس بما فعله أحمد بن طولون بقوله "وما رأى شيئاً كان أعظم من عظيم الجّد في بناء هذا الحصن، ومباكرة الصناع له في الأسحار حتى فرغوا منه، فإنهم كان يخرجون إليه من منازلهم في كلّ بكرة من تلقاء أنفسهم من غير استحثاث، لكثرة ما سخا به من بذل المال، فلما انقطع البناء لم ير أحد من الصناع التي كانت فيه مع كثرتها، كأنما هي نار صبّ عليها ماء فطفئت لوقتها، ووهب للصناع مالا جزيلا وترك لهم جميع ما كان سلفا معهم" (٢)، بلغ مصروف هذا الحصن مائتي ألف دينار ذهباً (٣) وفي رواية ثمانين ألف دينار ذهباً (٤)، وما زال حصن الجزيرة هذا عامراً أيام بني طولون وعملت فيه صناعة مصر التي تنشأ فيها المراكب الحربية (٥)، وفي عهد السيوطي غلبت عليه مياه نهر النيل ، وقد بقيت منه بقايا متقطعة إلى الآن (٦)، وكانت الروضة تعرف في العصر الإسلامي الأول باسم: الجزيرة أو جزيرة مصر ثم بنى أحمد بن طولون حصناً فعرفت بجزيرة الحصن كما كانت تسمى بجزيرة الصناعة لوجود دار الصناعة بها (٧)، على أن كثير من المؤرخين والكتاب والشعراء قد لاموا ابن طولون على عدم اتمامه هذا الحصن ووضحوا ان البلاد لم تستفد من هذا العمل غير تسخير الأهالي وضياع الأموال ومن أشهر ما قيل في هذا الصدد:

(١) المقرئ، الخطط، ج ٣/ص ٣١٦؛ البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ٨٧.

(٢) الخطط، ج ٣/ص ٣١٧.

(٣) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ٨٧.

(٤) المقرئ، الخطط، ج ٣/ص ٣١٧.

(٥) المقرئ، الخطط، ج ٣/ص ٣١٧.

(٦) حسن المحاضرة، ج ٣/ص ٣٧٨.

(٧) الشيال، تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي الى نهاية العصر الفاطمي، ص ٤٧.

لَمَّا ثَوَى ابْنُ بُعَا بِالرَّقَّتَيْنِ مَلَا
بَنَى الْجَزِيرَةَ حِصْنًا يَسْتَجِنُّ بِهِ
لَهُ مَرَاقِبُ فَوْقَ النَّيْلِ رَاكِدَةٌ
يُرَى عَلَيْهَا لِبَاسُ الدُّلِّ مُذْ بُنِيَتْ
فَمَا بَنَاهَا لِعَزْوِ الرُّومِ مُحْتَسِبًا
سَاقِيهِ زَرْقًا إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَالْعَقَبِ
بِالْعَسْفِ وَالضَّرْبِ وَالصُّنَّاعِ فِي تَعَبِ
فَمَا سَوَى الْقَارِ لِلنُّظَارِ وَالْخَشَبِ
بِالشَّطِّ مَمْنُوعَةً مِنْ عِزَّةِ الطَّلَبِ
لَكِنْ بَنَاهَا غَدَاةَ الرَّوْعِ لِلْهَرَبِ

واهتم خمارويه اهتماماً كبيراً بشؤون بلاده، ولذلك قام بالعديد من الإصلاحات وصرف عليها الكثير من الأموال، ومن أهم أعماله ما يلي:

أ- البستان:

عمل خمارويه على عمارة الميدان الذي كان لآبيه وحوله الى بستان، " فأخذ الميدان فجعله بستاناً زرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر^(١) وحمل إلى هذا البستان النخل من خراسان وغيرها، ثم بنى في البستان برجاً من الخشب الساج المنقوش بالنقر النافذ، وطعمه ليقوم هذا البرج مقام الأقفاص، وبلط أرضه وجعل فيه أنهاراً لطافاً يجرى فيها الماء المدبر من السواقي، وسرح في البرج من أصناف الفمارى والدباسى والنوبيات وما أشبهها من كل طائر يستحسن صوته، وأطلقها بالبرج المذكور، فكانت تشرب وتغتسل من تلك الأنهار^(٢)، وجعل فيه أوكاراً في قواديص لطيفة ممكنة في جوف الحيطان، لتفرخ الطيور فيها، وعارض لها فيه عيداناً ممكنة في جوانبه لتقف عليها إذا تطايرت حتى يجابو بعضها بعضاً بالصياح، وسرح في البستان من الطير العجيب كالطواويس، ودجاج الحبش، ونحوها شيئاً كثيراً^(٣)، ثم بنى خمارويه في القصر أيضاً قبةً تضاهي قبة الهواء سماها الدكة، وجعل لها الستر الذي يقى الحسر والبرد فيسدل حيث شاء ويرفع متى أحب؛ وكان كثيراً ما يجلس في هذه القبة ليشرف منها على جميع ما في داره من البستان والصحراء والنيل والجبل وجميع المدينة^(٤)

ب- بيت الذهب :

هو عبارة عن غرفة فسيحة تتصل برواق فسيح، وكانت إحدى عجائب الدنيا، طليت حيطانه بالذهب كلها واللازورد ، وفي أحسن نقش وعليها كثير من الصور البارزة على مقدار

(١) المقرئزي، المقفى الكبير، ج ٣/ص ٤٦٦.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٥٤؛ المقرئزي، المقفى الكبير، ج ٣/ص ٤٦٦.

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ٢/ص ١٢٥ .

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٥٤.

قائمة ونصف، وكانت مصنوعة من خشب، معمول على صورة خمارويه وحظاياها والمغنيات، وجعل على رؤوسهن أكاليل من الذهب الخالص والجواهر المرصعة ، وفي أذانهن الأقراط المحكمة الصنعه كما لونت أجسامهن بأصناف أشباه الثياب من الأصباغ العجيبة فكانت تبدو كأنها ثياب حقيقية، فكان هذا القصر يعد من أعجب ما قد بنى^(١).

ت- بركة الزئبق :

شكا ذات يوم خمارويه طبيبه لشعوره بالأرق، فأشار عليه باتخاذ بركة مملوءة بالزئبق، وكانت مساحتها خمسين ذراعاً في خمسين ذراعاً، وجعل في أركان هذه البركة سككاً من الفضة، وجعل فيها زنابير من حرير محكمة الصنع في حلق من فضة،^(٢) وعمل فرشاً من جلد ينفخ بالهواء فيحكم شده ويلقي الزئبق في تلك البركة وليشد الزنابير الحرير التي في حلق الفضة فينزل خمارويه وينام فيها نوماً عميقاً فيرتج ويتحرك بحركة الزئبق مادام عليه لم يسبق أحد خمارويه لعمل مثل هذه البركة^(٣)، فكان لها منظر عجيب في الليالي المقمرة، وظل الناس بعد خرابها يستخرجون الزئبق بعد حفرهم لهذه الارض^(٤).

ث- دار السباع :

بني خمارويه في قصره أيضا دارا للسباع وعمل فيها بيوتا كل بيت لسبع لم يسع البيت غير السبع ولبؤته، وعمل لتلك البيوت أبوابا تفتح من أعلاها بحركات، ولكل بيت منها طاقة صغيرة يدخل منها الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت لفرشه بالرمل، وفي جانب كل بيت حوض من الرخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء، وبين يدي هذه البيوت رحبة فسيحة كالقاعة فيها رمل مفروش، وفي جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير، فإذا أراد سائس من سؤاس بعض السباع المذكورة أن ينظف بيت ذلك السبع أو يضع له غذاءه من اللحم، رفع الباب بحيلة من أعلى البيت وصاح على السبع يخرج الى الرحبة المذكورة؛ ثم يرد الرجل الباب وينزل الى البيت من الطاقة ويكنسه ويبدل الرمل بغيره من الرمل النظيف، ويضع غذاءه من اللحم في مكانه بعد ما يقطع اللحم قطعاً ويغسل الحوض وتملؤه ماء، ثم يخرج الرجل ويرفع الباب من أعلاه كما فعل أولاً، وقد عرف السبع ذاك، فحالما يرفع الباب دخل السبع الى بيته وأكل ما هيئ له من اللحم، فكانت هذه الرحبة فيها عدة سباع ولهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت

(١) المقرئزي، الخطط، ج ٢/ص ١٢٥.

(٢) المقرئزي، الخطط، ج ٢/ص ١٢٥.

(٣) المقرئزي، المقفى الكبير، ج ٣/ص ٤٦٦.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٥٥.

السباع فتخرج الى الرحبة المذكورة وتشمس فيها ويهارش بعضها بعضا فتقيم، يوما كاملا إلى العشي وخمارويه وعساكره تنظر إليها^(١)، ومن بين هذه السباع يوجد سبع أزرق العينين، يقال له زريق، وعلى رقبته طوق من الذهب، وقد أنس هذا السبع بخمارويه فكان مطلقاً في الدار لا يؤذي أحداً وإذا نصبت مائدة خمارويه يقبل عليه هذا السبع ويربض بين يديه، فيرمي له الدجاج وغيره مما على المائدة، وإذا نام خمارويه كان زريق يقوم بحراسته ويرعاه مادام نائماً، وينتبه لمن يدخل عليه ولا يغفل عنه لحظة، فكان لا أحد يستطيع الاقتراب من خمارويه مادام نائماً، وزريق في حراسته، ورغم ذلك فقد شاءت الأقدار أن يموت خمارويه في، كما قام أيضاً بتوسيع إسطبلاته لكثرة الدواب دمشق، فعمل لكل صنف منها إسطبلًا خاصاً، فلجمال والفهود والنمور والزرافات إسطبلات منفردة غير الإسطبلات التي في الجيزة، وكانت الضياع لا تزرع فيها إلا القرط برسم لأجل هذه الدواب، وكان له أيضاً إسطبلات خاصة لخيول السباق، وكان على كل إسطبل وكلاء لهم الرزق والوظائف الكثيرة والأموال المتسعة^(٢).

ج- دار الحرم:

كذلك من أهم ما قام به خمارويه هو بناؤه لدار كبيرة سماها دار الحرم، نقل إليها زوجات ابيه مع أولادهن وزوجاته من أمهات أولاده، فخصص لكل واحدة حجرة واسعة مع خدماتها من الخدم الموكلون بالحرم من الطباخين يتحصلون على مواد زائدة كثيرة يبيعونها للأهالي، وهذه الدار ظلت خالدة في الذاكرة المصرية لأن هؤلاء الطباخين كانوا يبيعون الطعام المتبقي إذ استفاد الأهالي من هذه الموائد إذا جاءهم ضيف ذهبوا لشراء الطعام من دار الحرم ليتجملوا به امام ضيوفهم، وكان الخدم الموكلون بالحرم من الطباخين وغيرهم يفضل لكل منهم مع كثرة عددهم الشيء الكثير من الدجاج ولحم الضأن والحلوى والقطع الكبار من الفالوذج والكثير من اللوزينج والقطائف والهبرات من العصيدة التي تعرف اليوم بالمأمونية وأشباه ذلك مع الأرغفة الكبار، واشتهر بمصر بيع الخدم لذلك، فكان الناس يأتونهم لذلك من البعد ويشتررون منهم ما يتفكّهون به من الأنواع الغريبة من المأكّل، وكان هذا دواما في كلّ وقت بإذن الرجل إذا طرّقه ضيف خرج من فوره الى باب دار الحرم فيجد ما يشتريه ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله^(٣).

ج- بلدة العباسية (قصر العباسية):

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٥٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٥٨.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٥٤.

سميت هذه البلدة بالعباسة نسبة الى عباسة بنت أحمد بن طولون التي شيدت قصرا في هذا الموضع وأحكمت عمارته لوداع بنت أخيها قطر الندى فكان لذاك الموضع قصر عباسة، قال **ياقوت الحموي**: العباسية بفتح أوله وتشديد ثانيه وبعد الألف سين مهملة، وهي بليدة أول ما يلقي القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية ذات نخل طوال^(١)، ولما زوج خمارويه ابنته قطر الندى من المعتضد وخرج بها من مصر الى العراق عملت عباسة في هذا الموضع قصرا وأحكمت بناءه وبرزت اليه لوداع بنت أخيها فلما سارت قطر الندى عمر ذلك الموضع بالفقر وصار بلدا لأنه في أول أودية مصر من جهة الشام فكان يقال له قصر عباسة، قال **المقريزي** "لم يزل منتزها لملوك مصر وبها ولد العباس بن أحمد بن طولون فسماه لذلك أبوه العباس ولم تزل العباسية حتى أنشأ الملك الصالح نجم الدين المنزلة الصالحية فتلاشى حينئذ امر العباسية وسميت بالعباسية بنت أحمد بن طولون فأنها خرجت الى هذا الموضع مودعة لبنت أخيها قطر الندى بنت خمارويه لما حملت الى المعتضد ثم بنت قرية فسميت باسمها"^(٢).

وعن جهود الطولونيين في مجال العمران في الشام، فقد بنى أحمد بن طولون قلعة يافا^(٣)، والتي يصفها ابن شداد بأنها قلعة شاهقة في الهواء^(٤)، ويبدو أن بناء أحمد بن طولون لهذه القلعة كان الهدف منه أن تكون نقطة مراقبة للسفن التي قد تعبر المياه المحاذية للساحل الشامي في طريقها إلى مصر، كما عمل أحمد بن طولون على ربط مصر بالشام، وبأقصر الطرق، لذلك فقد اهتم أحمد بن طولون بعمارة مدينة أيلة (العقبة)، على اعتبار أنها طريق الحجاج القادمين من مصر والمغرب، وفرضة أهل الأردن وفلسطين فقام بإنشاء طريق جديدة بدلاً من الطريق القديمة التي كانت ضيقة وتطغى عليها أمواج البحر، وسميت هذه الطريقة بعقبة أيلة^(٥)، ويصف ابن اياس خمارويه بأنه كان مولعاً بالعمائر^(٦)، فقد بنى خمارويه قصراً على سفح جبل قاسيون قرب دمشق و أقام فيه^(٧)، ويبدو أن هذا القصر اتخذ دار الإمارة، كما اتخذ خمارويه من قصر نخلة والذي يقع في المنطقة ما بين الرملة والقدس مكاناً للاستراحة

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤/ص ٧٥.

(٢) المقريزي، الخطط، ج ١/ص ٢٣٢.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٦/ص ٤٢٨.

(٤) الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، ج ١/ص ١٠٧.

(٥) المقريزي، الخطط، ج ١/ص ٦٠٧.

(٦) بدائع الزهور، ج ١، ق ١/ص ١٦٩.

(٧) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٦٤.

فيه^(١)، بلغ من اهتمام خمارويه ببناء أماكن الترويح عن النفس، أن بني سريراً طويلاً كان يجلس عليه في نهر الفرات^(٢)، كما كرر خمارويه الخطوة التي كان قام بها والده بإصلاح الطريق التي تربط مصر والشام عبر أيله (العقبة)، يذكر الحميري أن فائق مولي خمارويه قام بإصلاح وتسوية طريقها سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م^(٣).

إدارة الضرائب والموارد

أ- الخراج:

بينما كان عمل والي مصر الأساسي هو الإشراف على جباية الضرائب وإرسالها إلى الخليفة في بغداد، فقد بدأ أحمد بن طولون بتغيير هذا المفهوم، وبدأ يبسط نفوذه لكامل على مصر، وأشرف إشرافاً مباشراً على البريد والخراج، وعلى الولايات والمقاطعات الأخرى التابعة لمصر، وتمكن بذلك وحكته من تنحية كل من وقف في طريقه من عمال الخليفة الآخرين، الذين حاولوا الخروج عن طاعته، اعتماداً على اتصالهم المباشر بالخليفة^(٤) وأصبح ابن طولون أميراً على مصر، وليس مجرد نائب لقطاعي مقيم في بغداد، أو مجرد إمام الصلاة، أو قائد لحامية إسلامية تعسكر في مصر، كما فعل من سبقوه^(٥)، وحدث اصطدام بين أحمد بن طولون غداة دخوله مصر بعا مل الخراج أحمد بن المدبر، الذي بالغ في ظلم الأهالي، واشتط في جمع الضرائب منذ قدومه إلى مصر سنة ٢٤٧هـ / ٨٨٦م^(٦)، ويصفه البلوي بقوله "كان من دهاة الناس، وشياطين الكتاب، والعمال الأجلاذ"^(٧) إذ أهدى إليه أحمد بن مدبر من دق مصر، ودوابها، والرقيق المجلوب إليها، ما مقداره عشرة آلاف دينار، فرد ذلك عليه، وذكر أنه لا حاجة له بشيء منه. فثقل ذلك على ابن مدبر، وقال: ما ينبغي أن يثق السلطان بمن لم يكن لعشرة ألف دينار في عينه قدرٌ على طرفٍ من أطراف مملكته، فلما مضت أيام بعث إليه: قد كنت

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦/ص ١١٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١/ص ٥٣.

(٣) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٧٠.

(٤) ابن تغري، بردي. النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٧.

(٥) البلوي، سيرة أحمد ابن طولون، ص ٧٥.

(٦) البلوي، سيرة أحمد ابن طولون، ص ٤٣.

(٧) سيرة أحمد ابن طولون، ص ٤٣.

أنفذت إلي طائفة من برك فرددتها عند وقوع الاستغناء عنها، وقد بلغني أن عندك مائة رجل من مولدة الغور، وبني إليهم أمس حاجة قال ابن المدبر " قد ظهرت في هذا الرجل علامة أخرى، يرد الأعراض والأموال، ويستهدى الرجال"^(١)، ذلك ان ابن المدبر عندما قدم الهدايا كانت نيته بقصد استمالة عواطف أحمد بن طولون^(٢) إلا أن أحمد بن طولون رد الهدية، فأدرك أحمد بن المدبر أن ابن طولون جاد في الاستقلال، فكتب للخليفة مبيناً أن مثل هذا الرجل يجب ألا يكون بعيداً عن الحضرة، وأوضح له أن ابن طولون لايؤتمن على ولاية مصره ولا على طرف من الأطراف^(٣)

وقد أدرك أحمد بن طولون ضرورة وجود قوة في بغداد، تدافع عنه حتى يتمكن من البقاء في مصر، فما كان منه الا أن استمال بعض التجار في مصر والعراق^(٤) كما عمل على تقديم العطاء والهدايا، لكسب رجال البلاط العباسي، فعملت هذه السياسة فعلاً لصالحه، ومكنته من الاستمرار في مصر، رغم كثرة الكتب المتلاحقة ضده من ابن المدبر، وشقير الخادم عامل البريد^(٥) وبفضل بعض رجالات البلاط العباسي، الذين وقفوا مع أحمد بن طولون، استطاع التعرف على أبرز أعدائه، فأمر باستدعاء شقير الخادم عامل البريد، وأمر باعتقاله، ولم يلبث شقير هذا أن مات خوفاً من أحمد بن طولون^(٦) وبذلك تخلص من أحد أبرز أعدائه. كما أدرك ابن طولون ضرورة التخلص من ابن المدبر، فأرسل الى الخليفة المهدي بالله سنة (٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، يسأله صرف ابن المدبر عن خراج مصر، وكان باكباك الغالب على أمر الخلافة فأجيب ابن طولون الى طلبه^(٧) .

وعندما أصبحت إمارة أحمد بن طولون على مصر امارة استيلاء بعد ان كانت امارة استكفاء^(٨) أصبح أحمد بن طولون اميرا مسئولاً، خرج عن طاعة الخليفة، واستأثر بالإقليم

(١) ابن الداية، المكافأة، ص ٦٩.

(٢) المقرئ، الخطط، ج ١/ ص ٥٩١.

(٣) ابن سعيد، المغرب المغرب في حلى المغرب، ص ٧٧.

(٤) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٦٠.

(٥) ابن الداية، المكافأة، ص ٩٠.

(٦) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ٧.

(٧) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ ص ٩.

(٨) امارة الاستكفاء: يسمى من يقوم بها بالمستكفي، ويدين دائماً بالولاء والطاعة للخليفة وعرفت ايضاً بأمارة تفريض او تعبين، اما امارة الاستيلاء فتوليها يستأثر بالإقليم لنفسه بالقوة، ويكون تقليد من الخليفة صوري، (الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٦٤).

لنفسه^(١)، وإمام هذا الوضع الجديد الذي أصبح عليه أحمد بن طولون، وجد الخليفة العباسي المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٢٩ - ٩ م) نفسه مضطراً الى ارسال كتاب إلى أحمد بن طولون سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م)، قلده فيه خراج مصر، وولاه إمرة الثغور الشامية على اثر اضطرابها، وسوء الإدارة فيها^(٢)، وفي ذلك يقول المقرئ " ان أحمد بن طولون عندما تسلم أرض مصر من أحمد بن المدير كانت قد خربت حتى إن خراجها بلغ ٨٠٠ ألف دينار"، فقام أحمد بن طولون بالإصلاحات في مصر، حتى وصل خراجها الى أربعة آلاف ألف دينار و ٣٠٠ ألف دينار وذلك في سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)^(٣)، وعمل ابن طولون على الاهتمام بالأحوال الزراعية، فأمر بحفر الترع، وشق القنوات فأصبحت مصر دولة زراعية مزدهرة، وأصبحت بلاده تزرع العديد من لمزروعات التي حمتها من المجاعة، مثل زراعة السكر والارز وتذكر المصادر التاريخية ان اول عمل مالي عني به ابن طولون حال استقراره في مصر، كان الغاء الضرائب التي كان ابن المدير قد اثقل بها كاهل الشعب^(٤)، لم يعتمد أحمد بن طولون على الفلاحين وحدهم بل كانت الدولة تساهم في الزراعة أيضاً، فقام بإحياء الاراضي الموات التي ليست ملكاً لأحد، فقام بإصلاحها وزراعتها، وجعل مهمة الإشراف على هذه الأراضي إلى ديوان خاص يسمى "ديوان الأملاك" عهد به إلى سليمان بن ثابت المعروف بابي ريشة^(٥).

ب- الخراج في الشام:

جعل أحمد بن طولون، الحسين بن أحمد الماذرائي متولياً لخراج الشام، ووصف بأنه حليم عاقل، صاحب دهاء ورأي صائب، وكانت له فعال جميلة وكرم جم، وخامة على ذوي الحاجة في بلاد الشام. ويذكر المقرئ ان أحمد بن طولون لما عين الماذرائي عاملاً له على خراج الشام، اخذ يتجسس عليه ويسأل عن معاملته للناس فلا يجد له شاكياً ولا ساعياً، وقد بقي الماذرائي عاملاً للطولونيين على خراج الشام طيلة فترة حكمهم للشام^(٦).

(١) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٦ .

(٢) الكندي، الولاية والقضاء، ص ٢١٧ .

(٣) الخطط، ج ١/ص ١٨٥ .

(٤) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٧٣ .

(٥) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٧٣ .

(٦) المقفى الكبير، ج ١/ص ٢٠٨ .

ت- إصلاح مقياس الروضة^(١):

في سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م أصلح ابن طولون مقياس الروضة بعد أن أدرك أن النيل هو مصدر خير مصر وأن البلاد تعتمد عليه في إحياء ثروتها فركب في ذلك العام ومعه أبو أيوب صاحب الخراج وبكار بن قتيبة القاضي^(٢)، وأمر بإصلاح المقياس ورصد لذلك ألف دينار، ويذكر المقرئزي أنه لا يزال قائم إلى يومه في البساتين بجهة الروضة^(٣)، يذكر سبط ابن الجوزي^(٤) أن أحمد بن طولون بنى مقياسين أحدهما بقوص وهو قائم إلى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، والآخر بالجيزة وقد انهدم.

ث- إنشاء القناطر وحفر الآبار:

من مظاهر تخليد أحمد بن طولون اهتمامه بتوفير المياه إلى الأماكن البعيدة والتي فيها شحة بمياه الشرب، والتي عرفت، (قناطر ابن طولون وبئر)، وهذه القناطر من بئر أحمد بن طولون التي عند بركة الحبش، وتعرف هذه البئر ببئر عفصة، ولا تزال هذه القناطر إلى إنشاء القرافة الكبرى، ومن هناك خفيت لتهدمها، وهي من أعظم المباني، فقد أمر المهندسين بتوفير المياه لسكان مسجد الاقدام بالقرافة بخط المغافر بعد أن شكى له أحد سكانها قلة مياه الشرب، فأمر المهندسين بحفر سقاية ويجروا الماء، وأمر بصرف ألف دينار للخياط، وخصص له راتب في كل شهر عشرة دنانير واشترى له دارا يسكنها^(٥)، وأمر أن يجري الماء من عين أبي خلد

(١) قال ابن عبد الحكم: كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام، ووضع مقياسا بمنف، ثم وضعت العجوز دلوكا ابنة زياء مقياسا بأنصنا؛ وهو صغير الذرع ومقياسا بأخميم. ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بجلوان وهو صغير، ووضع أسامة بن زيد التنوخي في خلافة الوليد بالجزيرة؛ وهي المسماة الآن بالروضة، وهو أكبرها؛ حدثنا يحيى بن بكير، قال: أدركت القياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته إلى الفسطاط، (ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٣٦).

(٢) المقرئزي، الخطط، ج ٤/ص ٣٥١.

(٣) الخطط، ج ١/ص ١٠٩.

(٤) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج ١/ص ١٢١.

(٥) لهذا الخياط قصة مع أحمد بن طولون ذكرها المقرئزي بقوله، (أن ابن طولون مر ذات يوم بمسجد الاقدام وكان شديد العطش إذ ذاك فمر على حائك فقال له: يا خياط اعتدك ماء؟ فقال نعم ثم أخرج له كوزا فيه ماء وقال له اشرب ولأتمدد فتبسم أحمد بن طولون وشرب فمد فيه حتى شرب أكثره ثم ناوله إياه وقال: يا فتى سقيتنا وقلت لا تمد فقال نعم أعزك الله موضعنا هاهنا منقطع وإنما أخطى جمعتي حنة اجمع ثمن رواية ماء فقال ابن طولون والماء هاهنا معوز؟ فقال نعم وبعد أن عاد ابن طولون إلى داره مر بإحضار هذا الخياط ولم يكن يدري أن محدثه هو والي مصر وبعد أن حادثه قليلا قال له: سر مع المهندسين

المعروفة بالنعش، فقال: هذه العين لا تعرف أبداً إلاّ بأبي خلود، وإنني أريد أن أستنبط بئراً، فعذل عن العين إلى الشرق فاستنبط بئر هذه وبني عليها القناطر، وأجرى الماء إلى الفسقية التي بقرب درب سالم^(١).

وقد أورد البلوى تفاصيل بناء العين بالمعافى بقوله "ثم العين التي بالمعافى بناها بنية صحيحة ورغبة قوية جميلة حتى أنها ليس لها نظير ولقد اجتهد الماذرائيون وانفقوا الأموال الخطيرة ليحكموها فاعجزهم ذلك لأنها وقعت في موضع جيرانه كلهم محتاجون إليها وهي مفتوحة طول النهار لمن كشف وجهه للأخذ منها ولمن كان له غلام أو جارية والليل كله للضعفاء والمستورين والمستورات فهي لهم حياة ومعونة واتخذ لها المستغل الذي فيه فضل عن الكفاية"^(٢)

وكان المهندس الذي أشرف على بناء القناطر قد أحكم بنائها حتى صارت نادرة المثال وعجز من جاء بعد ابن طولون أن يبني مثلاً، وانفق ابن طولون على بنائها أربعين ألف دينار^(٣)، وكان من نتيجة ذلك زاد الإقبال على السكن فيها وازداد العمران في منطقة السقاية وتنافس المصريون في اقتناء الدور حولها لأنها وفرت عليهم مشاق استحضر الماء من مسافات بعيدة مع ما كانوا ينفقونه من جهد ومال في هذا السبيل.

بنى أحمد بن طولون هذه القناطر على طراز قناطر طرطوس، فقد رأى هناك قناطر مقامة على أعمدة الغرض منها إيصال المياه إلى مكان ما يتعذر وصول الماء إليه بواسطة الانهار والجداول وهذا المكان الذي يصل إليه الماء عبارة عن صهريج أو بركة أو بحيرة صغيرة يكون منسوب الماء فيها منخفضاً عن منسوب العين التي تتبدئ منها هذه القنطرة وبعد أن اتم بنائها اهتم بأمرها اهتماماً شديداً حتى عرف عنه أنه لا يريد أن يسمع أي كلمة ضد هذا المشروع الضخم الذي قام به، قال المقرئ، أن أحمد بن طولون غضب لما سمع أن قوماً لا يستحلون شرب ماء هذه السقاية، وذكر قصة الفقيه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وما دار مع أحمد بن طولون حول هذه السقاية بقوله "كنت ليلة في داري إذ طرقت بخادم من خدام أحمد بن طولون فقال لي: الأمير يدعوك، فركبت مذعوراً مرعوباً، فعذل بي عن الطريق فقلت: أين تذهب بي، فقال: إلى الصحراء والأمير فيها. فأيقنت بالهلاك وقلت للخادم: الله الله في. فأني شيخ كبير

حتى يخطوا عندك موضع سقاية ويجروا الماء) واعطاه ألف دينار وأجرى عليه راتباً شهرياً قدره عشرة

دنائير وقال له: بشرني ساعة يجري الماء فيه)، (المقرئ، الخطط، ج ٤/ص ٣٥٠ .)

(١) المقرئ، الخطط، ج ٤/ص ٣٣١.

(٢) سيرة ابن طولون، ص ١٨٠.

(٣) المقرئ، الخطط، ج ٤/ص ٣٥١ .

ضعيف مسن أفندري ما يراد مني؟ فأرحمني فقال: حذار أن يكون لك في السقاية رأى وسرت معه وإذا بالمشاعل في الصحراء وأحمد بن طولون راكب على باب السقاية وبين يديه الشمع فنزلت وسلمت عليه فلم يرد على: فقلت ايها الامير ان الرسول اعنقني وكدني وقد عطشت افأذن لي الأمير في الشرب فأراد الغلمان أن يسقوني فقلت: أنان اخذ بنفسي فاستقيت وهو يراني وشربت وازددت في الشرب حته كدت انشق ثم قلت ايها الامير سقاك الله من انهار الجنة فلقد أرويت وأغنيت ولا أدري ما أصف: أطيب ماء في حلاوته وبرده ام صفا كوب او طيب ريح السقاية فنظر ألي وقال: أريدك لأمر وليس هذا وقته فأ صرفوه فصرفت فقال لي الخادم: أصبت فقلت: احسن الله جزاءك فلولاك هلكت^(١)، وأنشد سعيد القاص أبياتا في رثاء هذه العين والسقاية^(٢):

وَعَيْنٌ مَعِينُ الرَّبِّ غَيْرُ رَكِيَّةٍ	وَعَيْنٌ مَعِينُ الرَّبِّ غَيْرُ رَكِيَّةٍ
كَأَنَّ وَفُودَ النَّيْلِ فِي جَنَابَتِهَا	كَأَنَّ وَفُودَ النَّيْلِ فِي جَنَابَتِهَا
فَأَرْفَأَهَا مَسْتَنْبِطًا لِمَغِيْبِهَا	فَأَرْفَأَهَا مَسْتَنْبِطًا لِمَغِيْبِهَا
يَمُرُّ عَلَى أَرْضِ الْمَعَاوِرِ كُلِّهَا	يَمُرُّ عَلَى أَرْضِ الْمَعَاوِرِ كُلِّهَا
قَبَائِلُ لَا نَوَاءَ السَّحَابِ يَمُدُّهَا	قَبَائِلُ لَا نَوَاءَ السَّحَابِ يَمُدُّهَا

وترك ابن طولون أثرا مهما آخر وهو قناطر المياه التي يتوصل اليها من نفس الطريق الموصل الى قرافة البساتين ويعد برج المأخذ المتصل بالقناطر هو اكثر الأجزاء الباقية تماسكا شيد عند حافة صخرة بارزة من الأرض عند نقطة يخرج منها واد صغير اقتطع من الصخر ويتجه نحو السهل الخصب لقرية البساتين والبرج كتلة بنائية مستطيل الشكل مشيدة بالأجر صغير الحجم بداخلها بئر مفرغ مفتوح من السماء وعلى جانبيه غرفتان يغطيها قبوان وينقسم البئر الى قسمين ويسحب الماء منهما بواسطة ساقيتين خشبيتين ترفعانه الى المجرى فوق ظهر البرج ثم يسير منه في مجرى وضع فوق القناطر التي تخرج من البرج في انحراف يبلغ ١٤٠ درجة على جانب البرج الشمالي وبعد نحو ١٧م ينحرف اتجاه القناطر من الشمال الغربي الى الشمال بميل قليل نحو الغرب ثم ينحرف مرة أخرى بعد ١٢٢م نحو الشمال بميل الى الشرق ويمتد بعد ذلك خط

(١) المقرئزي، الخطط، ج ٤/ص ٣٥١.

(٢) الكندي، الولاية والقضاة، ص ١٨٦.

مستقيم نحو مئذنة شاهين أغا الخلواتى غير أن أكثر عقود هذه القناطر قد تهدم واصبح في حالة خربة^(١)

٥- التخليد الاجتماعي:

علاقة الحكام بالرعية

اشتمل المجتمع في العصر الطولوني على عدة طبقات منها:

أ - طبقة الأشراف وكبار الملاك:

تألف هذه الطبقة من الأتراك الذين استطاعوا أن يحظوا بمكانه عظيمة، فقد ساهموا في بناء هذه الدولة، كما استطاعت أن تتال النفوذ والثروات، فعاشوا حياة الترف والرخاء في قطائع بفضل اهتمام ابن طولون بقواد الجيش الطولوني وعناصره المختلفة وأسند إليهم مهام إدارية مختلفة، مما زاد في ارتفاع شأنهم في الدولة الطولونية، وكان بعض الأمراء ينفقون ما تحصلوا عليه في شراء الدور وأفخم الأثاث، مثل فائق مولى أحمد بن طولون، الذي اشترى دار بمبلغ عشرين ألف دينار، ومثل هذا المبلغ عند قيامه بتأثيثه، كما اتخذ نحو ثلاثمائة من الجواري والمحظيات^(٢)، ويذكر ابن تغري بردي أن في عهد خمارويه وأبنائه لم يقل القواد عن فائق بل كانوا على ثراء ونفوذ فكان بدر وصافي يتمتعا بثروة كبيرة وكان دأبهم منافسة في حسن الزى وبسط اليد بالإنفاق في وجوه البر، وبني بدر الميضاة المعروفة به على باب الجامع العتيق، ووقف عليها القيسارية الملاصقة لها... وكان صاحب صدقات بدر رجلاً يعرف بالليث بن داود، فكان الشخص يرى المساكين زمراً زمراً يتلو بعضهم عضاً ينادون في الطريق: دار الليث، دار الليث^(٣)، واستطاع القاضي محمد بن عبده بن حرب أن يبني داراً عظيمة له وبلغ مقدار ما أنفقه

(١) فريد، العمارة العربية في مصر الاسلامية، ص ٥٠١.

(٢) المقرئزي، الخطط، ج ١/ ص ٣٠٠.

(٣) النجوم الزاهرة، ج ٣/ ص ١١٠.

في هذا البناء مائة ألف دينار^(١)، وقد كان أحمد بن يوسف المعروف بابن الداية يقوم بإجراء الجريات على الأشراف، ومنهم من كان ينال مائتي دينار في كل سنة، أما كبار التجار فكانوا ينعمون بحياة مترفة، فقد كان هارون بن ملول من أصحاب أحمد بن طولون، قال: لما مات أبي ورثت عنه مالا جما ومستغلات نفيسة، وكان يتصرف على زي التجار^(٢)، وكان أغلب هؤلاء المقربين يمنحون الأعطيات المرتبات ومنهم من كانوا يستغلون الأراضي فيستأجرونها، أو يقومون بشراء ضياع واسعة، أيضا كان أصحاب أحمد يقومون بالخلع على أنارهم ورجالهم مثلما يفعل الأمير نفسه^(٣)، ومن بين هذه الطبقات التي لها دور في الحياة الاجتماعية في مصر ظهرت طبقة تمتع أفرادها بمميزات جعلتها تتولى مناصب مهمة مثل، ولاية الخراج أو الكتابة أو الديوان وتتوارثها، أمثال الماذرائيين^(٤)

ب - أهل الذمة:

تألفت طبقة أهل الذمة من الأقباط واليهود والمسيحيين وكان أحمد حريصاً المعاملة الحسنة وأظهر لهم التسامح، مما جعلهم يتمتعوا بهدوء وطمأنينة، وقد قام أحمد، بتخفيف الضرائب عنهم فقد امر كاتبة ابن المدير ليخفف عنهم ما فرضه عليهم، كذلك طلب منه إعفاء رهبان دير القصير بعد أن شكوا إليه مر ابن المدير عند مطالبته بالجزية^(٥)، وعطفه على بعض الرهبان عندما بلغه أن قائده الذي وجهه إلى بعض الأرياف قام بأخذ خمسمائة دينار من أحدهم فأمره أحمد بعد أن علم بذلك بردها إليه^(٦)، وذكر ابن تغري بردي أن أحمد عند دخوله إلى دمشق وكان معه أبو زرعه البصري وكتابه أبو عبدالله أحمد ابن حمد الواسطي، حدث حريق عند كنيسة مريم العذراء، فأمر أحمد بسبعين ألف دينار من ماله وأن يعطى لكل من احترق له شيء، ويقبل قوله ولا يستخلف، فأعطوا لمن ذهب ماله، وفضل من المال أربعة عشر ألف دينار^(٧).

ومع ذلك لم يفقد الأقباط امتيازاتهم، وظلت لديهم الخبرات الفنية والصناعية، كما بقيت في أيديهم بعض الوظائف في العصر الطولوني، فقد عهد أحمد بن طولون إلى سعيد بن كاتب

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٥١٦.

(٢) كاشف ومحمود، مصر في عصر الطولونيين والاشيدين، ص ١٠١.

(٣) فراج، موسوعة التاريخ الاسلامي "الدولة الطولونية"، ص ١٧٢.

(٤) فراج، موسوعة التاريخ الاسلامي "الدولة الطولونية"، ص ١٧٢.

(٥) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ١١٨.

(٦) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ٢٠٦.

(٧) النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٤.

الفرغاني النصراني، ببناء أحد الجوامع^(١)، وتقريبه لهم ومنهم رجل يدعى بأبي الذؤيب، كان من حجاب القصر أحسن إليه أحمد، وكان ملازمه، وقد وصفه البلوي ربما أكل معه، وربما جلس يناديه بين يديه^(٢)، وقد استشاره أحمد بن طولون في بعض الأمور، وهذا يدل على مدى اطمئنان أحمد لبعض أقباط، كذلك أظهر خمارويه تسامحاً كبيراً معهم واتخذ إسحاق ابن نصر العبادي كاتباً له^(٣)، وشارك الطولونيون الأقباط في أعيادهم^(٤).

ج- اليهود:

لقي اليهود أيضاً معاملة حسنة، وأصبحوا عنصراً من عناصر المجتمع، وأفرادهم من الأغنياء، أيضاً برعوا في الاتجار في العملة وحصدوا من هذه التجارة أموالاً جمّة، كذلك اشتغلوا في أسواق الفسطاط والقطائع في الصيرفة^(٥)، وقد شارك اليهود الأقباط في مناسباتهم الدينية وخرجهم بجانب بعض يحملون التوراة والإنجيل، ذاهبين إلى جبل المقطم، ليدعوا الله بأن يتم الشفاء لأحمد عندما كان مريضاً^(٦).

الرعاية الاجتماعية والإنفاق والصدقات

أ- البيمارستان، (المستشفيات):

من الآثار التي خلدت اسم ابن طولون بناء المستشفى في سنة ٢٥٩هـ/٨٧٤م، وجعله لجميع الناس دون تمييز بين الطبقات والاديان وجعله مجانياً، ولم يكن في مصر قبل ذلك مستشفيات عامة ووقف ابن طولون على هذا المرستان الأوقاف العديدة وبلغ ما أنفقه على تشييده ستين ألف دينار، ويقع بين القسطنطينية والقطائع^(٧)، وكان للمستشفى نظام خاص بها، إذا دخل المريض تُزرع ثيابه ويودع ما معه من المال عند أمين البيمارستان، وتُقدم له الثياب الخاصة، ومكان يتوفر فيه الراحة، ويباشر الأطباء بفحص المريض وإعطائه ما يلزم من الأدوية

(١) البلوي، سيرة أحمد ابن طولون، ص ١٨١.

(٢) البلوي، سيرة أحمد ابن طولون، ص ٢١٧.

(٣) بدر، مصر الإسلامية، ص ١٦١.

(٤) كاشف ومحمود، مصر في عصر الطولونيين والاشيدين، ص ١٠٤.

(٥) كاشف، أحمد بن طولون، ص ٢١٨.

(٦) بدر، مصر الإسلامية، ص ١٦١.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٢.

مجاناً، وكانت إحدى علامات الشفاء هو تقديم دجاجة ورغيف للمريض، إذا أكلها تَمَّ له الإذن بمغادرة المستشفى، وتُرد له ثيابه ونقوده^(١)، وبنى ابن طولون حمامين كبيرين أحدهما الرجال والآخر للسيدات^(٢)، وكان ابن طولون يزور تلك المستشفى كل يوم جمعه، ويفتش على أعمال الأطباء ويواسي المرضى ليدخل السرور على نفوسهم^(٣)، وقد اشترط فيه أن لا يعالج فيه جندي مملوك^(٤)، كان يقوم بهذا كل جمعة، مع تفقد خزائن المستشفى التي بها ما يزيد عن مائة ألف مجلد في سائر العلوم وما فيها من العقاقير النفيسة الخطيرة، والترياقات التي لا توجد إلا في خزائن الملوك والخلفاء^(٥)

ب- الدور الطولونية:

كانت مدينة الفسطاط تضم أيضاً العديد من الدور الطولونية التي جذبت أنظار المؤرخين، بيد أن هذه الدور تعرضت للخراب شأنها شأن الدور السكنية لمدينة القطائع التي هلك سكانها أثناء الشد المستنصرية وكانت تتيف على حد زعم المقرئزي على مائة ألف دار، نزهة للناظرين محدقة بالجنان والبساتين^(٦) وبذلك أصبح من الصعب التعرف على مكونات تلك الدور وتخطيطها المعماري، وإن كانت الحفائر الأثرية قد كشفت لنا عن بقايا الدور السكنية في مدينة الفسطاط ثلاثة منها تنسب إلى العصر الطولوني، عثر على أقدمها في حفائر متحف الفن الإسلامي سنة (١٩٣٢م) في الفضاء بين كوم الجارج وجامع أحمد بن طولون أي في موقع مدينة العسكر. وهي عبارة عن بقايا دار تمثل القسم الجنوبي منها وهو يتألف من إيوان أوسط مستطيل الشكل يكتنفه من يمين ويسار غرفتان صغيرتان، ويتقدم الوحدات الثلاث سقفيه مستعرضة تفتح على فناء مكشوف يقع إلى الشمال منها بواسطة ثلاث فتحات يفصلها دعامتان ضخمتان بقي منهما الدعامة الشرقية، وقد عثر في منتصف الفناء على بقايا فوارة ذات تخطيط مربع، بداخلها تجويف مثنى الشكل، يتصل بها في الزاوية الجنوبية الشرقية أنبوب من الفخار كان يغذيها المياه^(٧) وقد أمكن نسبة تلك البقايا إلى حوالي سنة ٢٨٥هـ / ٩٠٠م استناداً إلى الزخارف الجصية التي كانت تكسو الجدران لأنها تشبه إلى حد كبير الطراز الثالث من زخارف سامراء

(١) البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص ١٨٨.

(٢) حسن، تاريخ العصور الوسطى، ص ١٢٩

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ٢/ص ٤٠٥.

(٤) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢١٦.

(٥) البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص ١٨٠

(٦) المقرئزي، الخطط، ج ١/ص ٣٣٦

(٧) أحمد، تاريخ وأثار مصر الإسلامية، ص ١٣١

الجصية^(١) وقد عثر بينها على محراب جصي مسطح يزين أعلاه الشهادة بقسميها، نقشت بالخط الكوفي البسيط وهو يشبه بدوره أحد محاريب الجامع الطولوني^(٢)، وقد ساعد اكتشاف هذه الدار ونسبتها إلى العصر الطولوني على نسبة دار ثالثة من بين مكتشفات المرحوم على بهجت بمدينة الفسطاط إلى نفس الفترة الزمنية وهي الدار التي أطلق عليها اسم الدار السادسة وذكر بصدها أنها تشذ من إذ التخطيط عن بقية الدور المكتشفة لاحتوائها على جناحين متماثلين، كما ذكر أنها تشبه نظائرها من الدور العراقية بمدينة سامراء^(٣).

أن هذه الدار تشبه إلى حد كبير من حيث التخطيط الدار السابق الإشارة إليها، فهي تشتمل على فناء أوسط مكشوف يتعامد عليه من الشمال والجنوب جناحان يتألف كل منهما من إيوان أوسط يكتنفه غرفتان من شرق وغرب ويتقدم الجميع سقفيه مستعرضة تفتح على الفناء من خلال فتحات ثلاث، على حين وزعت بقية وحدات الدار على جانبي الفناء الشرقي والغربي، أي أنها تشبه تخطيط الدور الطولونية^(٤) ومن المعروف أن هذا النوع من التخطيط أي الإيوان الأوسط والغرف الجانبية والسقفيه المستعرضة، وجد للمرة الأولى في بعض بيوت قصر الاخيرصر الذي عثر عليه في بادية العراق، والذي ينسب إلى حوالي سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م كما استخدم كذلك في بيوت مدينة سامراء التي تنسب إلى القرن الثالث الهجري / التاسع للميلاد^(٥)

بقي أن نشير إلى أن هذه الدور كانت مزودة ببلاطة مستطيلة من الرخام أو الحجر، يعلو سطحها زخارف متنوعة بالحفر البارز، كانت تثبت في صدر الإيوان في وضع مائل، يعلوها صنوبر يسيل منه الماء متعرجا فوقها فيلطف جو المكان ويضفى عليه منظرا جميلا وهو يسيل منحدرًا أسفل البلاطة، ومنها إلى قناة تمتد فوق أرضية الإيوان أو أسفلها حتى تصل الفوارة التي تتوسط فناء البيت^(٦)، كما كانت هذه الدور مزودة بآبار منقورة في الصخر لتزويدها بالمياه اللازمة التي كانت تجلب إليها من نهر النيل على ظهور الحمالين أو بواسطة الدواب، فقد ذكر المقرئ أن الدار الواحدة كان يصب لمن فيها، إبان هذا العصر، أربع مائة راوية ماء في كل يوم، كما ذكر أن عدد الأسطال التي كانت بالطاقات المطلة على النيل، ستة عشر ألف

(١) فريد، العمارة في مصر الإسلامية، ص ٢٧

(٢) فريد، العمارة في مصر الإسلامية، ص ٩٥

(٣) بهجت بك، حفریات الفسطاط، ص ٧٧.

(٤) فريد، العمارة في مصر الإسلامية، ص ٤٥٩.

(٥) احمد، تاريخ وأثار مصر الإسلامية، ص ١٣٤.

(٦) بهجت، حفریات الفسطاط، ص ٧٣.

سطل مؤيدة ب بكر وأطناب بها ترخي وتملا^(١)، ويذكر ابن دقماق اسم الدار التي عند المسجد الأخضر اشتراها أحمد بن طولون لابنه عدنان^(٢) أما الشرطة العليا فقد كانت دار أحمد بن طولون قبل أن ينتقل الى القطائع^(٣).

ت- الطعام والموائد:

سادت أنواع مختلفة من الأطعمة أيام الطولونيين، وكان بإمكان الفرد شراء هذه الأطعمة التي كانت شائعة بين مختلف طبقات الشعب بدرهم أو درهمين، وكانت هذه الأطعمة متوفرة في الأسواق الخاصة بها في دار الحريم^(٤)، وكان يقدم للفقراء ي كل يوم العدس بالزيت وإذا أراد الأغنياء أكله فلهم ذلك^(٥)، يذكر البلوى، بأن أحمد بن طولون ينفق يومياً على مطبخه ألف دينار، بينما انفق خمارويه على مطبخه ثلاثة وعشرين ألف دينار شهرياً^(٦)، وكان هناك مشرفون يقومون بالإشراف على تحضير هذا الطعام، أيضاً خدام مرتبون يقومون بتقديمه، فكانت تتصب موائد ويحضر الفقير والغني هذه الولائم، بعد أن يُنادي في مصر لمن أراد الحضور حضر، بينما يجلس أحمد أعلى قصره ينظر إليهم، "ويسجد ويحمد ربه على هذه النعم، وساعة يقف ويصلي ركعتين... وطلب الناس بأن ينزلوا ولا يخرج أحد إلا ومعه زلة الكبيرة العظيمة"^(٧).

ث- الألعاب الرياضية:

اهتم الطولونيون بالألعاب الرياضية، فقد أولوها اهتماماً كبيراً وكان من أشهرها لعبة الفروسية، التي اهتم به المسلمون على مختلف العصور، قام ابن طولون ببناء ميدان أمام قصره، لسباق الخيول، كما كان الفرسان يزاولون لعبة الصوالة التي أخذها العرب عن الفرس أو اليونان^(٨)، وكانت الخيول تعرض في الأعياد، ويجلس الناس للمشاهدة عندما تطلق هذ الخيول

(١) المقريزي، الخطط، ج ١/ص ٣٣١.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ج ٤/ص ٩.

(٣) ابن دقماق، الانتصار، ج ٤/ص ١١.

(٤) المقريزي، الخطط، ج ١/ص ٣١٨.

(٥) بيطار، الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام، ص ٣٥٥.

(٦) سيرة ابن طولون، ج ١/ص ٣١٨.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٧.

(٨) لومبار، الاسلام في مجده الاول، ص ٢٠٦.

وتمر بعضها متفاوتة بعضاً، يمتطيها غلمان ابن طولون في نظام حسن^(١)، وكان خمارويه يجلس ويرى ويتأمل هذه الخيول في الحلبة كيف تقبل^(٢)، ويسمى المكان الذي يستعرض فيه الخيل "بالمنظرة"^(٣)، وكانت إسطبلات خمارويه وخيوله، "من عجائب الإسلام الأربع، وهي عرض الخيل بمصر ورمضان بمكة والعيد بطرسوس، الجمعة ببغداد"^(٤)، كذلك فقد كان خمارويه مولع بالصيد وخاصة صيد الحمام بواسطة السيوف الحراب، ويحتفظون بها في حدائقهم^(٥)، كما أحب خمارويه صيد الأسود، فكان يسمع بسبع إلا قصده ومعه رجال عليهم لبود فيدخلون إلى الأسد ويصطادونه بأيديهم من غابته عنوة وهو سليم، فيضعونه في أقفاص من خشب محكمة الصنع تسع الواحد من السباع وهو قائم، فإذا قدم خمارويه من الصيد سار الققص بين يديه^(٦)، وأيضاً جعل لكل نوع من الحيوانات إسطبلات خاصة به، وقد قام بزرع ضياع خاصة بنبات القرط لأجل هذه الحيوانات.

٦- التخليد الديني:

بناء المساجد والمنشآت الدينية

أ- جامع ابن طولون:

من أشهر الآثار التي خلفها ابن طولون والتي اقترنت باسمه الى اليوم اذ يعد جامع أحمد بن طولون من روائع العمارة الإسلامية بشكل عام والدينية بشكل خاص، كما يعد ثالث مسجد جامع كبير شيد بمصر بعد جامع عمرو بن لعاص بالفسطاط ٢٤٢ هـ / ٦٤٢ م، وجامع العسكر بالعسكر ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م .

يقع هذا المسجد الكبير الكائن بجبهة الصليبية وقلعة الكيش والذي لايزال حافظاً لرونقه رغم توالى الأجيال عليه وهو يعد اقدم بناء إسلامي بحت بقي على أصله الى اليوم، وجامع ابن طولون هو ثالث المساجد الجامعة في مصر بناه أحمد بن طولون سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٧ م بعد بناء القطائع^(٧)، وبناه على جبل يشكر في الجهة الجنوبية من القاهرة الحالية أو الجهة الشمالية من

(١) حسن، مصر في العصور الوسطى، ص ٥١٢.

(٢) المقرئزي، المقرئ الكبير، ج ٣/ ص ٧٢٥.

(٣) حسن، مصر في العصور الوسطى، ص ٥١٢.

(٤) المقرئزي، الخطط، ج ١/ ص ٣١٨.

(٥) حسن، مصر في العصور الوسطى، ص ١٨٢.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ ص ٦٠.

(٧) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢/ ص ٢٤٦.

العسكر^(١)، وكان قد بناه على ذلك الجبل بناء على اشارة جماعة من الصالحين لأنه جبل مبارك معروف بإجابة الدعاء فيه وان الله تعالى كلم موسى عليه وقد عرف هذا المكان بأنه مكان مشهور بإجابة الدعوات فيه، وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شيء ويشرف على بركة قارون وهي، وقد بناه على مثال جامع سامراء وجعل فيه خزانة للأدوية وعين له طبيباً خاصاً يقوم بمداواة ما قد يطرأ على المصلين في يوم الجمعة^(٢) وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق حين تجربتها قبل ارسالها الى الثغور، اما تاريخ انشاء الجامع فقد باشر في بنائه سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م وفرغ منه واعد للصلاة سنة ٢٦٥هـ/٨٧٩م^(٣)، وهذا الجامع هو اقدم اثار مصر الإسلامية التي بقيت على حالها الاصيلي وذلك اذ استثنينا مقياس النيل بجزيرة الروضة كما ان جامع عمرو هدم وبني مرارا والباقي منه الان هو الموقع فقط وتقليد البناء الاصيلي وبذلك يعد جامع ابن طولون الاثر الوحيد الذي بقى قائماً بعد زوال الدولة الطولونية وتخريب القطائع على يد محمد بن سليمان القائد العباسي.

اما سبب بناء الجامع، فقد نقل عن أحمد بن طولون انه قال "أريد أن أبني بناء إن احترقت مصر بقي، وإن غرقت بقي، فقليل تبني بالجير والرماد والآجر الأحمر، ولا تجعل فيه أساطين خام، فإنه لا صبر له في النار فبنى هذا البناء"^(٤)، وقيل ان ابن طولون بنى هذا المسجد بسبب ضيق مسجد العسكر بالمصلين لكثرة جند ابن طولون وخدمه وعبيده فشكا الناس ذلك الى ابن طولون فرأى ان يقوم ببناء مسجد تحقيقاً لرغبة الناس من وجهة ولرغبته المنطوية على فعل الخير من جهة أخرى ولان وجود القطائع من غير مسجد نقص يجب تلافيه خصوصاً وان أول شيء كان الولاة يعنون به هو بناء المساجد عندما ينشئون المدن لاتخاذها عواصم كما كان الحالة بالنسبة الى الفسطاط والعسكر والقاهرة^(٥)

ومن مظاهر الهندسة المعمارية للجامع تم بناء دائرة منطقته عنبر معجون ليفوح ريحها على المصلين، وأشعر الناس بالصلاة فيه^(٦)، بلغت تكلفة بناء الجامع حوالي ١٢٠ ألف دينار^(٧)، وقد قيل في هذا المبلغ وتحصيله اقوال فيه، فقد ذكر السيوطي ان أحمد بن طولون اقسم انه

(١) المقرئزي، الخطط، ج ٤/ص ٣٨؛ السيوطي، حسن المحاضر، ج ٢/ص ٢٤٦

(٢) حسن، تاريخ العصور الوسطى، ص ١٢٩

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ٤/ص ٣٩؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢/ص ٢٤٦

(٤) المقرئزي، الخطط، ج ٤/ص ٣٩؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢/ص ٢٤٦

(٥) الكندي: الولاة والقضاة، ص ٢١٩

(٦) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٤٦

(٧) المقرئزي، الخطط، ج ٤/ص ٣٨؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢/ص ٢٤٧

ليس هذا المبلغ من ماله وإنما من كنز وجده في الرمل عندما كان يتصيد ومقداره مليون دينار، فأنفقها في أبواب البر والصدقات، وبنى منها الجامع^(١)، وذكر المقرئزي، ان أحمد بن طولون بنى جامعاً على نفس طراز بناء جامع سامراء، فيه المنارة، وببضه وحلقه وفرشه بالحصار العبدانية، وعلق فيه القناديل المحكمة لسلاسل النحاس المفرغة الحسان الطوال، وحمل إليه صناديق المصاحف، وكان في وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها، وهي مذهبة على عشرة عمد رخام مفروشة كلها بالرخام، وتحت القبة قصعة رخام سعتها أربعة أذرع، وسطها فوارة تغور بالماء، وكانت على السطح علامات للزوال وأسطح بدرابزين ساج، وتولى القاضي بكار الإمامة وخطب فيه أبو يعقوب البلخي^(٢)،

وقد حرص أحمد بن طولون على تقديم الخدمات للمصلين، إذ وضع فيه صيدلية تحتوي على الادوية وطبيب يجلس يوم الجمعة لمعالجة المرضى من المصلين، وأوقف على الجامع أوقافاً كثيرة سوى الرباع ونحوها، ولم يتعرض إلى شيء من أراضي مصر^(٣).

وكان أحمد بن طولون، قد اتخذ حجرة بقربه فيها رجال سمّاهم بالمكبرين عدّتهم اثنا عشر رجلاً يبيت منهم في كل ليلة أربعة يتعاقبون الليل نوباً يكبرون ويسبحون ويحمدون، ويهللون ويقرؤون القرآن تطريباً بالحن، ويتوسلون بقصائد زهدية، ويؤذنون أوقات الأذان^(٤).

أما المهندس الذي قام ببنائه فكان رجلاً نصرانياً اشتهر بالعمارة^(٥)، فلما أراد بناء الجامع قدر له (٢٠٠ عامود) فاخبره المهندس بأنه يستطيع ان يبني الجامع بلا عمد الا عمودي القبلة فلما بلغ ابن طولون ذلك اعجب الرأي وبعث في طلب الرجل فصنع للجامع نموذجاً من جلد وهذا أول ما عرف من نماذج العمارات في الاسلام، وقد بناه هذا المهندس بالجص والرمل والاجر ولم يبنه باللبن لان ابن طولون اراد بناء لا يتأثر بغرق او حريق^(٦)، وامتاز البناء بإنارته البديعة اذ علقت القناديل بالسلاسل البديعة الطوال وسلمه لابن طولون، وكافاً المهندس بعشرة الاف دينار^(٧).

(١) حسن المحاضرة، ج ٢/ص ٢٤٧

(٢) الخطط، ج ٤/ص ٣٨

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ٤/ص ٣٩؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢/ص ٢٤٨

(٤) المقرئزي، الخطط، ج ٢/ص ١٢٦

(٥) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ١٨١

(٦) زكي، الفن الإسلامي في مصر، ص ٣١-٣٢

(٧) المقرئزي، الخطط، ج ٢/ص ٢٥٩

وهندسة جامع ابن طولون اهمية خاصة بالنسبة لجوامع مصر لأنه يعد المثال الأول الذي احتذى في بناء المساجد الجامعة فيما بعد والذي بقي معمولاً به في هذه البلاد حتى العصور التي ادخلت فيها اساليب جديدة لبناء المساجد وبخاصة عقب استيلاء العثمانيين على مصر وقد بنى هذا الجامع على شكل مربع وشغل مساحة تقدر بستة أفدنة ونصف فدان وفي وسطه صحن مكشوف يحيط به من جوانبه الاربعة عدة اروقة وللمسجد اربعون باباً وفي مؤخرة هذا الجامع ميسأة وخزانة بها الادوية والاشربة التي يحتاج اليها المصلون وقد عين ابن طولون لهذا الجامع الخدم كما عين له طبيباً خاصاً يقوم بعلاج ما يطرأ على المصلين يوم الجمعة وهو بمثابة طبيب الاسعاف في هذه الايام وفي وسط الجامع فوارة عليها قبة مذهباً مقامة على عشرة اعمدة وعلى جوانبها ستة عشر عموداً من الرخام وارض الفوارة مغطاة بالرخام كذلك وفي وسط المكان يغور الماء وعلى سطح الجامع مزولة لتبين اوقات الصلاة مصنوعة من خشب الساج وقد احترقت تلك المزولة في خلافة العزيز بالله الفاطمي ولكنه عمرها واعادها الى ماكنت عليه واحاط ابن طولون جامعاً من الداخل بسياج اشبه بحوض به عنبر فاذا احترقت وفاحت رائحته فاح في المكان اريج ذكي ودرجات المنارة من الظاهر بمعنى ان الشخص الواقف داخل الجامع او خارجه يرى منارة الجامع^(١).

وفي هذا المسجد نجد تطوراً وتقدماً ملموساً من الناحية المعمارية والإنشائية والزخرفية في تخطيط وأسلوب بنائه مع احتفاظه بالخطوط الرئيسية للتصميم اي فناء تحيطه اروقة من جميع الجهات ورواق القبلة اكبرها وبلغت مساحة المسجد نحو ستة فدادين ونصف اسوة بما اتبع في جامع المتوكل كذلك الزيادة التي تحيط بالمسجد من ثلاث جهات وهي مقتبسة من جامع المتوكل ولم يستمر هذا العنصر في تخطيط المساجد بعد ذلك بالرغم من ان وظيفته هي ابعاد الضوضاء عن المصلين واستعملت في جامع ابن طولون اكتاف ضخمة مستطيلة من الطوب الأحمر بدلا من الأعمدة وحليت هذه الأكتاف بأعمدة متصلة في زواياها الأربعة تحمل تيجاناً إسلامية لأول مرة في مصر تسمى بالتيجان الكاسية أو الناقوسية انتشرت بعد ذلك في كثير من المباني الإسلامية ولعبت الزخرفة دوراً هاماً في مسجد لبن طولون سواء كانت زخارف جصية تكسو الجدران واطار العقود وتيجان الأعمدة او زخارف من كتابات قرآنية على الأشربة الخشبية تحت السقوف او من حشوات جصية مفرغة ذات العديد من الاشكال الزخرفية ملئت بها فتحات الشبابيك وقد اعتبرت هذه الزخارف الجصية اساساً للزخارف الإسلامية التي وجدت بمصر^(٢).

(١) الجليلي ، عمارة المسجد ، ص ٢٣

(٢) الجليلي ، عمارة المسجد ، ص ٢٣-٢٤ .

ب- مسجد التنور:

هذا المسجد في أعلى جبل المقطم من وراء قلعة الجبل في شرقها، قال المقرئزي " أدركته عامرا وفيه من يقيم به"^(١)، بناه أحمد بن طولون سنة ٢٥٩هـ/٨٧٣م^(٢)، ومن المرجح ان ابن طولون فكر في بناء هذا المسجد في هذا الموضع حين رأى كثرة النازحين الى هذا المكان المقفر دون ان يكون به مسجد يستطيع ان يؤدي فيه المارة صلاتهم وكان بناؤه على موضع يقال له (تنور فرعون)، نقل المقرئزي قول القضاي من ان مسجد التنور الذي بالجبل هو موضع تنور فرعون، كان يوقد له عليه، فإذا رأوا النار عملوا بركوبه فاتخذوا له ما يريد، وكذلك إذا ركب منصرفا من عين شمس، ثم بناه أحمد بن طولون مسجدا، بنى على هذا الجامع منارة يهتدي بها الساري اذا ضل طريقه وجعل فيها صهريجا للماء، أما الأموال التي انفقت عليه فكانت من اموال الاوقاف الموقوفة على البيمارستان بمصر والعين التي بالمغافر وغير ذلك^(٣)،

قيل في مسجد تنور^(٤):

وَتَنُورُ فِرْعَوْنَ الَّذِي فَوْقَ قُلَّةٍ	عَلَى شَاهِقٍ عَالٍ عَلَى جَبَلٍ وَغَرٍ
بَنَى مَسْجِدًا فِيهِ يُفُوقُ بِنَاؤُهُ	وَيَهْدِي بِهِ فِي اللَّيْلِ إِنْ ضَلَّ مَنْ يَسْرِي
تَخَالُ سَنَا قَنْدِيلِهِ وَضِيَاءُهُ	سُهَيْلًا إِذَا مَا لَاحَ فِي اللَّيْلِ لِلْسَّفَرِ

عمارة جامع أحمد بن طولون، وقع في جامع أحمد بن طولون حريق في ليلة الجمعة لتسع ليال خلون من صفر سنة ٢٧٥هـ/٨٨٨م فأمر خمارويه بن أحمد بن طولون بعمارته على يد أحمد بن محمد العجيفي فأعيد على ما كان وكتب اسم خمارويه في دائرة الرواق الذي عليه اللوح الأخضر^(٥).

الحريات والاحتفالات الدينية:

كان الشعب في مصر يحتفل بالأعياد سواء كانت أعياداً للمسلمين أم للنصارى، كما احتفلت الأسرات بأعيادها الخاصة، فكان الطولونيون يخرجون ايام عيد الأضحى وعيد الفطر

(١) المقرئزي، الخطط، ج ٤/ص ٣٥٧

(٢) المقرئزي، الخطط، ج ٤/ص ٤٥

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ٤/ص ٤٥

(٤) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٨٦

(٥) ابن دقماق، الانتصار، ق ٤/ص ٦٧

وفي يوم الجمعة إلى الجامع، الذي قام أحمد ببنائه، كما جعل ابن طولون رحبة فسيحة في قصره، يجلس ويكبر فيها اثنا عشر من المكبرين، ويتناوبون الليل وتعلو الأصوات لمكبرة الشجيرة معاً، ويقومون بالتسبيح وقراءة القرآن، ويقوم الجيش بعرض كبير، فتقام المآدب للناس يأكلون ويحملون ما يريدون من الطعام^(١)، وبالإضافة للأعياد الدينية الإسلامية، كانت مصر تحتفل بالأعياد المسيحية، ومن هذه الأعياد والاحتفالات عيد الغطاس كانت ليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام فيها الناس.... وكان صاحب الشرطة يركب فب ليلة الغطاس في موكب عظيم ويطوف الشوارع وبين يديه لشموع والمشاعل^(٢)، وأيضاً عيد الزيتونة الذي يسمى يوم الشانين تظهر الوصائف في هذا العيد في أحسن الملابس الغالي والجميلة وفي أيديهن قلوب النخل وأغصان الزيتون^(٣)، ومن الأعياد الأخرى التي يشارك فيها المسلمون النصاري عيد الخروج لسجن يوسف بالجيزة، إذ يطوف العامة قبل خروجهم للسجن بالطبول والأبواق، ويقومون جمع ما يستطيعون جمعه من التجار لكي ينفقونه عند خروجهم^(٤)، أيضاً شارك العامة في عيد النيروز فكان العامة يقومون بانتخاب رجل سمونه أمير النيروز، فيطلي وجهه بالدقيق أو الجير ويركب على دابة في الشوارع، وعليه ثوب أحمر وأصفر ويسير معه جمع كبير، وكان الطولونيون يخرجون في موكب حافل في هذه الأعياد وكان الوالي يشاركهم يسير في موكب حافل وعظيم، كما تفتح أبواب القصر أيام الأعياد ويشارك الوالي في هذه الاحتفالات التي تقام في قصر الطولوني، ويجلس ليرى مدى سعادة الغلمان ومرحهم العيد، كما كانت تقام في الموائد والولائم والتي تجمع في الغالب كبار رجال البلاد والخاصة والوفود الذين أتون من بغداد وسامراء^(٥).

٧- التخليد الثقافي والعلمي:

العلوم الدينية:

من مظاهر التخليد في عصر الدولة الطولونية اهتمام امرائها بالعلوم الدينية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، في مصر وبلاد الشام، وكان لكل علم من العلوم مظهر قوي

(١) حسن، مصر في العصور الوسطى، ص ٥١١

(٢) المقرئزي، الخطط، ج ١/ ص ٢٦٥

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ١/ ص ٢٦٤

(٤) كاشف ومحمود، مصر في عصر الطولونيين والاشيدين، ص ١٩٦

(٥) حسن، مصر في العصور الوسطى، ص ٥١٢

في مصر وبلاد الشام ^(١) ، واكب الطولونيون كل مراحل تطور هذه العلوم والثقافة العربية، كما قاموا أيضا بتشجيع الحركة العلمية والأخذ بالنهوض بها ^(٢) ومن أشهر هذه العلوم:

أ- علوم القرآن والحديث:

كان أحمد بن طولون من الذين اهتموا بحفظ القرآن الكريم وكان يسأل عمن يحفظه جيدا وسعى ابن طولون بقدر ما يستطيع في تشجيع الحركة العلمية سواء في العلوم الشرعية او العملية، فقد اهتم بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم وعلوم الشرع ^(٣) وجعل مسجده مكانا للتدريس فكان العالم "الربيع بن سليمان" ^(٤) له مجلس فيه لرواية الحديث وتعليمه للناس وقد عاش الربيع بن سليمان في الدولة الطولونية قرابة ستة عشر عاما ويعد اول من املى الحديث في جامع ابن طولون ووهبه ابن طولون الف دينار يوم افتتاح المسجد ^(٥)، وممن اقدمه أحمد بن طولون المحدث إسحاق بن محمد بن معمر بن حبيب أبو يعقوب السدوسي مولا هم البصري سكن مصر وحدث بها ، اقدمه أحمد بن طولون دمشق سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م لما عزم على خلع أبي أحمد الموفق مع جماعة من وجوه أهل مصر، مات بمصر في ذي الحجة سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م حدثني بذلك من أمره محمد بن أحمد بن المنهال وكان إسحاق رجلا صالحا وكان يتجر في الجواهر ^(٦) .

وقد كان علم الحديث علما رائجا في مصر، وذلك أن المحدثين كانوا يفدون على مصر من كل الأقطار المختلفة، وظلت مصر مقصدا لكل الطلاب كي يتلقوا هذا العلم فيمكنون في مصر مدة يتزودون فيها بحديث رسول الله (صل الله عليه وسلم)، ويقومون بكتابة ما يمكنهم كتابته ^(٧) وصار في مصر عدد كبير من الثقات المحدثين الذين أسندت إليهم الأحاديث، كالبخاري والنسائي والنيسابوري، وابن ماجه القزويني وابي داود، والترمذي.

ولم تخل بلاد الشام أيضا من العلماء الذين برزوا في علم الحديث، ومن الذين قصدوها طلبا لهذا العلم، محمد بن إبراهيم مولى ثقيف، الذي استقر في بيت المقدس وحدث بها، كذلك

(١) حسين، الحياة الفكرية والادبية بمصر، ص ٣٢

(٢) حسن، حضارة مصر في العصر الطولوني، ص ٢٢٣

(٣) البلوي، سيرة احمد ابن طولون، ص ١٨٦.

(٤) الربيع بن سليمان المرادي نسبة الى قبيلة مراد اليمينية ت ٢٧٠هـ صاحب الشافعي وهو الذي روى أكثر كتبه قال الشافعي: الربيع راويتي. وتولى امر التدريس في حلقة بعده وعندما مات صلى عليه خمارويه، (ابن زولا، فضائل مصر وأخبارها، ص ٣٠؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٤٨).

(٥) المقريزي، الخطط، ج ٢/ص ٢٦٥.

(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٨/ص ٢٧٧ .

(٧) محمود، الادب العربي في مصر من الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الايوبي، ص ١٥٢ .

محمد بن يعقوب المعروف بالفرخي (٢٧١هـ/٨٨٤م) الذي كان مشهوراً بالفقه ويعظ في جامع الرملة وقام بإنفاق أغلب ماله في طلب العلم والإحسان إلى الفقراء، وقد زار العديد من علماء الأندلس الشام، نذكر منهم القاضي عبدالله محمد بن أحمد مولى عبد الرحمن الناصر الأندلسي^(١).

ويلاحظ اهتمام بعض الأمراء بطلبه الحديث بالسؤال عنهم وتوفير احتياجاتهم، فيروى أن أحمد بن طولون اهتم بهم وكان يزورهم ويرسل لهم النفقة^(٢)، وقد كان من أبنائه من طلب الحديث النبوي، وهو عدنان^(٣) بن أحمد بن طولون، أبو معد المصري، وهو أخو خمارويه بن أحمد قدم بغداد، وحدث بها عن الربيع بن سليمان المرادي، وبكر بن سهل الدمياطي، وقدم دمشق وحدث بها وبمصر عن الربيع بن سليمان وبكر بن سهل الدمياطي وأبي بكر محمد بن خلف وكيع وأبي أحمد محمد وغيرهم، كتب عنه أبو الحسين الرازي وهارون بن محمد بن هارون بن ببيعة الموصلية وعبيد الله بن محمد بن عابد الخلال وغيرهم، مات سنة ٣٢٥هـ/٩٣٧م^(٤).

ومن الأمراء المحدثين في العصر الطولوني، محمد بن أحمد أبو عبد الله الواسطي الكاتب ولي إمرة دمشق نيابة عن أبي الجيش خمارويه بن أحمد، وحدث بدمشق عن الهيثم بن سهل وعاصم بن علي، روى عنه أبو سليمان عوف بن إسماعيل بن عوف ومحمد بن حمدون بن خالد لبيلي النيسابوري^(٥).

ومن الوزراء محمد بن علي بن أحمد بن رستم أبو بكر المادرائي الكاتب، وزر لأبي الجيش خمارويه بن أحمد وقدم معه دمشق وحدث بمصر عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي، ولد بالعراق، وقدم مصر هو وأخوه أحمد بن علي، فكانا بمصر مع أبيهما علي بن أحمد، وكان أبوهما يلي خراج مصر لأبي الحسن خمارويه بن أحمد، وكان محمد بن علي قد كتب الحديث ببغداد عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي وطبقة نحوه، وكان مولده سنة سبع وخمسين ومائتين، واحترقت كتبه في إحراق داره، وبقي له منها شيء عند بعض الكتاب ممن سمع منه جزءاً وجزأين عن العطاردي وغيره، توفي سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م^(٦).

(١) حسين، الحياة الفكرية والأدبية بمصر، ص ٣٧.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٣/ص ١٠٤.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٤/ص ٢٧١.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢/ص ٣١٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤/ص ٥٣.

(٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٤/ص ٢٣٥.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٣/ص ٢٩٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٤/ص ٢٣٥.

ومن رؤوساء الدواوين كان علي بن أحمد بن رستم المادرائي على ديوان الخراج، سكن مصر، وكان على ديوان الخراج لخمارويه بن أحمد بن طولون، روى عن الأمير تكين مولى المعتضد حديثاً^(١).

ومن موالى الطولونيين ممن اشتهر بعلم الحديث، لؤلؤ الرومي، مولى أحمد بن طولون حدث عن الربيع بن سليمان المرادي، روى عنه أبو القاسم الطبراني، توفي سنة ٣١١هـ/٩٢٣م^(٢)، ومحمد بن بدر، أبو بكر، كان والده يعرف ببدر الحمامي، غلام بن طولون، ويسمى بدر الكبير، قدم بغداد. وحدث بها عن بكر بن سهل الدمياطي، وحماد بن مدرك، وأبي عبد الرحمن النسوي. روى عنه الدارقطني^(٣)، وأما كنيز الخادم كان مولى أحمد بن طولون، حدث عن الربيع بن سليمان المرادي، حدث عنه الطبراني، وكان يقرئ الفقه بجامع دمشق على مذهب الشافعي، وكان من أئمة المذهب^(٤).

ب- علوم الفقه:

ومن ملامح هذه النهضة التي خلدت الأمراء الطولونيين أيضاً أن مدارس مصر الإسلامية التي كانت قد رسخت قدمها في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، ووضح إنتاجها في جميع العلوم الدينية المعروفة وبرزت في ميدان الدراسات الإسلامية وأصبحت مركزاً من مراكز الحياة العقلية^(٥) إذ انتشر في مصر العديد من المذاهب ولا سيما مذهب مالك^(٦)، ومن أشهر فقهاء المالكية في هذا العصر، محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (٢٦٨ هـ/٨٨١ م)، الذي كان محدث أهل مصر، وانتهت إليه رئاسة المالكية فيها ويعد أفقه أهل زمانه وله مصنفات كثيرة وتتلذذ عليه كثير من أهل المغرب والأندلس، وعرف عنه بصاحب الشافعي^(٧)، وروح بن الفرج أبو الزنباغ الزبيري، (٢٨٢ هـ/٨٩٥ م)، فقيه على مذهب مالك من أهل مصر وكان من اوثق

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٣/ص ٢٩٣

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣/ص ١٨؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٢١/ص ٢٤٣

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٢، ص ١٠٧

(٤) ابن ماكولا، الإكمال، ج ٧/ص ١٢٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٠/ص ٢٦١

(٥) محمود، حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني، ص ١٢٦

(٦) الامام مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر الاصبحي نسبة الى ذي اصبح من ملوك اليمن رأس المتقين

وكبير المتنبئين، (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨/ص ٤٨)

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٤٤

الناس في زمانه ^(١) ، وأحمد بن الحارث بن مسكين (٣١١ هـ / ٢٣ م) ^(٢)، ومحمد بن أصبغ بن الفرّج، (٢٧٥ هـ / ٨ م) والذي كان فقيها مفتيا، بمصر ^(٣)، أيضاً من الفقهاء المالكية الذين نبغوا في هذا العصر ابن المواز أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الإسكندراني، (٢٦٩ هـ / ٨٧٩ م)، الذي انتهت إليه الرياسة في مذهب مالك في مصر، قدم دمشق مع أحمد بن طولون سنة ٢٦٩ هـ ^(٤)، وبفضلهم بقيت مصر مركزاً علمياً مهماً يفد إليها طلاب العلم والعلماء وبخاصة من المغرب والأندلس لتلقي العلم أو التدريس وكان ابن طولون يرعاهم ويحسن اليهم وأوقف أوقافاً كثيرة للنفقة عليهم ^(٥) مما يدل على رغبة صادقة في نشر العلم نظراً لشغفه العلمي منذ صغره وممن جاء إلى مصر في عهده بعض علماء الأندلس فرحب بهم وعين بعضهم في المناصب المهمة منهم ، مدّج بن عبد العزيز بن رجاء المدلجي، أبا خندف، (٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م)، أندلسي، رحل إلى المشرق، ودخل العراق، فسمع بها علماً كثيراً، سكن مصر، وكان ذا علم وأدب.

وحدّث، وأخذ عنه بمصر ^(٦)، وابن حجر القرطبي (٢٩٣ هـ / ٩٠٦ م) ^(٧) وعمران الطليطلي (٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م) ^(٨)، وكانوا يسكنون جامع أحمد بن طولون ويدرسون فيه في أيامه وبعده وكان يجري عليهم الأرزاق ويصرف لهم رواتب كل شهر ^(٩).

ومن فقهاء بلاد الشام أيضاً من أصحاب الاتجاه المالكي محمد بن إبراهيم بن زياد أبو عبد الله الإسكندراني يعرف بابن المواز، مصنف على مذهب مالك بن أنس، روى عنه ابنه أبو القاسم بكر بن محمد بن إبراهيم وأبو الحسن علي بن أبي مطر الإسكندراني، قدم دمشق مع أحمد بن طولون سنة ٢٦٩ هـ / ٨٨٣ م لما قدمها لخلع لموفق، وذكره أبو العباس الوليد بن بكر الأندلسي الحافظ في تسمية الفقهاء من أصحاب مالك فقال: " محمد بن إبراهيم بن المواز أبو

(١) ابن يونس، تاريخ ابن يونس المصري، ص ١٨٠؛ الحكري الحنفي، كمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٢/٥

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٧/ص ٢٣٩

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٦٠٤

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥١/ص ١٩٧؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١/ص ٣١٠

(٥) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١/ص ١٢٥

(٦) ابن يونس، تاريخ، ج ٢/ص ٢٣٠؛ القاضي عياض، مدارك، ج ٤/ص ١٨٦

(٧) ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، ج ٢/ص ٢٩

(٨) ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، ج ٢/ص ٤٢٢

(٩) ابن جبّير، رحلة ابن جبّير، ص ٥٦

عبد الله كان بالإسكندرية تفقه بآبن الماجشون وآبن عبد الحكم واعتمد على أصبغ وهو أجل من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومن محمد بن سحنون^(١) .

كما واشتهر أيضا مذهب الإمام الشافعي وكان لظهور هذا المذهب الأثر الكبير في الحياة العلمية في مصر، كما أن أحمد بن طولون قام بمساعدة الفقهاء الشافعية، الذين كثروا وبرز العديد منهم، وكان أشهرهم، المزني إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق أبو إبراهيم المزني المصري الفقيه الإمام العلامة صاحب التصانيف الذي كان يعد إمام الشافعيين وأعرفهم بطرق الشافعية وفتاويها وله العديد من التصانيف منها: الجامع الكبير " الجامع الصغير"، و مختصر المختصر " و "المسائل المعتمدة وغيرها من الكتب، قال فيه الشافعي لو ناظر المزني الشيطان لغلبه، توفي سنة ٢٦٤هـ/٨٧٦م^(٢)، وكان أول شافعي يتولى القضاء عن أحمد بن طولون هو أبو زرعة محمد بن عثمان بن إبراهيم الدمشقي ونقل هذا المذهب إلى مصر عن طريق القضاة العراقيين، ولي قضاء مصر سنة ٢٨٤هـ/٨٩٨م، توفي سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م^(٣) واشتهر من العلماء في عهده قحزم بن عبد الله السواني (ت ٢٧٠هـ/٨٨٤م) وقد شهد مسجد دمشق حلقاته يكنى بابي حنيفة أصله قبضي، وكان من خيرة تلاميذ الشافعي وكان مفتيا ومقيما بأسوان حتى وفاته^(٤).

ومن فقهاء الشام الشافعية الفقيه عبيد الله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن الخطاب العمري وقد تولى بعد أبي زرعة على قضاء الشام وكان قد تولى القضاء بجمص وقنسرين وإنطاكية والثغور الشامية، وولي قضاء دمشق في أيام خمارويه بن أحمد بن طولون ثم عزله وأقره على قضاء الأردن وفلسطين^(٥).

وكتب التراجم تعطينا صورة طيبة لانتشار المذهب الشافعي في مصر في العصر الطولوني وتحدث عن كثرة التلاميذ الذين تبناوا هذا المذهب ودافعوا عنه ونقلوه حتى حصلوا على منصب القضاء في هذا العصر حينما تولى أبو زرعة محمد قضاء مصر^(٦).

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥١/ص ١٩٧

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٣٩؛ ابن كثير، طبقات الشافعيين، ص ١٢٢

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٣/ص ١٠١ .

(٤) ابن يونس، تاريخ، ص ٣٩٩ .

(٥) ابن طولون، قضاء دمشق، ص ٢٣ .

(٦) الكندي، الولاية والقضاء، ص ٥١٨ .

ولم يقتصر اهتمام الأمراء الطولونيون بالمذهب المالكي والشافعي فحسب بل كان للمذهب الحنفي نصيب ، وبرز من رجاله في عصر بني طولون القاضي بكار بن قتيبة ، وكانت لبكار هذا أصالة في العلم وقدم راسخة في رواية الحديث ، وكان ابن طولون يشهد بعض مجالس أملاء القاضي بكار بن قتيبة^(١) فكان يسبقه الحاجب ويقول للحاضرين: لا يتغير احد مكانه فما ينظر بكار ألا وابن طولون الى جواره^(٢) وكان يعظمه ويرفع قدره^(٣)، وكان يدفع له كل سنة ألف دينار خارجا عن المقرر له، فتركها بختمها ولا يتصرف فيها، فلما دعاه إلى خلع الموفق بن المتوكل من ولاية العهد امتنع القاضي بكار من ذلك، فاعتقله أحمد، ثم طالبه بجملة المبلغ الذي كان يأخذه كل سنة، فحملة إليه بختمه، وكان ثمانية عشر كيساً، فاستحيا أحمد منه، وكان يظن أنه أخرجها وأنه يعجز عن القيام بها فلهذا طالبه، ولما اعتقله أمره أن يسلم القضاء إلى محمد بن شاذان الجوهري، ففعل، وجعله كالخليفة له، وبقي مسجوناً مدة سنين^(٤)، مات سنة (٢٧٠هـ)^(٥) .

ومن الفقهاء الذين اشتهروا في هذا العصر أيضاً أبو بكر بن الحداد^(٦) الذي كان أكبر من مثل الثقافة الدينية في مصر، فقد كان يلقب بفتية مصر وفصيحا وعابدها، وكان إماماً في الفقه والعربية، وانتهت إليه إمامة مصر في عصره، قال الشيخ أبو إسحاق: كان فقيهاً، مدققاً، وفروعه تدل على فضله، واعتنى الأئمة بشرح فروعه، توفي سنة (٣٤٥هـ/٩٥٥م)^(٧)، أما سيبويه المصري، فقد كان من أشهر الفقهاء علماً، كان يعلم كثيراً من معاني القرآن، وقراءاته وغريبه وإعرابه، عالماً بالحديث والنحو وغرائبهما وهذا ما جعله يلقب بسيبويه، توفي سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م^(٨) .

(١) بكار بن قتيبة، احد قضاة مصر وهو فقيه المذهب الحنفي اصله من البصرة تولى القضاة من قبل الخليفة المتوكل وكان صاحب علم واسع في الفقه والحديث، وعندما لعن ابن طولون الموفق رفض بكار ذلك فقام

بسجنه وبقي في السجن لعدة سنين ،(الكندي، الولاة والقضاة، ص ٣٣٩)

(٢) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٩.

(٣) بن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٤٩.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١/ص ٢٧٩؛ ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، ص ١٠٥.

(٥) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٧٨.

(٦) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الكنانى المصري، كان الملوك والرعايا تكرمهم وتُعظمه وتقصد في الفتاوى والحوادث،(عباس القمي: الكنى والألقاب، ص ٢٦٣).

(٧) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج ٢/ص ١٩٢.

(٨) المقرئزي، المققى الكبير، ج ٧/ص ١٧٠؛ الطرطوشي، سراج الملوك، ص ١٢٠.

ويظهر أن قدم المصريين قد رسخت في دراسة الفقه الحنفي بظهور أحمد بن محمد بن مسلمة الطحاوي^(١)، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، اتصل بأحمد بن طولون، فكان من خاصته، وتوفي بالقاهرة، من تصانيفه (شرح معاني الآثار) في الحديث، مجلدان، و (بيان السنة) رسالة، وكتاب (الشفعة) و (المحاضر والسجلات) و (مشكل الآثار) أربعة أجزاء، في الحديث، و (أحكام القرآن) و (المختصر) في الفقه، وشرحه كثيرون، و (الاختلاف بين الفقهاء)، (معاني الأخيار في أسماء الرجال ومعاني الآثار) و (مناقب أبي حنيفة)، توفي ٣٢١ هـ / ٨٥٣^(٢)، وهناك القاضي أبو عبيد على بن الحسين بن حرب المعروف بحربويه، وهو من أهل بغداد ودخل مصر في شعبان سنة ٢٩٣ هـ / ٨٣٥ م، وظل قاضيا على مصر إلى أن عزل سنة ٣١١ هـ / ٨٤٣ م فخرج من مصر إلى بغداد، توفي هناك سنة ٣١٩ هـ / ٨٥١ م، يكنى أبا عبيد، قدم مصر على القضاء، فأقام بها دهرًا طويلًا، وكان شيئًا عجبًا، ما رأينا مثله قبله ولا بعده، وكان يتفقه على مذهب أبي ثور صاحب الشافعي، وعزل عن القضاء، وكان سبب عزله، أنه كتب يستعفي من القضاء، ووجه رسوله إلى بغداد يسأل في عزله، وكان قد أغلق بابيه، وامتنع من أن يقضي بين الناس، فكتب بعزله، وأعفي، فحدث حين جاء عزله، وكتب عنه، فكانت له مجالس أملى فيها على الناس، ورجع إلى بغداد، فكانت وفاته ببغداد، وكان ثقة ثبتًا^(٣)، وكان له مركز قيم في مصر حتى إنهم أخذوا أقواله أمثالًا كقوله: إن البغاث بأرضكم يستنسر قال الطحاوي: كنت أذكر عنده ابن أبي عمران الحنفي فقال لي: إلى كم تقول ابن أبي عمران؟ قد رأيت هذا الرجل بالعراق، إن البغاث بأرضكم يستنسر. قال: فصارت هذه الكلمة بمصر مثلًا^(٤) وقال الطحاوي أيضًا: كان أبو عبيد يذاكرني بالمسائل، فأجبتة يومًا في مسألة، فقال لي: ما هذا قول أبي حنيفة، فقلت له: أيها القاضي، أو كل ما قاله أبو حنيفة أقول؟ قال: ما ظننتك إلا مقلدًا، فقلت له: وهل يقلد إلا عسبي، فقال لي: أو غبي، فطارت هذه الكلمة بمصر حتى صارت مثلًا^(٥) وكانت توقيعات أبي عبيد تخرج معنونة مختومة وكتبت بمصر ألفاظه، وجمعت توقيعاته وكانت محشوة فقها وبلاغة، ولكن فقدت كل هذه التوقيعات ولم يبق منها شيء^(٦)، ويبدو أن أحمد بن طولون كان يضيفي حمايته وعطفه على هذه المدارس لفقهية على قدم المساواة، فقد

(١) ابن يونس، تاريخ، ص ٢٠؛ الطحاوي، معين الأمة على معرفة الوفاق والخلاف بين الأئمة، ص ١٣.

(٢) ابن يونس، تاريخ، ص ٢١؛ حسين، ادب مصر الاسلامية، ص ٦٣.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٣/ ص ٣٥٠.

(٤) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٥٢٨.

(٥) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٥٢٨.

(٦) حسين، ادب مصر الاسلامية، ص ٥١.

رأيناه يحضر دروس فقهاء الشافعية والحنفية ، وإذا به في الوقت نفسه يجالس محمد بن عبد الحكم ويجرى عليه الأرزاق^(١) .

ولم يقتصر تشجيع الأمير أحمد بن طولون على العلماء المقيمين في مصر بل امتد اهتمامه على الوافدين لمصر لتلقى العلم أو التدريس في مدارس مصر ، إذ يستفاد مما رواه السيوطي^(٢) أنه كان يعلم بخبر الوافدين منهم وأنه كان يعينهم ويحسن إليهم وأنه أوقف على الوافدين أوقافاً يستعينون بها على العيش، وكان ابن طولون قد فعل هذا رغبة صادقة في العلم والمنافسة التي شاعت بين أمراء الأمصار، فامر لمحمد بن نصر خمسين ديناراً ، وامر لمحمد بن جرير خمسين ديناراً، وامر لمحمد بن هارون خمسين ديناراً، وكذلك اعطى محمد بن إسحاق بن خزيمة خمسين ديناراً، وبلغهم " إذا نفذت فابعثوا إلي أمركم " ^(٣) .

وكان للعاملين في المسجد راتب يومي وفاكهة وخبز^(٤) كذلك منح المؤرخ ابن عبد الحكم^(٥) الأرزاق وكان يجالسه ايضاً^(٦)، ومن شدة احترام الامير أحمد للشيخ والعلماء كافاً احد المشايخ، (خلعة الرضا)^(٧) والتي تمنح نتيجة الاعمال الجليلة يقوم بها احد رجال الدولة او المشايخ عامة الناس نتيجة لقيامه بأعمال نالت رضى الخليفة واستحسانه او لعفو والسماح بعد عمل شىء قام به فيعفي عنه ويخلع عليه هذه الخلعة، عندما توسط هذا الشيخ بتخليص احد الغلمان لانه كذب على ابن طولون فقام الاخير بمعاقبته ومنعه ان يدخل ويخرج اليه احد وحبسه الا ان هذا الغلام سبق وان عمل معروفًا مع الشيخ فاراد الشيخ ان يرجع هذا المعروف فتوسط له عند ابن طولون ليطلق سراحه فاعجب الامير بفعله كافأه لحسن معرفته معه^(٨)

ج- النحو:

- (١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤/ص ١٩٣ .
- (٢) حسن المحاضرة، ج ١/ص ١٢٥ .
- (٣) ابن نقطة الحنبلي، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ص ١١٨ .
- (٤) حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج ٢/ص ٤٨٣ .
- (٥) ابن عبد الحكم: هو عبدالرحمن بن عبدالله مؤرخ مصري ولد في القسطنطينية و اخذ الفقه والحديث عن ابيه وعن العديد من العلماء والفقهاء كتب فتوح مصر ، توفي سنة (٢٥٧هـ)، كان صاحب شهرة ونفوذ كبير تولى رئاسة المذهب المالكي، (ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٦/ص ٢٤١٤) .
- (٦) حسين، ادب مصر الإسلامية، ص ٧٢ .
- (٧) ابن مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج ٦/ص ١٠٨ .
- (٨) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ٢٣٨ .

ازدهرت الدراسات اللغوية في العصر الطولوني على يد الوليد بن محمد التميمي النحوي المعروف بولاد، كان نحويًا مجوداً، روى عن القتيبي وأبي زرعة المؤذن، وروى كتب اللغة والنحو، وكان ثقة، أصله من البصرة، ونشأ بمصر، ودخل العراق، ولم يكن بمصر شيء من كتب النحو واللغة قبله، توفي سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م^(١)، وأنجبت المدرسة اللغوية أيضاً أحمد بن جعفر الدينوري، قال الزبيدي: وأصله من الدينور، وقدم البصرة وأخذ عن المازني وحمل عنه كتاب سيبويه، ثم دخل إلى بغداد فقرأ على المبرد، ثم قدم مصر، وألف كتاب المذهب في النحو، وكتب في صدره اختلاف البصريين والكوفيين وعزا كل مسألة إلى صاحبها، ولم يعتلّ لكل واحد منهم ولا احتج لمقالته، فلما أمعن في الكتاب ترك الاختلاف ونقل مذهب البصريين، وعول في ذلك على كتاب الاخفش سعيد بن مسعدة. وله كتاب مختصر في ضمائر القرآن استخرجه من كتاب المعاني للفراء، مات بمصر سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م^(٢).

وشهدت مدرسة اللغة ظهور أبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل، العلامة، إمام العربية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، صاحب التصانيف، ووصفه أبو سعيد بن يونس بمعرفة النحو، ومن كتبه (إعراب القرآن)، (اشتقاق الأسماء الحسنى)، (تفسير أبيات سيبويه)، كتاب (المعاني)، (الكافي) في النحو، (الناسخ والمنسوخ)، وكان من أدكيا العالم، مات غرقاً سنة ٣٣٨هـ/٩٥٠م^(٣).

العلوم الإنسانية والإدبية:

١- التاريخ:

نشطت الكتابة في التاريخ في بداية مطلع القرن الثالث الهجري، التاسع لميلادي، فقد تمت الكتابة في جميع الفروع وظهر في العصر الطولوني العديد من المؤرخين والقصاص، وكان أشهرهم عبدالرحمن بن عبدالله ابن عبد الحكم^(٤)، الذي يُعد من قدم المؤرخين وهو صاحب كتاب فتوح مصر والأندلس والمغرب، الذي تناول فيه أخبار الفتح العربي لمصر، بعد أن سار على نهجه العديد من المؤرخين ويعد ابن الحكم أول مؤرخ لخطط مصر الإسلامية^(٥)، كذلك برز

(١) السيوطي، بغية الوعاة، ج ٢/ص ٣١٨ حسين، ادب مصر الإسلامية، ص ٦٨.

(٢) ابن مسكويه، بغية الوعاة، ج ١/ص ٣٠١؛ ياقوت الحموي، معجم الأدياء، ج ١/ص ٢٠٦.

(٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٥/ص ٤٠١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٥/ص ١٥٥.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦/ص ١١٤.

(٥) ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص ٢٩٤؛ ابن حجر العسقلاني، المعجم المفهرس،

عمارة بن وثيمة بن موسى أبو رفاعة الفارسي^(١) صاحب كتاب "التاريخ على السنين"^(٢) الذي توفي سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م)^(٣).

أيضاً كان أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس (٣٤٧هـ/٩٥٨م)^(٤) من المؤرخين الذين عاشوا في العهد الطولوني وحتى الاخشيدي، كان خبيراً بأحوال الناس، ومطلعاً على تواريخهم عارفاً بما يقوله، جمع لمصر تاريخين: أحدهما وهو الأكبر يختص بالمصريين، والآخر وهو صغير يشتمل على ذكر الغرباء الواردين على مصر، وما أقصر فيهما، وقد ذيلهما أبو القاسم يحيى بن علي الحضرمي وبنى عليهما^(٥).

ومن المؤرخين الذين عاصروا بني طولون، المؤرخ اليعقوبي، عاش في هذه لدولة أربع سنوات ووقف تاريخه عند سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م) وكان من الرحالة الذين يحبون الأسفار، ومن الواضح أنه كان عاملاً على خراج برقة عندما ثار العباس على أبيه أحمد بن طولون وله العديد من المؤلفات منها كتاب "البلدان" الذي يبحث في أهم المدن في العالم الإسلامي، والذي تضمن معلومات قيمة عن البلدان التي زارها، وهو من الكتب المطبوعة، أيضاً كتاب تاريخ اليعقوبي، وهو من مجلدين، كما حرص اليعقوبي على تدوين تواريخ الأسر الحاكمة والمجتمعات التي تعرّف عليها^(٦)، ذكر جزء من اخبار أحمد بن طولون وعلاقته بالخليفة المعتمد^(٧)، أما محمد بن

(١) وثيمة بن عمارة بن وثيمة بن موسى بن الفرات المصري: يكنى أبا حذيفة، أصله فارسي. سمع من أبيه، وجماعة، (ابن يونس، تاريخ، ص ٥٠١).

(٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٢١/ص ٢٣٠

(٣) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١/ص ٥٥٣

(٤) عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصدي المصري أبو سعيد الحافظ، صاحب التاريخ حدث عن أبيه عن جده وعن أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي وعبد الكريم بن إبراهيم المرادي وعاصم بن رازح وأحمد بن شعيب وعلي بن سعيد الرازي وعلي بن الحسن بن قديد وأحمد بن الحارث بن مسكين وإسحاق بن إبراهيم بن يونس وموسى بن هارون بن كامل وغيرهم، حدث عنه ابنه أبو الحسن علي وأبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني الحافظ. قال أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن القراب في تاريخه أنبا أحمد بن محمد يعني الماليني قال سمعت أبا الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدي يقول توفي أبوي عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وولد سنة إحدى وثمانين ومائتين، (ابن نقطة الحنبلي، التقيد، ص ٣٣٣).

(٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٧/ص ٢٤٩؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١/ص ٣٠٠.

(٦) كاشف، احمد بن طولون، ص ١٠.

(٧) ينظر، تاريخ اليعقوبي، ج ١/ص ٣١٦-٣١٩.

يوسف الكندي^(١)، فيعد من أكبر مؤرخي مصر وهو أعلم الناس بتاريخها، وكان من أهم الكتب التي أرخها والتي تعد من مصادر التاريخ المصري، من كتبه الولاية والقضاة في مجلد واحد، اشتمل على كتابيه (تسمية ولاية مصر) و (أخبار قضاة مصر) وله أيضا فضائل مصر صنفه لكافور الإخشيدى و(سيرة مروان بن الجعد) وكتاب (الموالي)^(٢)، كما برز كذلك في هذه الدولة ابن دحية الحسن بن قاسم، كان إخباريا، توفي في مصر سنة (٣٢٧هـ/٩٢٨م)، ومن أشهر القصاصين الذين زاروا مصر في الدولة الطولونية أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد الواعظ البغدادي عرف بعد ذلك بالمصري عندما أقام في مصر وله العديد من المصنفات في الحديث والزهد، توفي سنة (٣٣٨هـ/٩٤٩م) هذا ويعد أبو محمد عبدالله بن محمد المديني المعروف بالبلوي أشهر من أرخ في تاريخ مصر، كان عالما وفقهياً وواعظاً، ويُعد كتاب سيرة أحمد بن طولون" من أهم المصادر لدراسة تاريخ مصر في هذه الفترة إلى النصف الثاني من لقرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، كما أن لديه مؤلفات أخرى منها كتاب "الأبواب" وكتاب "المعرفة" وكتاب "الدين وفرائضه"^(٣).

٢- الشعر:

اتخذ الأمراء من الشعراء وسيلة لنشر سلطانهم وازدياد نفوذهم فأغروا الشعراء بالأموال والهبات، وتنافس الشعراء في خدمة الأمراء، فكانت في الأقطار الإسلامية نهضة شعرية كبيرة، وأصبح في كل إقليم شعراء، وحفظ كل إقليم الشعر الذي أنشد فيه، فبعد أن كانت بغداد هي مركز الحياة الأدبية وقلبها النابض، صار الشعراء يقصدون لأقاليم المختلفة كما كانوا يقصدون بغداد من قبل، وأصبحت النهضة الأدبية متفرقة في الأقاليم، وكثرت الرحلات العلمية إلى مختلف الأمصار، وأكثر الأمراء عطاء ونوالا هو أعظمهم حظا من وفود الشعراء والعلماء، يقول الشاعر الخزاعي:

(١) محمد بن يوسف بن يعقوب، من بني كندة، مؤرخ، كان من أعلم الناس بتاريخ مصر وأهلها وأعمالها وثغورها. وله علم بالحديث والأنساب، ولد أبو عمر، وتوفي، بمصر سنة ٣٥٠هـ، (الذهبي، تاريخ، ج٧/ص٨٩٨؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج٧/ص٣٦٤).

(٢) المقرئ، المقفى الكبير، ج٥/ص٢٣٠.

(٣) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١/ص٣٤٩.

لا تعرضن بمزح لأمرى طبن^(١) فرب قافية بالمزح جارية
 اني إذا قلت بيتا مات قائله ماراضه قلبه أجراه في الشفة
 في محفل لم يرد إنماؤها نمت ومن يقال له والبيت لم يمت^(٢)

يقول الجاحظ: كل امة تعتمد في استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الاشكال وكانت العرب تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى وكان ذلك هو ديوانها وذهبت العجم على ان تقيد مآثرها بالبنيان فبنوا كردبيداد.. ثم ان العرب ارادت ان تشارك العجم في البناء وتنفرد بالشعر فبنوا غمدان وكعبة نجران وقصر مارد.... وغير ذلك من البنيان فالجاحظ يضع الشعر من العرب في تخليد آثارهم موضع البناء من العجم في اداء هذه الغاية نفسها وتخليد الاثر عند كل امة غاية فطرية من غاياتها الاولى تكاد تلازمها من باكورة تنبؤها ومستهل تاريخها^(٣) .

وقد فتحت الدولة الطولونية أبوابها للشعراء، واستقدمت شعراء من خارج مصر وتسابق الشعراء للمجيء للدولة الطولونية لما سمعوا عن ابن طولون وعطاياه، فكان الطولونيون أهل بذخ وكرم، يمدون سباط لكل طارق، فاستقدموا الشعراء وقربوهم إليهم وواصلوهم بهدايا وظهر في عهد كل أمير شاعر يعمل على مدح الأمير ويقوم بذكر صفاته ومنشأة العمرانية بقصائده فخلعوا عليهم الألقاب والصفات^(٤)

وزاد عدد الشعراء في الدولة الطولونية واتخذوا من الشعر وسيلة لنشر سلطانهم وتخليد اثرهم العمراني والعلمي وزيادة نفوذهم إذ احب امراء البيت الطولوني الشعراء بدليل ذكر ابو عمرو عثمان النابلسي في كتاب حسن السيرة في اتخاذ حصن الجزيرة انه رأى كتابا قدره اثنتا عشرة كراسة مضمنة فهرست لشعراء الميدان لأحمد بن طولون^(٥) وكان عند أحمد بن طولون

(١) الطبن، الفطن، يريد لا تمازح شاعرا ذلل له القول نقوه شفتاه بكل ما جال في قلبه: (باناعمة، قليلا من الأدب، ص ٦٥) .

(٢) باناعمة، قليلا من الأدب، ص ٦٤ .

(٣) نجيب، تاريخ الشعر العربي، ص ٣ .

(٤) حسين، ادب مصر الاسلامية، ص ٢١٨ .

(٥) المقرئ، الخطط، ج ١/ ص ٤٠٩ .

شاعر يلقي الشعر بالتركية وكانت تغني شعره جارية تسمى ربيعة^(١) , فلا نغالي إذا قلنا إن عددا كبيرا من الشعراء تجمعوا في بلاط الطولونيين الذين كانوا أهل بذخ وكرم، وأرادوا أن يجعلوا من مدينتهم التي بنوها القطائع، مركزا أدبيا شبيها ببغداد؛ فُكر حولهم الشعراء المتكسبون الذين سجلوا في أشعارهم مآثر الطولونيين وما شيدوه من مباني، وشدوا أزهرهم في الخلاف لذي كان بين أحمد بن طولون وولي عهد العباسيين الموفق؛ فالشاعر قعدان بن عمرو^(٢) مدح ابن طولون بأنه يدافع عن المعتمد العباسي خليفة المسلمين أمام أخيه الموفق^(٣)، ودفاع ابن طولون على هذا النحو دفاع عن الدين، وحث الشاعر المسلمين على أن يتبعوا ابن طولون في حروبه فهو يقول:

طال الهدى بأبن طولون الأمير كما	يزهو به الدين عن دين وأسلام
قاد الجيوش من الفسطاط يقدمها	منه على الهول ماض غير محجام
في جفيل للمنايا ي مقانبه	مكامن يمين رايات واعلام ^(٤)

وفي قصيدة أخرى لقعدان بن عمرو، يستنهض المصريين لنصرة خليفة المسلمين، ويدعوهم لاتباع ابن طولون في سياسته في الدفاع عن الخليفة:

من مبلغ الشام وماحوت	مصر ومن هو متهم او محمد
مبالكم هضتم جناح سنانكم	بتواكل من فعلكم لا يحمد ^(٥)

ويقول الشاعر منصف بن خليفة الهذلي^(١) يمدح ابن طولون ويشيد بفضائله ودفاعه عن الخليفة:

(١) ربيعة: احد جواري احمد بن طولون كانت تغني وتلقي الشعر باللغة التركية بالشكل الفصيح وكان ابن طولون يقول والله ماسمعت ارق ولاشجى من صوتها فما كان احد يسمع صوتها الا وابكاه واوجع قلبه وكانت تعلم الشعر للجواري الاخريات، (البليوي، سيرة احمد بن طولون، ص ٣٤٦) .

(٢) وهو شاعر كان بدمشق حين قدمها ابن طولون سنة ٢٦٩هـ/ص ٨٨٢م، (ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٩/ص ٣٤٤) .

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣/ص ١٦٩ .

(٤) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢٢٧

(٥) حسين، الحياة الفكرية والادبية بمصر، ص ٩٨

ياغرة الدنيا الذي افعاله
انت الامير على الشام وثغرها
واليك مصر وبرقة وحجازها
هتك الخلافة صاعد وخليله
غرر بها كل الورى تتعلق
والرقتين وما حواه المشرق
كل اليك فؤاده متشوق
اسحاق لعبا والحسود الاخرق^(٢)

وبرز في هذا الدولة العديد من الشعراء وكان من أنواع شعرهم مدح وهجاء، ونجد أحمد ابن طولون أيضاً في هذا المجال يقوم بتشجيع الشعراء^(٣)، من أبرزهم الجمل الأكبر^(٤)، والذي مدح أحمد بن طولون بقصيدة يقول فيها:

له يدكم خلدت من يد
وهو لى الهيجاء اذا
انظر الى مصر بسلطانه
سحابة عمت بأنوائها
ماثقلت قام بأعبائها
ترى الهدى فاض بأرجائها^(٥)

وفي احد الايام أحمد بن طولون تطايرت النجوم فأحضر ارباب الفلك وسألهم فلم يجيبوا فدخل عليه "الجمل" وأنشده هذه الابيات:

قالوا تساقطت النجوم
فأجبت عند مقالهم
هذي النجوم الساقطات
لحادثنا بدا عسير
بجواب محنتك خبير
رجوم اعداء الامير^(٦)

(١) منصف بن خليفة: وهو احد شعراء احمد بن طولون، (ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٠/ص٣٠٣)

(٢) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢٢٨

(٣) هو الحسن بن عبدالسلام من شعراء الفسطاط، توفي سنة ٢٥٩هـ، كان يصحب الشافعي رضي الله عنه، (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣/ص ١٤٠)

(٤) الجمل الاكبر: هو الحسين بن عبدالسلام. شاعر مصري من الفسطاط كان شديد الاتصال بالأمام الشافعي مدح الامراء والخلفاء منهم الخليفة المامون، توفي سنة ٢٥٨هـ ومدح ابن المدبر وواصله بمبلغ من المال فكان من عادته اذا مدحه شاعر وارتضى شعره وصله ولم يرتضى يأمر بحمله الى المسجد ويقول لغلامه لا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة، (ياقوت الحموي معجم الادباء، ج٣/ص ١١٣٠)

(٥) محمود، الادب العربي في مصر، ص ١٢٩.

(٦) رمضان، المجتمع في مصر الاسلامية من الفتح العربي الى العصر الفاطمي، ج٢/ص ١٩٣

وكان من الشعراء الذين زاروا مصر في عهد أحمد بن طولون وابنه خمارويه، الشاعر البحري إذ كان يغدقه بالعطايا والجوائز، عند مدحهما مدحاً عظيماً إذ مدح أحمد بن طولون بقوله :

وعند ابي العباس لو كان دانيا
سيف لها في كل دار عدى ردى
يرجى الفتاء السهل والكتف الرحب
وخيل لها في كل دار عدى نهب^(١)

وقد مدح البحري مرة أخرى أحمد بن طولون عند انتصاره على سيما الطويل والي إنطاكية وقتله سنة (٢٦٥هـ/٨٧٨م) فيقول:

كان لم يروا سيما الطويل وجمعه
وخارج باب البحر اسد خفية
وما فعلت فيه وفي جمعه الحرب
تخير في امره ثم تحببت
وقد سد قطريه على الغنم الزرب
اليه الحياة مأوها علل سكب^(٢)

فالشعر المصري قام بدوره في تخليد الحوادث التي كانت في عصر ابن طولون، كان هناك عدد الشعراء لذين كانوا ينقمون على أحمد بن طولون فالشاعر المصري محمد بن داود وقف بالمرصاد لابن طولون، فلم يأت ابن طولون عمل من الأعمال دون أن يهجو هذا الشاعر ويقبح أفعاله. فمثلاً بني ابن طولون المارستان وهو عمل إنساني جليل ولكن هجاه الشاعر بقوله:

الايتها الاغفال ايها تأملوا
تعلموا ان ابن طولون نقمة
وهل يوقظ الازهان غير التأمل الم
ولولا جنائيات الذنوب لما علت
تسير من سفلى اليكم ومن عل
فياليت مارستانه نيط بأسته
عليكم يد العلج السخيف المجهل
وما فيه من علج عتل مقلل^(٣)

وايضا ما شهد هذا البيمارستان من ناحية ثقافية وعلمية وطبية حتى قال فيه الشاعر سعيد القاضي:

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢٣٠

(٢) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٧١؛ الصيرفي، ديوان البحري، ج ٢، ص ١٢٥

(٣) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٦٠

ولاتنس مارساتانه واتساعه
ومافيه من قوامه وكفاه
فللميت المقبور حسن جهازه
وتوسعة الارزاق للحوول والشهر
ورفقههم بالمعتقين ذوي الفقير
وللحي رفق في علاج وفي جبر^(١)

ولما بنى أحمد بن طولون حصن الجزيرة وانشأ المراكب الحربية في الجزيرة هجاه
الشاعر محمد بن داود بقوله:

بنى الجزيرة حصنا يستجن به
وراقب الجيزة القصوى فخذقها
له مراكب فوق النيل راكدة
بالعسف والضرب والصناع في تعب
وكاد يصعق من خوف ومن رعب
فما سوى القار للنظار والخشب^(٢)

وظل هذا الشاعر يهجو أحمد بن طولون حتى توفي الأمير فلم يقلع عن هجائه بل رماه
بأشد أنواع الهجاء ولم يتورع عن بسط لسانه في الأمير حتى بعد وفاته، من ذلك قوله^(٣):

مَضَى غَيْرَ مَفْقُودٍ وَمَا كَانَ عُمُرُهُ
لَقَدْ زِيدَ فِي الْيَحْمُومِ بِالرَّجْسِ لَعْنَةً
وَلَمْ تَبْكِهِ الْأَرْضُونَ لَكِنْ تَبَسَّمَتْ
سَوَى نَقْمَةٍ لِلْخَلْقِ شَنْعَاءَ صَيْلَمٍ
وَلَمْ يُسْقَ بِالْمَرْجُوسِ تُرْبُ الْمُقَطَّمِ
سُرُورًا وَلَوْ لَا مَوْتُهُ لَمْ تَبَسَّمِ

وما كادت تزول دولة الطولونيين، وتعود مصر مرة أخرى إلى حكم العباسيين
سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م حتى رأينا الشعراء يرثون الطولونيين، ويأسفون على أيامهم الزاهرة، بل نجد
شاعراً هو سعيد القاص ينظم تاريخهم في قصيدة أرى أن أثبتها هنا؛ لما فيها من تخليد اعمال
الطولونيين ومنشأتهم^(٤):

وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ مَاجِدًا
كَأَنَّ لِيَالِي الدَّهْرِ كَانَتْ لِحُسْنِهَا
يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ ابْنِ طُولُونٍ هِمَّةً
جَمِيلَ الْمُحْيَا لَا يَبِيتُ عَلَى وَثْرِ
وَأَشْرَاقَهَا فِي عَصْرِهِ ثِلَاةَ الْبَدْرِ
مُحَلِّقَةً بَيْنَ السَّمَائِينَ وَالْعُفْرِ

(١) المقرئزي، الخطط، ج ١/ص ٤٠٧

(٢) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢١٨

(٣) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢٣٢

(٤) المقرئزي، الخطط، ج ٢/ص ١١٩

ولهذا الشاعر أيضا عدة قصائد في مدح الطولونيين يصف فيها ازدهار الحياة في مصر، وقوة اليلاد في عصرهم وما كانت ترتع فيه من نعيم ورخاء. على أن هؤلاء الشعراء الذين أكثروا من مدح الطولونيين، وخلعوا عليهم هذه الصفات الألقاب الشعرية التي ذراها دائما في مدح شعراء العرب، لم يلبثوا أن تحولوا إلى مدح لأمرء والولاة العباسيين الذين أبادوا ملك الطولونيين، وأخرجوا قوادهم ومواليهم فخلت منهم الديار المصرية وأحلوا بالطولونيين التطريد والتشريد، فترى شاعرًا كإسماعيل بن أبي هاشم قد مدح الطولونيين بعدة قصائد كقوله بعد أن دالت دولتهم^(١):

قِفْ وَفَقَّةً بِفَنَاءِ بَابِ السَّاجِ وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ وَالْأَبْرَاجِ
وَرُبُوعِ قَوْمٍ أُرْعَجُوا عَنْ دَارِهِمْ بَعْدَ الْإِقَامَةِ أَيَّمَا إِرْعَاجِ
كَانُوا مَصَابِيحًا إِذَا ظَلَمَ الدُّجَى يَسْرِي بِهَا السَّارُونَ فِي الْإِذْلَاجِ

هذا القول يظهر فيه الوفاء للطولونيين والإخلاص لهم ونراه قد استمر على وفائه وإخلاصه، يدلنا على ذلك شعره في ثورة محمد بن علي الخنجي^(٢)، وكان أحد جند الطولونيين الذين أسرهم محمد بن سليمان^(٣) القائد، وسار بهم إلى الشام، وفي دمشق حدثت نفس ابن الخنجي أن يعود إلى مصر، ويعيد الطولونيين إلى ملكهم، وكاشف بذلك بعض أصفياه فأجمعوا كلمتهم على ذلك، وساروا معه حتى استولوا على الرملة باسم إبراهيم بن خمارويه، واجتمع إليه خلق كثير سار بهم إلى مصر وهزم جيوش عيسى النوشري الوالي حتى استطاع ابن الخنجي أن يستولي على الفسطاط في ذي القعدة سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م، وأرسل الخليفة المكتفي

(١) المقرئزي، الخطط، ج ٢/ص ١١٩

(٢) محمد بن علي الخنجي: هو من كبار الجند بمصر ظهر في ولاية عيسى النوشري، بعد أن اعتقله سليمان مع بقايا الطولونيين فهرب منه واستطاع أن يجمع حوله جنود ودعا إلى نصرته الدولة الطولونية، واستطاع الميطرة على الرملة وبعدها دخل إلى مصر واستولى عليها واستطاع الخليفة العباسي المكتفي من القضاء عليه بقيادة عيسى النوشري وفي عهده ساءت أحوال مصر، (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/ص ٤٨٩؛

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ١٤٧)

(٣) محمد بن سليمان: أحد القادة العباسيين بعثه الخليفة المكتفي إلى مصر لأسقاط الدولة الطولونية، فقام بحرق القطائع ونهب أصحابه الفسطاط وخطب للمكتفي في مصر وكانت ولايته عليها ١٢ يوماً، (الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٨٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨/ص ٢٤٠؛ المقرئزي، المقفى الكبير، ج ٥/ص

بالله جيشاً لقتاله وعليهم أبو الأغر خليفة بن المبارك وغيره، فقاتلهم ابن الخليجي بمنية الأصبع وهزمهم سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م، فمدحه الشعراء منهم إسماعيل بن هاشم بقوله^(١)

أَمِيرَنَا يَا بَنَ الْبَهَائِلِ الْغُرُرُ شَفَيْتَ مِنْ عَدُونَا أَبِي الْأَعْرُ
صُدُورَنَا وَقَيْتَ مِنْ كُلِّ حَذَرٍ إِذْ جَاءَ فِي الشُّوكِ إِلَيْنَا وَالشَّجَرُ
فِي جَحْفَلٍ كَمَوْجِ بَحْرٍ قَدْ زَحَرَ يَتَّبَعُهُ أَهْلُ الْبَوَادِي وَالْحَضَرُ

كذلك نجد تطوراً في فنون الشعر وأغراضه إذ ظهرت أغراض لم تُعرف من قبل؛ فقد وجد في مصر فن جديد لم يسبق إليه، وهو فن رثاء الدول، فعندما انتزع العباسيون مصر من الطولونيين أمر القائد العباسي سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م بهدم الميدان الذي أنشأه أحمد بن طولون، فقام جماعة من شعراء مصر ببيكون الدولة الطولونية ويتحدثون عن أيامها السعيدة والمباني التي أنشأتها وكيف أصبحت مباني الطولونيين أثراً بعد عين، كل ذلك تحدث عنه المصريون في صور متابعة وفي نغمة حزينة مؤثرة، فالشاعر المصري محمد بن طشويه يقول^(٢):

مَنْ لَمْ يَرَ الْهَظْمَ لِلْمَيْدَانِ لَمْ يَرَهُ تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَعْلَاهُ وَأَقْدَرُهُ
لَوْ أَنَّ عَيْنَ الَّذِي أَنْشَأَهُ تُبْصِرُهُ وَالْحَادِثَاتُ تُعَادِيهِ لِأَكْبَرِهِ
كَأَنَّتْ عُيُونُ الْوَرَى تُعْشَى لِهَيْبَتِهِ إِذَا أَضَافَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ عَسْكَرُهُ

فأول ما يلفت الانتباه في ذلك العصر أن شعر وصف مظاهر العمران عامة وقصور الأمراء خاصة لم يأت فناً مستقلاً ، ولا قائماً بذاته ، وإنما جاء مندرجاً في ثنايا الأغراض الشعرية الأخرى لاسيما المدح والرثاء وغيرهما من الأغراض اللصيقة بحياة الأمراء والملوك. وقد لوحظ أن الشعراء جعلوا أكثر مدائحهم مرتبطة بوصف القصور والحدائق والرياض ، وقد استغل الشعراء مظاهر الحياة المترفة ، وما أصابه الأمراء والملوك من رفاهة العيش وسعة ذات اليد ، ووفرة الأموال في استدرار إعجابهم. فقد كان الشعر - انئذ - مرآة صادقة لحياة القصور وكل ما كان يدور ويجري فيها من مظاهر البذخ والإسراف ، وكذلك كان مصوراً للقصور نفسها بالوصف وإظهار رونقها ، وأثر ضيائها وما تحويه من البرك والنوافير والمجالس والحدائق .. ثم يخلص الشاعر من ذلك كله إلى مدح الامير ليجعل من وصف القصور ومحتوياتها سبباً في تنعم الملك

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٨٤

(٢) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٩١

ورفاهة العيش ، وراحة باله ، فنرى رثاء الشاعر أحمد بن اسحق الذي قال يبكي الدولة الطولونية والميدان^(١):

وَإِذَا مَا أَرَدْتُ أُعْجِبَةَ الدَّهْرِ تَرَاهَا فَانْظُرْ إِلَى الْمَيْدَانِ
تَنْظُرُ الْبَيْتَ وَالْهُمُومَ وَأَنْوَاعًا تَوَالَتْ بِهِ مِنَ الْأَشْجَانِ
يَعْلَمُ الْعَالَمُ الْمُبِصِّرُ أَنَّ الدَّهْرَ فِيمَا نَرَاهُ ذُو الْوَانِ

وصف الميدان وعدد ما تفرد به من مظاهر جمالية نادرة وزخارف طريفة ونقوش وتماثيل رائعة ؛ ليجعل من كل ذلك وسيلة لمدح الامير والثناء عليه، ويدعو له بدوام الملك والاقامة فيه على هذه الطريقة نجد الشعراء يفيضون في أوصاف قصور الملوك ودورهم ، وكل ما يتعلق بهم وجعل الشعراء مدح الملوك هو المنطلق الأساس الذي ينطلقون منه ، ومحور الارتكاز الذي يرتكزون عليه ، نجد ذلك أيضاً الشاعر سعيد القاص ومن شعره في رثاء الدولة الطولونية والميدان^(٢):

وَكَأَنَّ الْمَيْدَانَ تَكَلَّى أُصَيْبُتْ بِحَبِيبٍ صَبَّاحَ نَيْلَةٍ عُرْسِ
تَتَغَشَّى الرِّيحُ مِنْهُ مَحَلًّا كَانَ لِلصَّوْنِ فِي سُتُورِ الدِّمَاسِ
وَلَفَرَشِ الْإِضْرِيحِ وَالْبُسْطِ الدِّيَّاجِ فِي نَعْمَةٍ وَفِي لَيْنٍ مَسِّ

تلك الصورة وهذه المعاني هي في حال الرثاء ، فإذا كانت القصور موصوفة بالجمال ومحلاة بالوشى والزخارف لأ أن أرباها يسكنونها ، فإنهم في حال ذهابهم وموتهم، تتحول هذه القصور وتلك الدور للتحسر والأسف وسمة، فمثلا قصر بن طولون الذي رثاه إسماعيل بن أبي هاشم^(٣):

يَا مَنْزِلًا لِبَنِي طُولُونَ قَدْ دَنَرَا سَفَاكَ صَوْبُ الْعَوَادِي الْقَطَرِ وَالْمَطَرَا
يَا مَنْزِلًا صِرْتُ أَجْفُوهُ وَأَهْجُرُهُ وَكَأَنَّ يَغْدِلُ عِنْدِي السَّمْعَ وَالْبَصَرَا
بِاللَّهِ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنْ أَحَبَّتْنَا أَمْ هَلْ سَمِعْتَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِنَا خَبَرَا

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٩٢

(٢) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٩٢

(٣) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٩٢

وقد ظهرت هذه الصورة واضحة جلية حين وضعها الشاعر في صورة الموازنة أو المقارنة بين حال القصور أيام الملك ومصانعة الزمان لصاحبه ، وبين ما آلت إليه حالها بعدما حل بها وبأصحابها من زوال الملك والرياسة وتحول الزمان ، وعندما توفي أحمد بن طولون وبلغت وفاته المعتمد وأشدت وجده عليه وجزعه قال المعتمد يرثيه^(١):

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَسَى	عَرَانِي كَوْفَعِ الْأَسَلِ
عَلَى رَجُلٍ أَرْوَعَ	يُرَى فِيهِ فَضْلُ الْوَجَلِ
شِهَابٌ خَبَا وَقُدُّهُ	وَعَارِضٌ غَيِثٌ أَقْلُ

كما سجل الشعر ثورة ابن الخليج الذي هزم جيوش العباسيين واستولى على القسطنطينية سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م، وأراد أن يعيد دولة الطولونيين، فمن ذلك قول أحمد بن محمد الحبشي يخاطب ابن الخليج^(٢) :

غَضِبْتَ لِمُضَرَ وَمَا نَالَهَا	وَشَرَّدْتَ بِالْخَوْفِ مَنْ غَالَهَا
تَلَأَفَيْتَهَا بَعْدَ إِدْبَارِهَا	وَأَقْبَلْتَ تَطْلُبُ إِقْبَالَهَا
وَكَادَتْ نُؤُوهُ شَوْقًا إِلَيْكَ	وَتُنْظَرُ بِالشَّوْقِ لِبُلْبَالِهَا

وكان أحمد بن طولون كما يقول البلوي، " أن من لاينه واستسلم اليه رأى منه كما يحبه وبلغ منه كل ما يريده ومن خاشنه او قاومه لم يطقه وكافأه بما يستحقه"^(٣) ، ويورد البلوي ايضا ابياتا من الشعر^(٤) تصف شخصية أحمد بن طولون في هذا الموقف:

وأذا لاينته صافته	سلس الخلق سليم الناحية
وأذا خاشنته الفيته	شرس الرأي ابياه داهية

لذلك نجد اهتمام أحمد بن طولون وامراء البيت الطولوني بالشعراء إذ كانوا يمثلون الواجهة الاعلامية للبلاد عن طريق تخليد اعمالهم سواء كانت عمرانية وسياسية او اقتصادية او ادبية كذلك كسبهم في دفاعهم عن الدولة فعمدوا على تقريبهم لاسيما ان هؤلاء الشعراء قد اثروا بالدولة.

(١) الكندي، الولاية والقضاء، ص ١٧٢

(٢) الكندي، الولاية والقضاء، ص ١٨٩

(٣) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ٩٥

(٤) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ٩٥

وقد اهتم خمارويه بن أحمد بن طولون كذلك بالشعراء من بعد أبيه فبعد نزوله لقصر وفد إليه الملوك وانتجعته العرب وقصدته الشعراء من جميع الأمصار وقصده لشاعر الوليد بن عبيد البحري فأنشده قصيدته التي يقول فيها ^(١):

وَقَدْ رَأَيْتُ جُيُوشَ النَّصْرِ مَنْزِلَةً عَلَى جُيُوشِ أَبِي الْجَيْشِ بُنِ طُولُونَا
يَوْمَ النَّثِيَّةِ إِذْ تَنَّى بِكَرَّتِهِ فِي النَّقْعِ خَمْسِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَا
مُظَفَّرٌ لَمْ يَزَلْ يَلْقَى بِطَلْعَتِهِ كَوَاكِبَ السَّعْدِ وَالطَّيْرِ الْمَيَّامِينَا

ومن مظاهر اهتمام خمارويه في الشعراء ما ورد أنه وبينما: " كان في الصيد على نهر ثورا بدمشق انحدر من الجبل أعرابي عليه كساء فجاء حتى أخذ بشكيمة لجامه وهو منفرد علي يده بازي فنفر البازي فصاح عليه الغلمان فقال لهم: دعوه فقال له: أيها الملك كف واستمع فقال له: قل فقال:

ان السنان وحد السيف لو نطقا لحدثنا عنك بين الناس بالعجب
افنييت مالك تعطيه وتتهبه يآفة الفضة البيضاء والذهب ^(٢)

قال: فالتفت أبو الجيش إلى الخادم الذي معه الخريطة فقال: فرغها، وكان رسم الخريطة خمس مائة دينار فرغها في كسائه، فقال له: أيها الملك زدني فالتفت إلى الغلمان فقال لهم: اطرحوا سيوفكم ومناطقكم عليه، فطرحوا، فقال له: أيها الملك انقلنتي، فقال: أعطوه بغلا يحمله عليه، فلما انصرف أمر احد من معه أن يعطي كل من طرح سيفه ومنطقته عليه سيفاً ومنطقة ذهب ^(٣) ، وقد كان من شعراء خماروية من أهل الشام أيضاً إبراهيم أبو إسحاق ^(٤)

وقد غني بعضهم الشعر لخمارويه وتكسب به فقد روى أبو علي الحسين بن أحمد المادرائي المعروف بأبي زبور قال: " كان أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون يتزه في مرج عذراء بدمشق - وكان أبو زبور عامل أبي الجيش - قال: فغنى له المعزفاني في الليل صوتاً أبذل منه كلمة والصوت:

قد قلت لما هاج قلبي الذكرى واعرضت وسط السماء الشعرى

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٧٦

(٢) حسين، ادب مصر الاسلامية، ص ١١٨

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١/ص ٤٧

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١/ص ٢٩٠

كانها ياقوتة في مذكرى ما اطيب الليل بسر من رأى

فأمر له أبو الجيش بمائة ألف دينار قال أبو زنبور فقلت: أيها الأمير تعطي مغني في بدل كلمة مائة ألف دينار وتضايق المعتضد، قال: فقال لي: فكيف أعمل وقد أمرت وليس أرجع فقلت له: تجعلها مائة ألف درهم قال فقال لي: أفلأطلقها له معجلة يعني المائة الألف درهم وما بقي له يبسطها له في سنين يعني المائة ألف دينار حتى تصير إليه^(١) "

وفي أيام خمارويه بن أحمد بن طولون خرج خمارويه لحرب إسحاق بن كنداج سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م فهزم ابن كنداج وتبعه خمارويه حتى بلغ سر من رأى فمدحه القاسم بن يحيى المريمي^(٢):

أَتَانَا أَبُو الْجَيْشِ الْأَمِيرُ بِيَمْنِهِ فَشَرَدَ عَنَّا الْجَوْرَ وَافْتَقَرَ الْعُسْرُ
فَإِنْ يَكُ أَرْضُ الرَّقَّتَيْنِ بِهِ اكْتَسَتْ ضِيَاءً وَإِشْرَاقٌ لَقَدْ أَظْلَمَتْ مِصْرُ
فَسَائِلُ بِهِ إِسْحَاقُ إِذْ سَارَ نَحْوَهُ بِجَيْشٍ كَعَرَضِ النَّيْلِ يَقْدُمُهُ النَّصْرُ

وقد خص القاسم بن يحيى بن معاوية المريمي شعره في مدح خمارويه، وقال فيه كل مدائحه حتى سئل مرة أن يرحل عن مصر فقال:

وكيف رحيلي عن بلاد غدا بها أبو الجيش والنيل الذي ملا الأرضا

وانشد الشاعر المريمي قصيدة لخمارويه في احد المعارك مع ابن ابي الساج فأعطاه الاموال والهبات^(٣) :

فُتُّوحُ الْأَمِيرِ نُجُومٌ تُلُوحُ فَلَيْسَتْ تُقَاسُ إِلَيْهَا فُتُّوحُ
تَسِيرُ لَهَا فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ رَكَائِبُ تَغْدُو بِهَا وَتَرُوحُ
إِذَا حَادَ عَنْ أَمْرِهِ حَائِدٌ أَتَاخَ لَهُ الْحَتَفُ مِنْهُ مُتِيحُ

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٧، ص ٤٦-٤٧

(٢) المريمي: القاسم بن يحيى بن معاوية المرعي هو أحد شعراء خمارويه أختص بالشعر له وارتبط به ارتباط

وثيقاً كان من الشعراء المصريين، (مصطفى، الأدب العربي، ص ١٣٢)

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ١٣٦

يورد ابن سعيد ابياتا من الشعر لاحد شعراء ذلك العصر يصف فيها فترة حكم جيش بن خمارويه منها^(١):

دولة طولون مضت مثلما تذري	هشيم الروض هوج الرياح
جيشهم قد غالبه جيشه	فخر ما بين الطبّا والرماح
فأبك على دولتهم مثلما	تبكي عيون السحب ميت البطاح

وقد لعب الشعر دوره في الثورة التي قام بها العباس بن أحمد بن طولون ضد أبيه؛ فقد كان للشاعر ابن جدار، كاتب ابن طولون، أثر كبير في دفع العباس إلى العصيان، فيقال إن العباس لما هم بالانخلاع عن طاعة أبيه كان مترددا مرتبك الرأي، ولكن أنشده ابن جدار قصيدة يحرضه على العصيان منها:

أذا هممت فلا ترجع وقم وثب فأنت ارفع من ان يسمو الى الرتب^(٢)

العلوم العقلية:

علم الطب:

من مظاهر التخليد التي اهتم بها الطولونيون في المجال الطبي قيام أحمد بن طولون ببناء مستشفى على ارض العسكر للعناية بالمرضى والحق بها صيدلية وحمامين احدهما للرجال والآخر للنساء ورتب له الاطباء والصيادلة والخدم للعناية بالمرضى من مختلف الاديان والاجناس، ويدل انشاء المستشفى ما كان عليه من تنظيم حسن وترتيب واهتمام أحمد بن طولون نفسه بالمرضى والعناية بهم على مدى تقدم فن الطب والتمريض في عهده، وزود المستشفى بمكتبة تزيد عن مائة ألف مجلد^(٣)، في سائر العلوم وكانت في متناول كل طالب علم^(٤)، وكان دارس الطب يتلقى أصوله على يد مشاهير الأطباء ويستعين بهذه المكتبة وذلك لإدراكهم أن البيمارستان هو أكثر أنواع المؤسسات حاجة إلى الكتب والمكتبات.

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ١٤٤

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ٨٦

(٣) المقريزي، الخطط، ج ٣/ص ١٦٦؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ١/ص ٤٢١.

(٤) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤/ص ١٠١

ويبدو أن صناعة الطب في مصر قد أفادت من تقاليد مدرسة الاسكندرية القديمة ، وأنها قطعت شوطاً بعيداً في طريق ذيوها بين الناس، ومن حسن الحظ أن البلوي^(١) في حديثه عن أيام ابن طولون الأخيرة ومرضه وخلافه مع أطبائه أمدنا بأخبار طريفة عن صناعة الطب في مصر في آخر أيام أحمد بن طولون^(٢)، فضلاً عن الاهتمام بالمستشفيات ومكتباتها، اهتم الطولونيون بالكادر الطبي العناية بهم فكانت من مظاهر تخليدهم، الاهتمام بملابس الأطباء والعاملين معهم فقد كانت لهم أزياءهم الخاصة تتألف من دراعة وهي جبة من صوف مشقوقة المقدم وخف وعمامة ، وكان لكل طبيب منهم أعوانه ومساعدوه مهمتهم دق العقاقير وعجن الأدوية ونفخ النار، وكانت لهم وسائلهم في الفحص والعلاج ، يحددون للمريض أنواع الأطعمة ويجسون النبض، واستخدموا الطب النفسي في العلاج وكان الطبيب الحسن بن زيرك يستخدم هذا الأسلوب في علاج أحمد بن طولون^(٣)

ومن أشهر أطباء العصر الطولوني، سعد بن توفيل كان طبيباً نصرانياً متميزاً في صناعة الطب، وكان في خدمة أحمد ابن طولون من أطباء الخاص يصحبه في السفر والحضر، وتغير عليه قبل موته، وذلك أن أحمد بن طولون، كان قد خرج إلى الشام، وقصد الثغور لإصلاحها، وعاد إلى انطاكية فادركته هزيمة من ألبان الجواميس، فطلب طبيبه سعد فوجده قد خرج إلى بيعة بأنطاكية فتمكن غيظه عليه فلما حضر أغلظ له في التأخر عنه، ولما حل ابن طولون بمصر ظهرت منه نبوة في حق سعيد الطبيب هذا، وشكاه إلى إسحاق بن إبراهيم كاتبه وصاحبه فقال إسحاق بن إبراهيم لسعيد يعاتبه : ويحك، أنت حاذق في صناعتك وليس لك عيب إلا أنك مدل بها، غير خاضع أن تخدمه فيها. والأمير، وإن كان فصيح اللسان، فهو أعجمي الطبع، وليس يعرف أوضاع الطب فيدبر نفسه بها وينقاد لك وقد أفسده على الإقبال فتلطف له، وارفق به، وواظب عليه، وراع حاله. فقال سعيد : والله ما خدمتي له إلا خدمة الفار للسنور، والسخلة للذئب، وإن قتلي لأحب إلى من صحبتته^(٤)، ومات أحمد بن طولون في علقته هذه، وقال نسيم خادم أحمد بن طولون : إن سعيد بن توفيل المتطبيب، كان في خدمة للأمير أحمد بن طولون فطلبه يوماً فقبل له: مضى يستعرض ضيعة يشتريها فأمسك حتى حضر، ثم قال له: يا سعيد اجعل ضيعتك التي تشتريها فتستغلها صحبتي ولا تغفلها^(٥)، واعلم أنك تسبقني

(١) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ٣١٩-٣٢٣

(٢) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ٣١٩-٣٢٣

(٣) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص ١٦٦

(٤) ابن ابي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٤٢

(٥) ابن ابي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٤٢

إلى الموت إن كان موتي على فراشي، فإني لا امكنك بالاستمتاع بشيء بعدي، وكان سعيد بن توفيل آيساً من الحياة لأن أحمد بن طولون امتنع من مشاورته ولم يكن يحضر إلا ومعه من يستظهر عليه برأيه ويعتقد فيه أنه فرط في أول أمره وابتداء العلة به حتى فات أمر، مات سعد في سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م بمصر. وقيل في سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م، وهي السنة التي مات ابن طولون في ذي قعدتها. والله أعلم^(١).

أما الطبيب إبراهيم بن عيسى، كان طبيباً فاضلاً معروفاً في زمانه متميزاً في أوانه، سحب يوحنا ابن ماسويه ببغداد وقرأ عليه وأخذ عنه. وخدم بصناعة الطب الأمير أحمد بن طولون، وتقدم عنده وسافر معه إلى الديار المصرية، واستمر في خدمته ولم يزل إبراهيم بن عيسى مقيماً في فسطاط مصر إلى أن توفي، وكانت وفاته في نحو سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م^(٢).

والطبيب الحسن بن زيرك كان طبيباً في مصر أيام أحمد بن طولون يصحبه في الإقامة، ولما توجه ابن طولون إلى دمشق في شهور سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م، وامتد منها إلى الثغور لإصلاحها، ودخل أنطاكية عائداً عنها أكثر من استعمال لبن الجواميس فادر كته هبضة لم ينجع فيها معاناة سعيد بن توفيل، وعاد بها إلى مصر وهو ساخط على سعيد بن توفيل. فلما دخل الفسطاط احضر الحسن بن زيرك وشكا إليه سعيداً فسهل عليه ابن زيرك أمر علقته، وأعلمه أنه يرجو له السلامة منها عن قرب، وخففت عنه علقته بالراحة والطمأنينة واجتماع الشمل، وهذو النفس، وخسن القيام، وبر الحسن بن زيرك، وكان شيخاً كبيراً فحميت كبده من سوء فكره وخوفه، وتشاغله عن المطعم والنوم فاعتراه إسهال سريع، واستولى الغم عليه فخلط وكان يهذي بعلقة أحمد بن طولون، حتى مات في سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م^(٣).

وكان من اطباء ابن طولون أيضاً، الطبيب، خلف الطولوني: هو أبو علي مولى أمير المؤمنين، كان مشتغلاً بصناعة الطب، وله معرفة جيدة في علم أمراض العين ومداواتها، ولخلف الطولوني من الكتب: كتاب النهاية والكفاية في تركيب العينين وخلفتها وعلاجهما وأدويتها، ونقلت من خطه في كتابه هذا، وجملة الكتاب بخطه، إن معاناته كانت لتأليف هذا الكتاب في سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧م^(٤).

(١) ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٤٤

(٢) ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٤١

(٣) ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٤١

(٤) ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٤٣

الفصل الثالث

التخليد في الدولة الاخشيديية

مظاهر التخليد في الدولة الإخشيديية

- ١- **التخليد السياسي**
- ٢- **التخليد العسكري**
- ٣- **التخليد الإداري**
- ٤- **التخليد الاقتصادي**
- ٥- **التخليد الاجتماعي**
- ٦- **التخليد الديني**
- ٧- **التخليد الثقافي والعلمي**

الفصل الثالث

التخليد في الدولة الإخشيدية

بعد أن تناول الفصل الثاني مظاهر التخليد في الدولة الطولونية، وما أظهرته من توظيف للرموز المادية والمعنوية في تثبيت أركان الحكم، ينتقل هذا الفصل إلى دراسة مظاهر التخليد في الدولة الإخشيدية، التي ورثت المجال السياسي في مصر وبلاد الشام في ظروف اتسمت بتعقّد المشهد السياسي وتزايد مظاهر الضعف في السلطة المركزية العباسية.

ويهدف هذا الفصل إلى رصد وتحليل مظاهر التخليد التي اعتمدها حكام الدولة الإخشيدية، من خلال دراسة النماذج التطبيقية في المجالات الإدارية والنقدية والعمرانية، وبيان الدلالات التي حملتها هذه المظاهر في سياقها التاريخي والسياسي. كما يسعى إلى إبراز أوجه الاستمرار والتغير في ظاهرة التخليد مقارنة بالتجربة الطولونية، بما يعكس خصوصية المرحلة الإخشيدية.

ويأتي هذا الفصل استكمالاً لما سبق، ليؤكد أن ظاهرة التخليد لم تكن مظهرًا عارضًا مرتبطًا بدولة بعينها، بل كانت سلوكًا سياسيًا وثقافيًا ارتبط بطبيعة الحكم الإقليمي في مصر خلال القرن الثالث الهجري. وبهذا تكتمل الصورة العامة للدراسة، من خلال تتبع تطوّر التخليد من الإطار النظري إلى التطبيق التاريخي في تجربتين متعاقبتين.

مظاهر التخليد في الدولة الإخشيدية

١ - التخليد السياسي:

الألقاب والرموز السياسية:

الإخشيد هو لقب حكام مصر بعد الطولونيين، ويعود تاريخ هذا اللقب إلى سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م عندما قام الخليفة العباسي الراضي بالله بمنح محمد بن طغج بن جفت هذا اللقب وأصبح رسميًا يلقب بالإخشيد^(١)، وتشير المصادر التاريخية إلى أن هذا اللقب إنما هو استحقاقهم "لأنه لقب ملوك فرغانة، وهو من أولادهم"^(٢)، قال الطبري: لقب الراضي أبو بكر محمد بن طغج أمير مصر بالإخشيد، وسبب ذلك أنه فرغاني، وأبو بكر بن الإخشيد كان جده يدعى بحضره المعتضد الإخشيد، ولقب على ابنه بذلك، وهو من أولاد الملوك بفرغانة^(٣). تعود أصول هذه الأسرة إلى

(١) المقريزي، المقفى الكبير، ج ٥/ص ٣٩٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥/ص ٤٥٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥/ص ٥٨.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج ١١/ص ٣٥٨.

جدهم جف^(١)، وهو أول من تم ذكره منهم في المصادر التاريخية، والتي خلّدت به بذكر قصته ووصوله إلى السلطة وعلاقته مع الخلافة العباسية، فقد أعجب الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م)، بشجاعته فكانت سبباً في اتصاله بالخلفاء العباسيين وأصبح من قواده العسكريين البارزين، مما ساهم في وصول أحفاده إلى سدة الحكم وتأسيس إمارتهم في مصر والشام، وقد حصل على إقطاعات من الأراضي في مدينة سامراء، من قبل الخليفة العباسي المعتصم فأكرّمه وأقطعه^(٢)، والمعتصم هو أول خليفة أدخل الأتراك الديوان، وبلغت غلّمانه الأتراك بضعة عشر ألفاً، وقد تعددت الجهات التي قدم منها الترك لخدمة المعتصم والانضمام لجيشه فمنهم من كان من الصغد^(٣)، وفرغانة^(٤)، وأهل الشاش^(٥)، وكان المعتصم قد جلبوا إليه من فرغانة جماعة كثيرة، فوصفوا له جف وغيره بالشجاعة والتقدم في الحروب فوجه المعتصم من أحضرهم، فلما وصلوا إليه بالغ في إكرامهم وأقطعهم قطائع بسامراء، وهي إلى زمان ابن خلّكان في القرن السابع الهجري موجوده بقوله "وقطائع جف إلى الآن معروفة هناك"، ولم يزل مقيماً بها، وجاءته الأولاد، توفي جف ببغداد ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م^(٦)، خلفه ابنه طغج وهو اسم تركي معناه بالعربية عبد الرحمن^(٧) وأصله من أولاد ملوك فرغانة^(٨)، قال ابن خلّكان "فخرج أولاده إلى البلاد يتصرفون ويطلبون لهم معاش،

(١) وتفسيره بالعربية ملك الملوك، والإخشيذ بلسان أهل فرغانة ملك الملوك، وأصل هذه الكلمة: أخ شيد، أو أق شيد ومعنى ذلك: الشمس البيضاء، (الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٤٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٣/ص ٢٥٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣/ص ١٤٢؛ مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٨/ص ٥٧)

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣/ص ١٤٢

(٣) الصغد بالضم ثم السكون وآخره دال مهملة وقد يقال بالسین مكان الصاد وهي كورة عجيبة قسبتها سمرقند وقيل هما صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣/ص ٤٠٩)

(٤) فرغانة بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف نون مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك كثيرة الخير واسعة الرستاق يقال كان بها أربعون منبراً بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤/ص ٢٥٣)

(٥) الطبري، تاريخ، ج ٦/ص ١٧٨

(٦) ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج ٥/ص ٥٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣/ص ١٤٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٧/ص ٦٨٣.

(٧) ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج ٥/ص ٥٦

(٨) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣/ص ١٤٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٧/ص ٦٨٣

فاتصل طغج بن جف بلؤلؤ^(١) غلام ابن طولون وهو إذ ذاك مقيم بديار مصر فاستخدمه على ديار مصر ثم أنحاز طغج إلى جملة أصحاب إسحاق بن كنداج^(٢)، فلم يزل معه إلى أن مات أحمد بن طولون، وجرى الصلح بين ولده أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وبين إسحاق بن كنداج، ونظر أبو الجيش إلى طغج بن جف في جملة أصحاب إسحاق فأعجب به وأخذه من إسحاق وقدمه على جميع من معه، وقلده دمشق وطبرية، ولم يزل معه إلى أن قتل أبو الجيش، فرجع طغج إلى الخليفة المكتفي بالله^(٣)، فخلع عليه وعرف له ذلك، وكان وزير الخليفة يومئذ العباس بن الحسن^(٤)، فسأم طغج أن يجري في التذلل له مجرى غيره، فكبرت نفس طغج عن ذلك، فأغرى به الخليفة المكتفي، فقبض عليه وحبسه وابنه أبا بكر محمد بن طغج المذكور، فتوفي طغج في السجن^(٥)، خلفه ابنه أبو بكر محمد بن أبي محمد طغج^(٦)، والذي لقب (صاحب سرير الذهب)^(٧)، (صاحب مصر الملك)^(٨)، سجن مع أبيه مدة، ثم أطلق وخلع

(١) الحسين بن لؤلؤ أبو عبد الله الإخشيدى ولاء أبو بكر محمد بن طغج بن جف الإخشيد الفرغاني إمرة دمشق في أيام المطيع لله سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين وثلاثمائة بقي عليها سنة وأشهرًا ورجع الإخشيد إلى مصر ثم نقله إلى ولاية حمص وولي دمشق يانس المؤنسي " (ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٤/ص ٢٩٠)

(٢) محمد بن إسحاق بن كنداج، أحد قواد الدولة الطولونية، لم يزل بمصر إلى أن ولي أبو العساكر جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون إمارة مصر بعد أبيه أبي الجيش خمارويه، وولي الشرطة موسى بن طونيق. فأنكر عظماء الجند عليه أمورًا وتتكروا له وتتكّر لهم فخافوا على أنفسهم، فهرب ابن كنداج هذا في ثلاثمائة من وجوه القواد، ولحقوا بالخليفة المعتضد ببغداد، (المقريزي، المقفى الكبير، ج ٥/ص ١٦٣)

(٣) علي بن أحمد بن طلحة بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، بويع له بالخلافة سنة ٢٨٩هـ، وكانت أيامه ست سنين ونصف، ومات شاباً في ذي القعدة سنة ٢٩٥هـ، وخلف مائة ألف ألف دينار عيناً، وأمتعة وعقاراً وأواني بمثلها، وثلاثة وستين ألف ثوب وكان يلقب " المترف " لنعمة جسمه وحسنه، وكان نقش خاتمه " اعتمادي على الذي خلقتني ". (الصفدي، فوات الوفيات، ج ٣/ص ٥).

(٤) الحسن بن العباس بن الحسن بن الحسين أبي الجن ابن علي بن محمد بن علي بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، أبو محمد الحسيني، القاضي القمي، انتقل أبوه العباس بن الحسن من قم إلى حلب، وانتقل معه ابنه الحسن وأخوته الباقون في أيام سيف الدولة بن حمدان، ثم انتقل أبو محمد وأخوته إلى دمشق وولي أبو محمد قضاء دمشق، ثم إن الحاكم أرسله عنه إلى حلب إلى أبي نصر منصور بن لؤلؤ، فتوفي بها وكان رئيساً نبيلًا جواداً ممدحاً. (ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٥/ص ٢٤١٥).

(٥) ابن خلكان، ج وفيات الأعيان، ج ٥/ص ٥٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٧/ص ٦٨٣

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥/ص ٥٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٧/ص ٦٨٣

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥/ص ٥٦؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج ٥/ص ٣٩٥

(٨) سير أعلام النبلاء ١١/ص ٥٤٣

عليه وتمكن من قتل الوزير العباس بن الحسن حتى أخذ بثأر أبيه هو وأخوه عبيد الله، ثم هربوا سنة ٢٩٦هـ/٩٠٦م فهرب عبيد الله إلى ابن أبي الساج^(١)، وهرب أبو بكر إلى الشام، وأقام متغرباً في البادية سنة، ثم اتصل بأبي منصور تكين الخريزي^(٢)، الذي ولاه عمان وجبال الشراة، فكان أكبر أركانه، وبقي فيها اميراً إلى سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، عندما تم تعيينه والياً على الرملة من قبل الخليفة المقتدر بالله^(٣)، فأقام بها إلى سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م، عندما صدر أمر الخليفة المقتدر بتوليته مدينة دمشق وبقي والياً عليها إلى أن ولاه القاهرة بالله ولاية مصر ٣٢١هـ/٩٣٣م، ولم يدخلها^(٤)، وبعد تولي الخليفة الراضي بالله تولى حكم المدينة، يقول المقرئزي " فقدم الرسول بولايته يوم الخميس لتسع خلون من شوال. ثم أعيد إليها محمد بن طغج ثانياً من قبل الراضي بالله محمد بن المقتدر على الصلاة والخراج عوضاً عن أحمد بن كيغلغ وهو الذي لقبه الإخشيد"^(٥)، وضم إليه البلاد الشامية والجزرية والحرمين وغير ذلك، ودخل محمد بن طغج مصر يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م، وفي عهد الخليفة المقتفي لأمر الله ضم إليه الشام والحجاز^(٦)، وفي سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م ففيها "لقبه الراضي بالإخشيد فدعي له بهذا اللقب على المنبر في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وثلاثمائة"^(٧)، يقول ابن تغري بردي، " ثم ورد عليه بالديار المصرية أبو الفتح الفضل بن جعفر ابن محمد بالخلع من الخليفة الراضي بالله بولايته على مصر، فلبسها وقبل الأرض ورسم الخليفة الراضي بالله بأن يزداد في ألقاب الأمير محمد هذا" الإخشيد في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وثلاثمائة... فزيد في ألقابه ودعي له بذلك على منابر مصر وأعمالها"^(٨)

خلدت المصادر التاريخية ما اتصف به من صفات اثناء حكمه لمصر من إنه كان ملكاً حازماً كثير التيقظ في حروبه ومصالح دولته، حسن التدبير، مكرماً للجنود شديد القوى لا يكاد يجر قوسه غيره؛ وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه الصغير الذي سماه (عيون

(١) محمد بن أبي الساج أحد الأمراء الذين كانوا ببغداد قدم دمشق لمحاربة أبي الجيش خماروية بن أحمد بن طولون فالتقوا عنه ثنية العقاب فظفر خماروية بعسكره وهرب ابن أبي الساج(ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٣/ص٥٥).

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥/ص٥٧.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥/ص٥٨.

(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٢/ص ٢٤٩

(٥) المقرئزي، المققى الكبير، ج٥/ص٣٩٦

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥/ص٥٨.

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥/ص٥٨.

(٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣/ص٢٥٢

(السير)، من إن جيشه كان عدده ٤٠٠ ألف مقاتل، وإن عدد حراسه الشخصي بلغ ٨٠٠٠ منهم ٢٠٠٠ يحرسه كل ليلة، وكان ينام بخيم الفراشين^(١)، وكان شديد الحب للمال، ذكر صالح بن نافع أنّ الإخشيد "لما رحل إلى الرقة أوقفه على سبع مطامير في كلّ مطمورة ألف ألف دينار من سكة واحدة"^(٢)، مات بدمشق^(٣) سنة ٣٣٥هـ/٩٤٧م^(٤)، ودفن بيت المقدس^(٥).

كانت علاقته بالخلافة العباسية جيدة وإن جميع الخلفاء الذين عاصروهم في إمارته على مصر كانوا يرسلون له "الكتاب مع البيعة بإقرار الإخشيد على ما بيده"^(٦).

نظام الوراثة ومحاولة الإخشيدين تثبيت سلطتهم:

تولى من بعده ابنه أبو القاسم أنوجور ومعناه بالعربية محمود^(٧) بن محمد بن طغج بن جف، الأمير أبو القاسم، صاحب مصر والشام^(٨)، أقره الخليفة المتقي بالله خليفة لأبيه في سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م وكان عمره اثنتا عشرة سنة، فدعي له بعد أبيه على منابر مصر والشام من الرقة إلى برقة بالكنية، وكان أبوه محمد قد أخذ له البيعة على جميع القواد له في يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م^(٩)، فاجتمع الناس^(١٠) وتمت البيعة في الجامع يوم الجمعة ثالث عشر المحرم، وفي أول ربيع الآخر من نفس السنة قرئ على منبر الجامع كتاب من الخليفة المطيع لله إلى الأمير أبي القاسم أنوجور يعزّيه فيه عن الإخشيد^(١١)، قال الذهبي، "لما مات محمد بن طغج أصبح كافور أتابك ولده أبي القاسم أنوجور وكان صبيّاً، فغلب كافور على الأمور وبقي الاسم لأبي القاسم والدست لكافور"^(١٢)، وذكر ابن تغري بردي أن أنوجور وقع

(١) الطبري، تاريخ، ج ١١/ص ٣٥٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥/ص ٥٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦/ص ٦٨٣

(٢) المقرئ، المقفى الكبير، ج ٥/ص ٣٩٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٢/ص ٣٣٤

(٣) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٢/ص ٢٤٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٧/ص ٦٨٣

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥/ص ٥٩؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٢/ص ٢٤٩

(٥) المقرئ، المقفى الكبير، ج ٥/ص ٣٩٩

(٦) المقرئ، المقفى الكبير، ج ٥/ص ٣٩٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٢٥٤

(٧) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج ٢/ص ١٨٥

(٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٢٩١

(٩) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٨/ص ١٠٥؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج ٢/ص ١٧٧

(١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٨/ص ١٠٥؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج ٢/ص ١٧٧

(١١) الكندي، الولاة و القضاة، ص ٢١٢

(١٢) تاريخ الإسلام، ج ٨/ص ١٠٥

بينه وبين كافور وحشة في سنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م وسببها أنّ قوما كَلَمُوا أنوجور وقالوا له: قد احتوى كافور على الأموال وانفرد بتدبير الجيوش، وأخذ أملاك أبيك وأنت معه مقهور، وحملوه على التنكّر، فلزم أنوجور الصيد والتباعد فيه الى المحلّة وغيرها وانهمك في اللهو، ثمّ أجمع على المسير الى الرملة فأعلمت أمّه كافورا بما عزم عليه ولدها خوفاً عليه من كافور، فلمّا علم كافور بذلك راسله، ثم بعثت أمّه إليه تخوّفه الفتنة، فاصطلحا ودام الأمر على حاله، ولم يزل أنوجور على إمرة مصر الى أن مات بها في يوم السبت سابع أو ثامن ذي القعدة سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م، وحمل الى القدس فدفن عند أبيه الإخشيد، وكانت مدّة ولايته على مصر أربع عشرة سنة وعشرة أيّام^(١)، بعد وفاته اقر الخليفة المطيع أبو الحسن عليّ بن انوجور، على إمرة مصر على الجند والخراج، وأضاف إليه الشام، كما كان لأبيه الإخشيد ولأخيه أنوجور، وقويت شوكة كافور في ولايته وتحكم بمقدرات مصر السياسية والعسكرية^(٢)، قال الكندي، "دُعي له يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، والناظر في البلد والمستولي على الدولة كأفور، والإمرة لعلّي إلى سنة خمس وخمسين"^(٣)، ثم تطور الامر الى منع كافور الناس من الاجتماع بعلي حتى تمرض ومات سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م، وحمل الى بيت المقدس ودفن عند أبيه الإخشيد وأخيه^(٤)، فاستولى كافور أبو المسك كافور الخايم السود الحبشي الأستاذ^(٥) الأخشيدي السُلطان^(٦)، صاحب مصر ولي إمرة دمشق بعد سيده الإخشيد محمد بن طغج بن جف^(٧)، وكان عبدا اسود اللون اشتراه أبو بكر محمد ابن طغج الإخشيد في سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م بمبلغ مقداره ١٨ دينار^(٨) وترقى عنده إلى أن جعله أتابك ولديه، وكان الحاكم الفعلي^(٩)، بعد وفاة الأمير علي سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م، استقل كافور بحكم مصر بعد رفضه تولية ابن الأمير علي

(١) النجوم الزاهرة، ج٣/ص٢٩٣.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣/ص٢٩٣.

(٣) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢١٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣/ص٣٢٥.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣/ص٣٢٦.

(٥) روى أن كافوراً لما غلب على ولد الأخشيد فاستبد بالأمور دونهم لم يخرج بذلك عن حد المدبر إلى المالك ولم يقم له على منبر دعوة ولا نقش باسمه سكة ولا اختار أن يخاطب إلا بالأستاذ فلم يسم في مدة أيامه بالأمير ولا بغيره مما يخاطب به من جرى مجراه. فإذا كان الأمر على هذا - ولا شك في صحته - فإن الأستاذ صار له بمنزلة اللقب الذي لا يجوز تغييره، (الحلي، سر الفصاحة، ص ١٤٩)

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤/ص٢٣١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ص١.

(٧) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٠/ص٥.

(٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤/ص١٠٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤/ص٢٣١.

(٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤/ص١٠٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤/ص٢٣١.

متحججا بصغر سنه، وادعى بتوليته من قبل الخليفة المطيع مظهراً الكتب والخلع التي أرسلها الخليفة العباسي، "وركب بالخلع يوم الثلاثاء لعشر خلون من صفر سنة خمس وخمسين وثلثمائة وكان وزيره أبا الفضل جعفر بن الفرات"^(١)، قال ابن تغري بردي يصف حالة مصر السياسية بعد وفاة الأمير علي، "وبقيت مصر من بعده أيّاماً بغير أمير، وكافور يدبّر أمرها على عادته في أيّام أولاد الإخشيد ومعه أبو الفضل جعفر بن الفرات. ثم ولي كافور إمرة مصر باتفاق أعيان الديار المصريّة وجندها"^(٢)، وخطب له على المنابر بالحجاز ومصر والشّام والثغور طرسوس والمصيصة^(٣)، وكان حسن التدبير وذو عقلية سياسية فاقت الأمراء الاخشيديون فقد "اتسع ملكه على ملك مولاه الإخشيد، خبيراً بالسياسة، فطنا، ذكياً، جيد العقل، داهية، كان يهادي المعز صاحب المغرب ويظهر ميله إليه، وكذا يذعن بطاعة بني العباس ويداري ويخدع هؤلاء وهؤلاء"^(٤)، توفي سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م، وقيل سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م، ودفن بالقرافة الصغرى، وقبته مشهورة هناك^(٥)، ونقش على قبره ابیات من الشعر :

ما بلل قبرك يا كافور منفردا بالصصح المرت بعد العسكر اللّجب

يدوس قبرك آحاد الرجال وقد كانت أسود الشرى تخشاك في الكتب^٦

وقال الوليد بن بكر العمريّ وجدت على قبر كافور مكتوباً:

انظر إلى عبر الأيّام ما صنعت أفنت أناساً بها كانوا وما فنيت
دنياهم ضحكت أيّام دولتهم حتّى إذا فنيت ناخنت لهم وبكت^(٧)

تولى حكم مصر بعد كافور أبو الفوارس أحمد بن علي بن محمد بن طغج، تولى الامارة وكان عمره إحدى عشرة سنة وسبعة أيّام، وكتب كتاباً، ذكره المقريزي، "الذي عقدته الجماعة وحلفت عليه بالأيّمان المؤكّدة، أن تكون أيديها واحدة، وألسنتها مؤتلفة، وقلوبها متّفقة، ونّيّاتها سليمة، على إثثار تقوى الله عزّ وجلّ فيما يحبّه، وطاعته وطاعة رسوله صلّى الله عليه وسلم،

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤/ص ١٠٠

(٢) النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٣٢٧

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٤/ص ٧٣١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٨/ص ١٠٥

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٨/ص ١٠٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤/ص ٤

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٨/ص ١٠٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤/ص ٤

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٨/ص ١٠٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤/ص ١٠

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤/ص ١٠

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحق، وإبطال السنن الجائرة، وإفاضة العدل، وإصلاح أمر الحرمين والثغور حرسهما الله تعالى، والقيام بالجهاد، وأن يكونوا إخوانا تلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه وحراسته في نفسه وماله وأهله وولده وسائر أسبابه، حتى لا ينتقض من ذلك شيء، وأن يكونوا أعوانا للمظلوم على الظالم، وتكون طاعتهم للأستاذ أبي المسك على ما لم تنزل عليه، وإن حدث به حادث الموت، المحتوم على عباد الله تعالى في جميع خلقه، كان الأمر في الإمارة مردودا إلى ولد الإخشيد رضي الله عنه، لا يخرج عنهم، وهو: الأمير أبو الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد مولى أمير المؤمنين، وكانت الجماعة على ما كانت عليه من مراتبها لا يغير منها ولا ينقص منها ولا يزال عن أعمال، وكان أبو الحسن شمول الإخشيدي على رسمه في تدبير الجيش، والغلمان من الإخشيدية، والرجال من الفرسان والرجالة والغلمان الكافورية على طبقاتهم، وكان الناظر في الأموال من ارتضت الجماعة به، وهو أبو الفضل جعفر بن الفضل غير معارض فيها، وقد حلفت الجماعة كلها، الإخشيدية والكافورية، على ذلك، ورضيت به وأشهدت الله على أنفسها، وكفى بالله شهيدا^(١)

في عهده كانت نهاية الإمارة الإخشيدية التي خلدها المصادر التاريخية بمزيد من التفصيل عندما توجهت جيوش الفاطميين إلى مصر بقيادة جوهر الصقلي بعد فرار جيوش الإخشيدين ودخوله في السادس عشر من شعبان سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، "فزالت دولة الإخشيد من مصر وانقطعت دعوة بني العباس منها، وكانت مدة إمارة أبي الفوارس سنة واحدة وثلاثة أشهر إلا ثلاثة أيام"^(٢)، قال الكندي "فدخل جوهر بعد عصر يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة. وخطب للمعز يوم الجمعة على المنابر بمصر في السنة، وجلس جوهر للمظالم وأحسن السير، وجاء المعز من المغرب إلى الديار المصرية، فدخل يوم الثلاثاء سادس رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة"^(٣).

التخليد السياسي في بلاد الشام:

تركزت مظاهر التخليد في بلاد الشام بالجانب السياسي والعسكري، ويعود السبب في ذلك على ما يبدو المدة القصيرة التي بقي فيها الأمراء الإخشيدون في الشام واهتمامهم بمصر كان أكبر لأنها مقر حكمهم فظهرت فيها مظاهر التخليد أكثر وضوحا، إلا أن لبلاد الشام الفضل في صعود واشتهار الأمراء الإخشيدين في الجانب السياسي لأنها كانت بدايتهم في تسلم المناصب

(١)المقفى الكبير، ج ١/ص ٣٢٧

(٢) المقريزي، المقفى الكبير، ج ١/ص ٣٢٩

(٣) الولاة والقضاة، ص ٢١٥

العليا في الخلافة العباسية فمن بلاد الشام حكموا ومنها اصبحوا امراء , فقد ولي **طغج بن جف** **الفرغاني** دمشق نيابة عن جيش بن خمارويه الطولوني, وبقي طغج بن جف على دمشق مدة أيام الخليفة المعتضد وأوائل أيام المكتفي إلى أن وليها بدر الحامي ومضى طغج بعد ذلك الى مصر , ثم توجه منها إلى العراق ومات بالحبس^(١), **اما محمد بن طغج بن جف** ولي إمارة دمشق مرتين, الاولى من قبل الخليفة المقتدر سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م وكانت ولايته ٣٢ يوماً , ثم وليها مرة أخرى ثم ولي مصر من قبل القاهر في شهر رمضان سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م , وخلدت وفاته في مدينة دمشق يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م وحمل تابوته من دمشق إلى القدس ودفن بها, **اما اناجور بن محمد بن طغج بن جف ابوالقاسم الاخشيد:** خلده المصادر التاريخية سنة ٣٣٥هـ/٩٤٧م حين قدم الى دمشق لقتال سيف الدولة بن حمدان , حين استولى الاخير على دمشق عند موت الإخشيد محمد, فالتقوا بقتلهم, ولم يظفر أحد بصاحبه, وفر سيف الدولة إلى الجزيرة وعاد الإخشيد الى دمشق بعد ما ملك حلب واستقر الامر بينهما وتصالحا فعاد سيف الدولة الى حلب, ومن امراء البيت الاخشيدي الذين اقتصررت امارتهم على الشام:

١- ابو الحسن عبيد الله بن طغج:

ولي دمشق في ايام الراضي خلافة عن اخيه ابي بكر محمد بن طغج بعد عزله اخاه الحسن بن طغج ثم عزله وولى غلامه بديرا وقد تقدم ومات عبيد الله بالرملة سنة ٣٣٣هـ/٩٤٥م^(٢).

٢- الحسن بن عبيد الله بن طغج الاخشيدي:

الحسن بن عبيد الله بن طغج, أبو محمد الإخشدي لي إمرة دمشق في شهر رجب سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م, وكان صاحب الرملة من بلاد الشام, توفي سنة ٣٧١هـ/٩٨١م^(٣).

وهو الذي مدحه أبو الطيب المتنبّي بقصيدته التي أولها^(٤):

ايا لائمي ان كنت وقت اللوائم علمت بما بي بين تلك المعالم

(١) ابن سعيد , المغرب في حلى المغرب, ص ٥

(٢) ابن عساكر , تاريخ دمشق , ج ٤٨/ص ٤٥٧.

(٣) الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج ١٦/ص ٢٢٣.

(٤) سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان , ج ١٧/ص ٤٠٢.

وقال في ملخصها^(١):

إذا صلت لم أترك مصالا لفاتك وإن قلت لم أترك مقالا لعالم
وإلا فخاننتني القوافي وعافني عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

ومنها:

أرى دون ما بين الفرات وبرقة ضرابا يمشى الخيل فوق الجماجم
وطعن غطاريف كأن أكفهم عرفن الردينيات قبل المعاصم
حمته على الأعداء من كل جانب سيوف بنى طغج بن جفّ القماقم
هم المحسنون الكرّ في حومة الوغى وأحسن منه كرّهم في المكارم
وهم يحسنون العفو عن كلّ مذنب ويحتملون الغرم عن كلّ غارم^(٢)

كان أبو محمد الحسن قد دعوا له على المنبر بعد الدعاء لابن عمه أبي الفوارس أحمد بن علي وهو بالشام، واستمر على ذلك إلى يوم الجمعة. لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، عندما دخلت قوات الفاطميين الرملة بقيادة جعفر بن فلاح، فأسر الحسن بن عبيد الله وسيره إلى مصر مع جملة من أمراء شام إلى القائد جوهر الذي بعث به مع جملة الأسرى إلى المعز بإفريقية^(٣)، مات سنة ٣٦١هـ/٩٧٢م.

سياسة الإخشيديين تجاه الامبراطورية البيزنطية في الثغور الشامية:

مثل الجهاد ضد الخطر البيزنطي الماثل على الثغور الشامية تحدياً من أكبر التحديات التي واجهت الدولة الإخشيدية، وإحدى أهم مظاهر تخليدهم، إذ طمع البيزنطيون في استعادة سيطرتهم على تلك المنطقة، وطرد المسلمين منها، خصوصاً بعد أن ساءت الأحوال في الثغور وكثرت الاضطرابات الداخلية بها نتيجة لضعف العباسيين وتراجع هيبة الخلافة، وتزايد سلطة القادة لعسكريين في السيطرة على مقاليد الأمور في العصر العباسي الثاني.

عمل الإخشيديون، بعد أن ثبتوا وجودهم ودعم مركزهم في مصر والشام، وأصبحوا قوة عسكرية مرهوبة الجانب، كان لها الأثر الأكبر في تغيير موازين القوى بين المسلمين والبيزنطيين

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤/ص ٢٢

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤/ص ٢٢

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج ١/ص ١٢٠

لصالح المسلمين. الأمر الذي أجبر البيزنطيين على الدخول في علاقة ودية مع الإخشيديين هادفين إلى أمن شوكتهم من ناحية، وإلى ضرب الحمدانيين من ناحية ثانية، وإلى إشغال الخلاف بين الإخشيديين والخلافة العباسية من ناحية ثالثة، وقد تنبه لإخشيدون إلى ذلك، وانتهجوا سياسة لتلافي تحقيق مآرب الدولة البيزنطية.

وقد حرص الإخشيدون منذ وقعت منطقة الثغور تحت سيطرتهم سنة (٣٢٣هـ / ٩٣٥م) على رد اعتداءات البيزنطيين عنها، لا سيما أن البيزنطيين لم يتوقفوا عن الإغارة عليها، وقد قاموا بذلك إما بأرسال القوات العسكرية، أو عن طريق مساعدة واليهم على منطقة الثغور ودعمه في مواجهة الدولة البيزنطية، أو من خلال دعم الحمدانيين والتصالح معهم ليتفرغوا لمواجهة البيزنطيين، ففي سنة (٣٣٠هـ / ٩٤١م) هجم الروم على الثغور، ووصلوا إلى قرب حلب ونهبوا البلاد، وخربوا فيها، وأسروا نحو خمسة عشر ألف أسير، فرد عليهم الإخشيدون في العام نفسه، إذ غزا واليهم نصر الثملي نائب طرسوس بلاد الروم فقتل وسبي، وغنم مغانم كثيرة، وأسر عددًا من بطارقتهم المشهورين^(١).

من أجل ذلك مال أهل طرسوس إلى الإخشيديين، بسبب تخاذل الحمدانيين عن حمايتهم واستيلاء سيف الدولة الحمداني على أموال اوقاف طرسوس وهي كانت موردا مهماً لأهل الثغر، فأعلنوا تبعيتهم لأنوجور الإخشيدي، وكان الخليفة العباسي المطيع لله قد كتب لأنوجور بن الإخشيد (٣٣٥-٤٦٦/٣٤٩-٩٦٠م) بأنه سيثبته على مصر، والإسكندرية، ولشام، وقبرص، في مقابل أن يحمل إليه مائة ألف دينار، ويحمل إلى طرسوس خمسة وعشرين ألف دينار سنوياً، ويوزع على المستحقين بيلاده مئتي ألف دينار^(٢).

لم يرسل انوجور وكافور شيئاً من المال إلى طرسوس فاستغل سيف الدولة الفرصة وراسل سكان طرسوس، وبالفعل تم الاتفاق على إعادة الدعوة لسيف الدولة مقابل رد الوقوف المقبوضة، فلما وصل إليهم المال دعوا إلى الجهاد، لكن ازداد الأمر سوءاً بانتشار الوباء والغلاء في طرسوس وبقي الثغور الشامية، حتى اضطر الناس إلى أكل دوابهم، وأكل الميتة^(٣)، وكان من نتيجة مهاجمة ملك الروم نففور فوكاس مدينة حلب سنة (٣٥١هـ / ٩٦٢م) عاصمة الحمدانيين واستولى عليها، ودخلها ولم ينج منها إلا قلعتها، وبقائهم في المدينة تسعة أيام عاثوا

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧/ص١١٢؛ المصري، طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، ص ١٢٦.

(٢) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٢٤٨.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧/ص ٢٣٧.

فيها فسادًا فسلبوا ونهبوا، وقتلوا نحو مائة وخمسين ألفا وجميع أسرى مسلمين، وقف سيف الدولة الحمداني عاجزًا عن صدهم^(١)، استتجد سيف الدولة بالإخشيديين في الشام، فلبوا طلبه بارسال والي دمشق ظالم بن السلال العقيلي لنجدة سيف لدولة، كما عمل الإخشيديون على مساعدة المجاهدين للوصول إلى طرسوس، فلما علم الروم ذلك انسحبوا من حلب. وسير سيف الدولة حاجبه في جيش من أهل طرسوس إلى بلاد الروم، فحققوا بعض الانتصارات، وهكذا أظفر التعاون بين لإخشيديين والحمدانيين على إجبار نقور فوكاس على الانسحاب من حلب والعودة إلى بلاده مهزومًا من المسلمين^(٢).

العلاقات الودية بين الإخشيديين والبيزنطيين:

على الرغم من قوة الإخشيديين ونجاحهم في التصدي للبيزنطيين في الثغور الشامية في كثير من الهجمات، فقد اضطروا إلى قبول المبادرات السلمية التي كانت تسعى لها الإمبراطورية البيزنطية، بسبب طمع ابن رائق في بلاد الشام من جهة، وصراعهم مع الحمدانيين من جهة أخرى، عندما طمعا في السيطرة على ممتلكات الإخشيديين في الشام والثغور الشامية، فضلا عن موقف الخلافة العباسية المتفرج وعدم تقديم المساعدات اللازمة للإخشيديين لمواجهة لخطر البيزنطي.

كان للجانب البيزنطي أيضا أسبابه التي دعتة للتحرك السلمي تجاه الإخشيديين في بعض الأحيان، ومن أهمها: إدراك البيزنطيين اهتمام الإخشيديين بما يجري في الثغور وعلى الحدود بين أملاك المسلمين وأملاك بيزنطة في آسيا الصغرى^(٣)، فضلا عن معرفة البيزنطيين بخبرة الإخشيديين في قتالهم منذ أن كانوا قادة وجنودا في الجيش الطولوني^(٤)، أضف لذلك أن البيزنطيين سعوا في صراعهم مع الحمدانيين عدوهم الخطير في الشام إلى تحييد الإخشيديين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

(١) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص ٩٧.

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص ٨٢؛ كاشف، مصر في عهد الإخشيديين، ص ٣٥٦.

(٣) كاشف، مصر في عهد الإخشيديين، ص ٣٥٥.

(٤) أرسله خمارويه في سنة ٢٨١هـ / ص ٨٩٤م لغزو البيزنطيين، فسار من طرسوس على رأس لجيش وتوغل في آسيا الصغرى، وهزم البيزنطيين في مواقع عدة عند أبواب قيليقية وفي غربها، وأدى انتصاره هذا إلى أن يزحف إلى عُمق الأراضي البيزنطية على امتداد الساحل، وأن يتوغل في جوف الأناضول حتى طرابزون على البحر الأسود، ثم عاد إلى دمشق محملاً بالغانائم، (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦/ ص ٤٨١؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٢/ ص ٦٠٠).

أدرك البيزنطيون نجاح الامير محمد الاخشيدي وأيقنوا من تثبيت ملكه وقوته، بادروا إلى تغيير سياستهم تجاه منطقة الثغور الشامية خوفاً وهيبة من هذه القوة، وكان يلي عرش الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت الإمبراطور رومانوس^(١) ليكابينوس lecapenus Romanus وكانت سياسته تجاه الثغور تستهدف تهدئة منطقة الثغور الشامية، لكي تستطيع الإمبراطورية البيزنطية تركيز قواتها لعسكرية في الثغور الجزرية، لذلك حرص الإمبراطور رومانوس على اقامة علاقة ودية مع محمد بن طغج الإخشيد الذي تقع الثغور الشامية تحت نفوذه المباشر، ليضمن حياد مصر ويتفرغ لمواجهة الحمدنيين، وكانت أولى مبادراتهم سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦-٩٣٧م)، عندما ارسل رومانوس رسالة مكتوبة باللغة الرومية بالذهب والترجمة العربية بالفضة مع رسوله نقولا وإسحاق لمحمد بن طغج مباشرة، مادحاً إياه متوددً إليه طالبا مهادنته وتبادل الأسرى بينهم وتنظيم الفداء، متخطيا بكل ذلك الخليفة العباسي^(٢).

أكرم الإخشيد رسل الإمبراطور وحملهم إليه هدايا من طرائف مصر، كما سمح لبعض أتباع الإمبراطور ببيع ما قدموا به من البضائع وابتياح ما أرادوه من منتجات مصر كما وافق الإخشيد على الهدنة واشترك مع الخلافة العباسية في دفع النفقات لازمة لفداء الأسرى، وجهاز المراكب الحربية في العام نفسه للسير إلى الثغور للفداء، بعد أن شحنها بنصارى الروم وأنفذ الثياب والطيب والطعام إلى أسرى المسلمين، وكان ذلك أول فداء بين الإخشيديين والبيزنطيين وقد تم في سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧-٩٣٨م) على نهر البندنون، وقدر عدد المسلمين الذين تم فداؤهم بنحو ستة آلاف وثلاثمائة^(٣).

وحصل فداء اخر ساهم فيه الاخشيدون سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م، وتكلم عنه المسعودي بقوله " في شهر ربيع الأول سنة ٣٣٥هـ والملك على الروم قسطنطين وكان القيم به نصر الثملي أمير الثغور الشامية... وكان عدة من فودى به من المسلمين ألفين وأربعمائة واثنين وثمانين من ذكر وأنثى وفضل للروم على المسلمين قرضا مائتان وثلاثون، لكثرة من كان في أيديهم... وكان الذي شرع في هذا الفداء وابتدأ به الاخشيد محمد بن طغج أمير مصر والشام والثغور الشامية، وكان

(١) رومانوس الشيخ ملك الروم ، تولى الحكم سنة ٣٠٧هـ، تمرد عليه ولداه أصطفان وقسطنطين وخواصهما، وأخرجاه من البلاط على أقبح صورة وأساء حال، سنة ٣٣٣هـ، وسيراه في المراكب إلى الجزيرة المعروفة بالأبروتي، أي الأولى، ورهباه فيها. وكان مدة ملك رومانوس ست وعشرين سنة، (الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص ٥٠)

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٧/ص ١٠.

(٣) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ١٦٤؛ كاشف، مصر في عهد الاخشيديين، ص ٣٥٥، عباس، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، ص ٢٥٠.

أبو عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي الأذني شيخ الثغر والمنظور اليه منهم قدم اليه الى دمشق في ذي الحجة سنة ٣٣٤ ونحن يومئذ بها ومعه يوانس الانسيبوس البطريقوس المسدقوس المترهب، رسول ملك الروم في إتمام هذا الفداء، وكان ذا رأى وفهم بأخبار ملوك اليونانيين والروم، ومن كان في أعصارهم من الفلاسفة، وقد أشرف على شيء من آرائهم والإخشيد حينئذ شديد العلة فتوفى يوم الجمعة لثمان خلون من ذي الحجة من هذه السنة وسار أبو المسك كافور الإخشيدى بالجيش راجعا الى مصر، وحمل معه أبا عمير والمسدقوس الى بلاد فلسطين، فدفع اليهما ثلاثين ألف دينار من مال هذا الفداء، وصارا الى مدينة صور فركبا في البحر الى طرسوس فإلى ما وصلا اليها كاتب نصر الثملي أمير الثغور الشامية أبا الحسن بن حمدان ودعا له على منابر الثغور الشامية، فجد في إتمام هذا الفداء فعرف به ونسب اليه^(١)

ان ما دفع الإخشيديين لقبوله هو طمع الحمدانيين في السيطرة على الشام بعد استيلاء سيف الدولة الحمداني على قنسرين والثغور الشامية وحمص وأنطاكية ووصله إلى حلب سنة (٣٣٣هـ / ٩٤٤م)، واقامته الدعوة للخليفة المستكفي ولأخيه ناصر الدولة ولنفسه^(٢)، بالإضافة إلى موقف الخلافة العباسية الضعيف، فعندما لجأ لإخشيدي إلى الخليفة العباسي المستكفي، وشكا له ما أقدم عليه الأمير الحمداني، وحتى يهدئ من روع الإخشيد ويعبر له عن ثقته به أرسل الخليفة الخلع النفيسة له ولابنه أنوجور^(٣)، لما توفي الإخشيد دون إتمام الفداء أسرع كافور في إتمامه ليتفرغ للحمدانيين الذين هاجموا دمشق^(٤).

لقد أدرك الإخشيد ببعد نظره، وحكمته السياسية، أن الحمدانيين نظروا إلى بلاد الشام، وبخاصة منطقتها الشمالية وثغورها، على أنها مجالهم الحيوي، ولا يمكنهم أن يتخلوا عنه لذلك رحب بفكرة أن تظل دولة الحمدانيين دولة حاضرة بينه وبين البيزنطيين تكفيه مئونة التعرض لهجومهم من وقت لآخر، لذلك وافق على معاهدة صلح معهم سنة (٣٣٤هـ / ٩٤٦م) تقضي بأن يكون لسيف الدولة حلب وما يليها من بلاد الشام شمالاً اعتباراً من جوسية إلى حمص بما في ذلك حلب وحمص وحماة نطاكية، وأن تكون دمشق وما يتبعها للإخشيد على أن يدفع جزية سنوية لسيف الدولة عن دمشق، كما تزوج سيف الدولة بابنة أخي الإخشيد عبيد الله بن طغج،

(١) التنبية والإشراف، ص ١٦٥.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١/ص ١٩٣.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١/ص ١٦٧.

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج ١/ص ٧٠.

ونثر سيف الدولة الدراهم في مضربه للحاضرين، وقدرت بنحو ثلاثين ألف دينار كما نثر خارج البيت أربعمئة ألف درهم^(١).

سار كافور في سياسته مع الحمدنيين على نهج أستاذه وسيده الإخشيد، فبعد أن تم فداء الأسرى مع البيزنطيين، تفرغ لمواجهة الحمدانيين، واستطاع إخراجهم من دمشق وكان سيف الدولة قد استولى عليها، وقد لخص أبو الفداء الأحداث العسكرية التي دارت بين الطرفين وانتهت بعقد صلح بقوله "لما مات الإخشيد سار كافور بعساكر مولاه إلى مصر من دمشق...وخلت دمشق من العسكر، فطمع فيها سيف الدولة وسار إليها فملكها...وأقام سيف الدولة بدمشق، يجبي خراجها...وجعل سيف الدولة يطالب أهل دمشق بودائع الإخشيد وأسبابه، فكانتوا كافوراً فخرج في العساكر المصرية، ومعه أنوجور بن الإخشيد...ونشبت الحرب، فقتل من أصحابه خلق وأسر كذلك وانهزم سيف الدولة إلى دمشق، فأخذ والدته ومن كان بها من أهله وأسبابه، وسار من حيث لم يعلم أهل دمشق بالواقعة، وإن ذلك في جمادى الآخرة سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م، وجاء سيف الدولة إلى حمص وجمع جمعاً، لم يجتمع له قط مثله من بني عقيل وبني نمير وبني كلب وبني كلاب، وخرج من حمص، وخرجت عسكر ابن طغج من دمشق، فالتقوا بمرج عذراء وكانت الواقعة أولاً لسيف الدولة ثم آخرها عليه، فانهزم، وملكوا سواده، وتقطع أصحابه في ذلك البلد، فهلكوا، وتبعوه إلى حلب، فعبّر إلى الرقة، وانحاز يانس المؤنسي من عسكر سيف الدولة إلى أنطاكية، ووصل ابن الإخشيد حلب في ذي الحجة سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م فأقام بها سيف الدولة في الرقة فراسل أنوجور يانس المؤنسي وهو بأنطاكية، وضمن هو وكافور ليانس أن يجعله بحلب في مقابلة سيف الدولة، وضمن لهما يانس بأن يقوم في وجه سيف الدولة بحلب وأن يعطيهم ولده رهينة على ذلك فأجابوه، وانصرف كافور وأنوجور بالعسكر عن حلب إلى القبلية وأتاها يانس فتسلمها. وقيل: إن الإخشيدية عادوا، وأقام سيف الدولة بحلب، فحالف عليه يانس والساحية، وأرادوا القبض عليه، فهرب هو وأصحابه إلى الرقة، وملك يانس حلب... ثم إن الرسل ترددت بين سيف الدولة وابن الإخشيد وتجدد الصلح بينهما على القاعدة التي كانت بينه وبين أبيه، دون المال المحمول عن دمشق"^(٢)، وبذلك يكون قد وضع الحمدانيين حاجزا بينه وبين البيزنطيين، وتفرغ في الوقت نفسه لمواجهة المشكلات الداخلية في مصر والشام^(٣).

(١) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٢٥/ص ٢٤؛ سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج ١٧/ص ٢٢٥.

(٢) ابن شاهنشاه بن أيوب، اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، ص ١٩.

(٣) زيود، العلاقات بين مصر والشام، ص ٣١٦.

٣- التخليد العسكري

الجيش الإخشيدي وتكوينه:

عرفت مصر في عهد الدولة الإخشيدية نظاماً حربياً دقيقاً يشبه النظام المتبع في جيوش الخلافة العباس وكان تعداد جيش الإخشيد قد بلغ اربعمائة ألف مقاتل في مصر والشام، وأن هذا الجيش كان يتألف من الترك والمغاربة والمماليك ومن أهل مصر والشام ، عدا فرقة الحراسة الخاصة بالأمرير الاخشيدي وكان تعدادهم ثمانية آلاف، وبعد تولى كافور أمر مصر فقد ضم إلى جيشه عدداً كبيراً من السودانيين^(١) ، وكان هذا الجيش الذي أعتمد عليه محمد بن طغج ومن بعده كافور الإخشيدي من توطيد اركان الدولة الاخشيدية وتوسيع إرجائها، واستطاع محمد الاخشيد أن يبسط نفوذه على عناصر الجيش بالقدر الذي يريد^(٢)، كان محمد بن طغج وكافور يسيطران على قوات الجيش ويسيرانه حسب رغبتهما ، وبعد وفاتهما وافتقار البيت الإخشيدي إلى شخصية قوية قيادية، أدى إلى انتشار الفوضى في صفوف هذا الجيش انتشاراً كبيراً ، وثار كثير من الجند على رؤسائهم وطالبوا بأرزاقهم ، وكان من اثر ذلك أن ضعف هذا الجيش وأصبح الطريق مفتوح أمام الفاطميين للاستيلاء على مصر^(٣)، قال المقرئزي، "ثم مات كافور فكثرت الاضطراب تعددت الفتن وكانت حروب كثيرة بين الجند والأمراء قتل فيها خلق كثير انتهت أسواق البلد وأحرقت مواضع عديدة فاشتد خوف الناس وضاعت الأموال ارتفع السعر وتعذر وجود الأقوات حتى بيع القمح كل وبه بدينار واختلف لعسكر فلحق الكثير منهم بالحسن بن عبيد الله بن طغج وهو يومئذ بالرملة وكاتب كثير منهم المعز لدين الله الفاطمي"^(٤)

كان الجيش الاخشيدي يضم إلى جانب الجند، الإدلاء الذين كانوا يصحبون العسكر إلى جبهات القتال لإرشادهم إلى أفضل الطرق التي توصلهم إلى غايتهم^(٥)، بالإضافة إلى العيون والجواسيس الذين كانوا يوزعون على الطرقات لجمع معلومات عن تحركات العدو، وكان يضم عدداً من الحرفيين المهرة والصناع والنجارين، والحجارين، لتمهيد الطرق وإصلاح الجسور أو بنائها، وحفر الخنادق أو ردمها، ونصب المعدات الحربية، كالمنجنيق و الدبابات وقاذفات

(١) المقرئزي، الخطط، ج٢/ص ٩٤.

(٢) متر ، الحضارة الاسلامية، ج ١/ص ٥٢.

(٣) متر ، الحضارة الاسلامية، ج١، ص ٥٣.

(٤) اغاثة الامة، ص ١٣.

(٥) سليمان، الجيش والقتال في صر الاسلام، ص ١١٨.

النفط، وكذلك بناء المسكرات والأسوار في الأماكن العسكرية وفي الثغور^(١)، كما كان يضم الشعراء و القصاص والخطباء والقراء الذين كان لهم دور بارز في رفع معنويات المقاتلين ، وتحريضهم على القتال ، كما اشتمل على عدد من الأطباء لمعالجة الجرحى^(٢).

قيادة الجيش:

إمرة الجيش في العهد الإخشيدي كانت في الغالب للأمير الاخشيدي وهو القائد الأعلى للبلاد ، وكان الإخشيد يخرج على رأس جيشه للقتال، مثلما حدث عند قتاله لابن رائق في سنة ٩٢٨هـ/٩٢٩م فقد التقى بابن رائق عند فرما ، وقد وقعت بينهما مناوشات^(٣)، وبعد معارك بين الطرفين تم الصلح بينهما، وبموت ابن رائق في سنة ٩٣٠هـ/٩٤١م نجد أن الإخشيد يخرج على رأس جيشه لإعادة دمشق إلى أملاك دولة الإخشيدية فدخلها وأقام بها مدة ثم عاد إلى الديار المصرية^(٤)، ولما ساءت العلاقات بينه وبين سيف الدولة الحمداني سنة ٩٣٢هـ/٩٤٣م خرج الإخشيد على رأس جيش كبير وسار حتى التقى بسيف الدولة الحمداني عند قنسرين^(٥)، كان الامير الاخشيدي في بعض الاوقات ينيب عنه أحد أمرائه أو أحد قواد، فقد كان الحسن الإخشيد من كبار القواد ذوى الخبرة والشجاعة، ففي سنة ٣٢٤هـ سار ومعه القائد صالح بن نفع إلى الإسكندرية لقتال جيش مغاربة الفاطميين^(٦)، وكان ايضا أخوه أبو النصر حسين بن طغج من قواد الإخشيد ، وكان على رأس جنده في الشام حين باغتهم ابن رائق وقتل أبو نصر الحسين في سنة ٩٣٨هـ/٩٣٩م^(٧)، إما في عهد انجور فقد خرج لقيادة الجيش بنفسه عندما أغار سيف دولة الحمداني على الشام واستولى على دمشق في سنة ٩٣٥هـ /٩٤٦م، والتقى هذا الجيش مع سيف الدولة الحمداني عند الرملة وانتصروا عليه^(٨)، أما في عهد على بن الإخشيد فكان كافور هو الامير وقائد الجيش والمدبر لكل أمور الدولة ، أما في عهد أبو الفوارس فقد كان الحسن بن طغج و الوزير جعفر بن الفرات هما المدبران لكل أمور الدولة^(٩)

(١) الدينوري، الاخبار الطوال، ص ١٢٧.

(٢) الالوسي، تفريج الكروب في تدبير الحروب، ص ١٧.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج ٤/ص ٣١٣.

(٤) ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٢٥٢.

(٥) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ٤٣.

(٦) كاشف ومحمود، مصر في عهد الطولونيين والاششيديين، ص ١٦٩.

(٧) محمود، مصر في العصور الوسطى، ص ١٥٢.

(٨) كاشف ومحمود ، مصر في عهد الطولونيين والاششيديين، ص ١٧٠.

(٩) ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، ج ٤/ص ٢٩.

أسلحة الجيش :

استخدموا السيوف والقسي والرماح والنشاب والسهم وأقواس الركاب التي تشد في ركاب الخيل^(١)، كما استخدموا ما يسمى باللتوت وهي أعمدة ذات رؤوس مدورة مضرسه والطبر أو الطبرزين وهي الفأس والدق أو المجن وهي الترس لمطية وتستعمل لانتقاء ضربات العدو وسهامه، وهي مغطاة بجلد ألامط وهو حيوان يعيش في الصحراء ، كذلك لبسوا الخوذات أو البيضات الحديدية لحماية رؤوسهم^(٢)، كما لبسوا الجواشن التي تحمي صدورهم ، والدروع المسبلة ذات لمغافر الملمة التي تعطى جميع أجزاء الجسم .

وكان الراجلة في الجيش الاخشيدي يتسلحون بالدروع و السيوف والرماح ، اما الفرسان فقد تسلحوا الدروع والسيوف والقسي والسهم ، كذلك استخدم الإخشيدون المنجنيق وهو من هم الأسلحة الثقيلة والمدمرة^(٣)، ومن الأسلحة التي استخدمها الإخشيدون الدبابة ، وهي على هيئة برج ربع من الخشب مغلقة باللبود والجلود المنقوعة بالخل كي لا تحترق ، وتثبت على قاعدة خشبية لها عجلات ، فإذا أراد المحاربون العمل بها وضعوها أمامهم متخذين منها درعا يقيهم سهام الأعداء وحجارتهم ، وأدخلوا في جوفها ودفعوها هم بداخلها حتى يصلوا إلى جدار الحصن ، ليحدثوا فيه ثغرات أو ينقبونها بما يحملونه من أدوات ، وقد استخدم الإخشيدون الأبراج وسلالم الحصار وألحسك شائكة، وهو قطع من الحديد أو الخشب لها عدة شعب يقي منها سن مرتفع فما وقعت على الأرض وتطرح حول المعسكرات لعرقلة خيل الأعداء إنشاء تقدمها أو تسلها ليلاً^(٤)، و من الاسلحة التي استخدمها الإخشيدون في حروبهم الأسلحة الكيميائية استخدموا النفط الذي كان يتألف من مواد سريعة الالتهاب مثل الكبريت والنفط بعض الراتجات والدهان على هيئة سائل يطلق من اسطوانة نحاسية مستطيلة و على شكل كرات مشتعلة أو قطع من الكتان المشبع بالنفط ، أو ملأ به قدور خزفية في حجم ثمرة الرمان وشكلها ، تعرف بقوارير أو حل النفط^(٥)، واستعملوا الكفيات وهي عبارة عن قدور ومانية الشكل كانت تحشى النورة و النشادر و البول عرفت باسم الكفيات ، لأنها تلقى على العدو بكف اليد، إذا اصطدمت

(١) زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج ١/ص ١٧٦.

(٢) الشطشاط، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية، ص ١٣٢.

(٣) حسن، النظم الاسلامية، ص ١٩٦.

(٤) عون، الفن الحربي، في صدر الاسلام، ص ١٧٦.

(٥) زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ص ١٩٢.

بأجساد الجند المدرعة بالحديد ، أنفجرت وخرجت رائحتها فتحدث اختناقاً^(١) ، أما اللواء وهو العلم فكان يمسكه قائد الجيش^(٢) .

البحرية في مصر في عهد الدولة الاخشيدية:

عندما تقلد محمد بن طغج إمارة مصر , دخل مصر ومعه أسطول بقيادة صاعد بن الكلکم , وقد دخل هذا الأسطول ثغر دمياط وسارت سفنه في النيل بعد أن هزمت السفن المصرية في شعبان سنة ٣٣٢هـ/٩٣٤م , ووصل الأسطول إلى جزيرة الروضة واستولى على ما فيها من السفن^(٣), على أن هذا الأسطول الذي جاء مع محمد بن طغج لم يستمر, أذ أن حباسة بن أحمد السلمي تقدم بقواته المغربية في سنة ٣٢٤هـ/٩٤٦م واستولى على الفيوم, كما استولى على أسطول ابن طغج هناك وقتل اميره صاعد بن الكلکم وبعضاً من رجاله, واحرق الفاطميون دار صناعة السفن في الروضة فقام لإخشيدي ببناء دار أخرى بعيداً عن الروضة^(٤)

أهم القواعد البحرية في مصر ودار صناعة السفن في العهد الإخشيدي :-

أ- الإسكندرية:

أنشأ فيها دار كبرى لصناعة السفن التجارية والحربية^(٥), عندما دخلت الإسكندرية في طاعة العباسيين حرص الولاة العباسيون في مصر على مواصلة الاهتمام بقاعدة الإسكندرية البحرية التي أصبحت قاعدة رئيسية للعمليات العسكرية, واحتفظت الإسكندرية في العصر الطولوني بأهميتها كأكبر قاعدة بحرية في مصر, وقد أولوها أهمية كبرى وبدأ الصناعة حتى تزيد في إنتاج السفن لشدة حاجة إلى أسطول قوى يحمى سواحل بلاده , ويحافظ بفضله على طرق الاتصال البحري بين الشام ومصر^(٦), أما في عهد الإخشيديين فقد أهتموا بهذا الثغر كثيراً , وعملوا على تعمير إسكندرية وربطها بالنيل تدعيماً لتجارتها البحري في الخارج و النهرية في داخل^(٧)

ب- دمياط:

(١) الجنابي, تنظيمات الجيش العربي, ص ١٥٥.

(٢) عون, الفن الحربي في صدر الاسلام, ص ١٧٩.

(٣) المقرئ, الخطط, ج ١/ص ١٨٩.

(٤) السيوطي, حسن المحاضرة, ج ٢/ص ١٩٩.

(٥) ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج ١/ص ٢٣٦.

(٦) سالم, تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي, ص ١٢١.

(٧) ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة, ج ٣/ص ٣٢٩.

تعد دمياط من القواعد البحرية المهمة في مصر في العصور الإسلامية، لوقوعها على البحر المتوسط من جهة وعند مصب الفرع الشرقي للنيل الذي سمي باسمها من الجهة الثانية ، وكان من مزايا هذا الموقع المزدوج أن أصبحت تجمع بين التجارة الداخلية عبر النيل ، والتجارة الخارجية مع الأقطار لمطة على حوض البحر المتوسط^(١) وكانت ترسو بها السفن القادمة من المغرب بحداء الساحل الشمالي إفريقية ، كما كانت تربط ارتباطاً بحرياً بتغور الشام وعلى الأخص صيدا ، وفي سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م، أمر المتوكل على الله العباس ببناء حصن دمياط^(٢).

ت- تنيس :

جزيرة كبيرة تقع وسط الماء منكور الخليج ، تربط البحر المتوسط بنهر النيل ولقد كانت السفن تركب من تنيس إلى الفرما وهي على ساحل البحر ، وقد كانت من الحصون المهمة التي تربط بين التجارة الداخلية والخارجية ، وقد بني فيها المتوكل على الله حصناً في سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م.

ث- الفرما :

والفرما مدينة على شط بحيرة تنيس ، وهي مدينة خصبة ، اشتهرت بالتجارة ، وقد أمر المتوكل في سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م ببناء حصن عليها^(٣).

ج- القلزم :

وهي بلدة تقع على ساحل بحر اليمن في أقصاه من جهة مصر وهي كورة من كور مصر واليها ينسب بحر القلزم^(٤)، وكانت تحمل منها الحمولات إلى الحجاز واليمن، ولقد كان التجار يركبون بحر الغربي ويتجهون نحو الفرما ، ثم يحملون تجارتهم إلى القلزم ، وبينهما خمسة وعشرون فرسخاً ، ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم في اتجاه جدة ثم إلى السند والهند والصين^(٥) ، وقد بني فيها المتوكل حصناً على البحر في سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م^(١)

(١) الشيال، مجمل تاريخ دمياط، ص ١٠.

(٢) المقرئزي، الخطط، ج ١/ ص ٣١١-٣٧٢.

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ١/ ص ٢١٢.

(٤) الشيال، ، مجمل تاريخ، ص، ١٣.

(٥) المقرئزي، الخطط، ج ١/ ص ٢١٢.

دار صناعة السفن في عهد الإخشيديين:

لما تقلد الاخشيدي إمارة مصر دخل البلاد وأقبل معه أسطول بقيادة صاعد ابن كلكم فدخل تنيس وسارت مقدّمته في البر، ودخل صاعد دمياط وسار فهزم جيش مصر الذي جهزه أحمد بن كيغلغ إليه ، وأقبل في مراكبه إلى الفسطاط، فكان بالجزيرة، وقدم محمد بن طفج وتسلم البلد لست بقين من رمضان سنة ٣٢٣هـ/٩٥٣م وفرّ منه جماعة إلى الفيوم، فخرج إليهم صاعد بن الكلّم في مراكبه وواقعهم بالفيوم، فقتل في عدّة من أصحابه، وقدمت الجماعة في مراكب ابن كلّم فأرسوا بجزيرة الصناعة وحرقوها، ثم مضوا إلى الإسكندرية وساروا إلى برقة فقال محمد بن طفج الصناعة هنا خطأ وأمر بعمل صناعة في برّ مصر^(١)، وحكى ابن زولاق في سيرة محمد بن طفج أنه قال: اذكر أنني كنت أكل مع أبي منصور تكين أمير مصر، وجرى ذكر الصناعة فقال تكين: صناعة يكون بيننا وبينها بحر خطأ، فأشارت الجماعة بنقلها فقال: إلى أي موضع؟ فأردت أن أشير عليه بدار خديجة بنت الفتح بن خاقان، ثم سكت وقلت أدع هذا الرأي لنفي إذا ملكت مصر، فبلغت ذلك والحمد لله وحده. ولما أخذ محمد بن طفج دار خديجة كان يتردّد إليها حتى عملت، فلما ابتدءوا بإنشاء المراكب فيها صاحت به امرأة فقال: خذوها، فساروا بها إلى داره، فأحضرها مسار واستخبرها عن أمرها فقالت: ابعث معي من يحمل المال، فأرسل معها جماعة إلى دار خديجة هذه، فدلّتهم على مكان استخرجوا منه عينا وورقا وحليا وثيابا وعدّة ذخائر لم ير مثلهما، وصاروا بها إلى محمد بن طفج، فطلب المرأة ليكافأها على ما كان منها فلم توجد، فكان هذا أول مال وصل إلى محمد بن طفج بمصر. قال: واستدعى محمد بن طفج الإخشيد صالح بن نافع وقال له: كان في نفسي إذا ملكت مصر أن أجعل صناعة العمارة في دار ابنة الفتح، وأجعل موضع الصناعة من الجزيرة بستانا أسميه المختار^(٢)، وكان نقل الصناعة من الجزيرة إلى ساحل النيل بمصر في شعبان ٣٢٥هـ/٩٣٧م ، وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس، لها وال وقاض، وكان يقال القاهرة ومصر والجزيرة، فلما كانت أيام استيلاء الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدرا الجمالي، وحجره على الخلفاء، أنشأ في بحريّ الجزيرة مكانا نزها سماه الروضة، وتردّد إليها تردّدا كثيرا، فكان يسير في العشاريات الموكبات من دار الملك التي كانت سكنه بمصر، إلى الروضة. ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة^(٤).

قد تعدت أنواع السفن في الأسطول المصري وتنوعت، وأهم هذه القطع مايلي: .

(١) فهمي، التنظيم البحري الاسلامي في شرق المتوسط، ص ١٤٠.

(٢) المقرئزي، الخطط، ج ٣/ص ٣١٨ .

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ٣/ص ٣١٨.

(٤) المقرئزي، الخطط، ج ٣/ص ٣١٩.

أ- الشواني الحربية:

الشواني جمع شيني أو شينة أو شونة ، وكانت أهم قطع الأسطول وكانت تعرف بالأغربة أو الغربان ، لأنها تطلّى بالقار ولها قلوب بيضاء^(١)، والشيني عبارة عن مركب كبير طويل ، يمتاز بأنه يجدف بمائة وأربعين مجداف، حمل المقاتلين والجذافين ، وكان مزوداً بأبراج وقلاع تستخدم للدفاع والهجوم^(٢)

ب- الحرايق:

جمع حراقة وهي مراكب حربية يعبر أسمها عن وظيفتها في إحراق سفن العدو بالنفط^(٣)

ت- الحرابي أو الحربيات:

جمع حربية وهي نوع من الشواني ولكنها أصغر منها حجماً ، وتمتاز هذه لمراكب بسرعتها وخفة حركتها^(٤) .

ث- الطرائد:

جمع طريدة وهي سفن كانت مخصصة لحمل الخيل ، وتوسع الطريده الواحدة لحمل أربعين فرساً ، وكانت تفتح من الخلف حتى يتيسر للخيل أن تصعد الى ظهرها ، أو تنزل إلى اليابسة ، وكذلك تستخدم لنقل المقاتلين والمؤن والسلاح^(٥) .

ج- الشلنديات :

جمع شلندي ثم خففت إلى صندل، وهي سفن كبيرة الحجم ، شديدة لأتساع ، وكانت تستخدم لنقل الركاب والسلع^(٦) .

ح- المسطحات:

(١) خانكي، البحرية المصرية، ص ١٢٤.

(٢) الشطاط ، الحضارة الاسلامية، ص ١٦٦.

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ٣/ ص ٣٤٠.

(٤) الشطاط ، الحضارة الاسلامية، ١٤٩.

(٥) مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٨، ص ٣١٩.

(٦) دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ج ٦/ ص ٣٤٩.

جمع مسطح وهي مراكب ضخمة مسطحة كانت تحمل الأسلحة للأسطول ، كانت تعرف في الأندلس بالمراكب الحمالة^(١) .

خ- المركب المسمى بالغيطاني والمركب المسمى بالعجزي:

هما مركبان عظيمان صنعا بدار صناعة مصر ، كانا يحملان المسافرين والأموال^(٢)، أما المراكب التجارية فمنها الشوانى جمع شونة ، وكانت تستخدم لحمل الغلال ، إذ إنها تشتمل على مخازن لحفظ غلال وصهاري لحفظ الشراب ، ومنها المراكب السريعة لنقل الركاب من بلد الى آخر^(٣)

أما السفن النيلية فأهمها العشاريات جمع عشارى ، وكانت تستخدم لنقل الغلال والحطب ، أو لنزهة الخلفاء وكبار القوم ، إذ كانوا يركبونها في الأعياد والمناسبات الخاصة بالدولة^(٤)، أما عن المراكب التي كانوا ينتقلون بها عبر البحر الأحمر إلى سواحل بحر جدة ما بين آيلة وعيذاب ، أو ما بين عيذاب والبحر الحبشي ، فقد استخدموا سفناً تسمى الجلاب أو الجلبات جمع جلببة^(٥)

٣- التخليد الإداري

تنظيم الدواوين والإدارة

أ- الوزارة:

يعد الوزير الرئيس الأعلى للسلطة الإدارية في مصر في عهد الدولة الإخشيدية ، فقد كان للأمراء الإخشيديين وزراء يعاونوهم في إدارة شؤون دولتهم، ويبدو أنهم كانوا وزراء تنفيذ بمعنى أنهم كانوا ذوي سلطة محدودة ، وكانت مهمتهم لا تتعدى تنفيذ رغبات الأمراء الإخشيديين^(١)، وكان للعامل السياسي الذي قام به هؤلاء الوزراء جانباً مهماً في تخليد الأمراء الإخشيديين.

(١) دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ج٦/ص٧٢.

(٢) ماهر ، البحرية في مصر الاسلامية، ص٣٢٨.

(٣) الشطشاط، الحضارة الاسلامية، ص١٦٦.

(٤) المقرئزي، الخطط، ج٢/ص٣٠٢.

(٥) ماهر، البحرية في مصر الاسلامية، ص١٩٦.

(٦) ابن خلدون ، المقدمة، ص٢٠٩.

ومن أشهر هؤلاء الوزراء الوزير أبوبكر محمد بن علي الماذرائي الذي أستوزره محمد بن طغج الإخشيدي في رجب سنة (٣٢٨هـ / ٩٣٩م) ، وعهد إليه بتدبير شئون الدولة ، وقد ظل في الوزارة طوال حكم الامير محمد الإخشيد و أنجور تقريبا ، وإن كان قد أبعد عنها أحيانا كما حدث في سنة (٣٣١هـ / ٩٤٢م) عندما قبض عليه الإخشيد وعلى ابنه الحسين ، وكذلك في سنة (٣٣٢هـ / ٩٤٢م) عندما قبض عليه الإخشيد مرة ثانية وصادر جزءا من أملاكه وأخذ معه إلى الشام ، وكذلك في أواخر حياته عندما أبعد عن منصبة حتى وفاته في سنة، (٣٤٥هـ - ٩٦٥م)^(١)، ومن مظاهر التخليد في عهد الوزير الماذرائي دوره السياسي في تعيين الأمراء الإخشيديون عندما اشترك في الاجتماع الذي عقده الاعيان بعد وفاة الامير محمد الإخشيد^(٢)

وهناك ظاهرة مهمة تاريخياً خلدت الأمراء الإخشيديين وهي طريقة معاملتهم وزرائهم اثناء انزال عقوبة بهم او محاسبتهم ، فقد أعد الإخشيد دار أسرف في تزيينها وتأثيثها وزودها بكل ما يحتاج إليه من ملابس وطيب وطرائف ومأكول ومشارب، يعتقل فيه الوزير المعاقب، وقد وضع فيه أبو بكر الماذرائي^(٣)، وقد سُئل الإخشيد لماذا فعل ذلك كله للماذرائي ؟ قال: " هذا ملك وأردت الا يحتقر بشئ لنا ولا يطلب حاجة إلا وجدها ^(٤) ، هذا النص يتبين أن هذا الوزير كان يعامل معاملة الملوك والأمراء ، ويراعي جانبه حتى عند إنزال عقوبة السجن عليه ، وهذا يبين مدى المكانة التي كان يتمتع بها الوزراء في العهد الإخشيدي ، ويوضح علاقة الاحترام والتقدير التي يحضي بها موظفو الدولة الإخشيدية من قبل الحكومة أو لأمراء الإخشيديون ،

ب- البريد:

وقد أهتم الإخشيديون بالبريد ، وأولوه عناية خاصة لما له من أهمية كبرى في حفظ الأمن والاستقرار في البلاد وذلك عن طريق الإخبار التي تصل من صاحب البريد لدار الإمارة ، عن وجود أي خلل أو إضطرابات في إحدى كور مصر أو الأقاليم الواقعة تحت سلطة الإخشيديين أو الأخبار التي ترد من دار أخلافة ، ولذلك نجد الإخشيديين يوزعون العيون

(١) حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣/ص ٢١٦.

(٢) ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب،ص ٣٩.

(٣) علي بن أحمد أبو الحسن الماذرائي الكاتب أصله من أهل العراق وكتب للطولونية بمصر وقدم دمشق مع

أبي الجيش خماروية بن طولون،(ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤١/ص ٢٤٠).

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج ٣/ص ٩٩.

والجواسيس على طرق البريد لضمانهم إحاطتهم بجميع الأخبار في الوقت المناسب لاتخاذ التدابير المناسبة^(١)

وقد أتبع الإخشيدون نظاماً متطوراً في البريد فقد عرفوا الحمام الزاجل، واستخدموه كوسيلة سريعة لنقل الرسائل ، فقد ذكر مسكويه عند كلامه عن حوادث سنة (٣٢٨ هـ / ٩٢٩ م) أن البريديين كانوا يستخدمون الحمام الزاجل في البريد لنقل الرسائل في مصر^(٢).

ت- القضاء:

أولى الأمراء الاخشيدون إهتماماً جدياً في تحسين صورة القضاء من اجل تخليدهم في مجال العدالة الإنسانية, أي أن منصب القضاء أصبح كمنصب الولاية والإمارة ، لا يكتفي فيه بعهد الخليفة أو من يفوض إليه الخليفة هذا الأمر بل يبقى على القاضي الجديد قبل أن يتمكن من مباشرة عمله أن يرضي عنه الأمير الإخشيدي^(٣) ، فالإخشيد أستطاع أن يتحدى قاضي قضاة بغداد وهو المفوض من قبل الخليفة في تعيين قضاة مصر، وتبعه في ذلك الأمراء الإخشيدون^(٤) وكان القضاة عندما يتسلمون عملهم يلبسون السواد شعار العباسيين، ويركبون إلى الجامع العتيق في موكب من الشهود وأصحاب الشرطة ووجوه أهل البلاد ، وكان يقرأ عهد القضاء لهم في الجامع ، وكذلك كانوا يتسلمون أوراق القضايا من القضاة السابقين ويختمون عليها بأختامهم ويكسرون أختام من سبقهم ، وقد كان أتساع نفوذ القاضي يختلف باختلاف صيغة تقليده، فبعضهم كان يولي قضاء مصر ثم يضاف إليه قضاء دمشق ، وبعضهم كان يولي قضاء مصر والإسكندرية والشام وحمص وفلسطين والرملة وطبرية ، وبعضهم كان يولي قضاء مصر والرملة وطبرية^(٥)

وقد كان للقضاة في العصر الإخشيدي حجاب يستأذنون للناس وللشهود في الدخول إلى القاضي^(٦)، وكان القضاة في هذا العصر يقضون بين الناس في جامع عمرو بن العاص أو في

(١) المقرئزي, الخطط,, ج ١/ص ٧٣.

(٢) ابن مسكويه, تجارب الامم, ص ١٦٣.

(٣) كاشف ومحمود, مصر في عهد الطولونيين والابخشيديين, ص ١٩٩.

(٤) الكندي, الولاة والقضاة, ص ٥٣٢.

(٥) ابو شامة, الروضتين, ج ١/ص ١٩.

(٦) كاشف ومحمود , مصر في عهد الطولونيين والابخشيديين, ص ٢٠٠.

بيوتهم ، وكان القضاة يختارون أياماً معلومة للقضاء بين الناس في الجامع و في بيوتهم ^(١) وقد تميز القضاة ونوابهم في العصر الإخشيدي بلباس خاص ميزهم عن باقي موظفي الدولة ، فقد كان القضاة ونوابهم الذين ينوبون عنهم في الحكم بين لناس يلبسون طيلسان أسود وعمامة سوداء فوق القلنسوة ^(٢) ومما ميز القضاة في مصر في العصرين الطولوني والإخشيدي أنه لم يكن تابع لمذهب واحد ، بل كان القاضي يحكم وفق المذهب الذي ينتمي إليه، وأن كان لمذهب الشافعي هو الغالب في القضاء في مصر في هذه الحقبة ^(٣)

اما مرتبات القضاة في عهد الإخشيديين فلم يرد ذكرها في كتب المؤرخين سوى ما نص عليه الكندي من ان رزق القاضي علي بن الحسين بن حرب كان مائة وعشرين ديناراً في الشهر ^(٤)

كان من أشهر القضاة في أيام محمد بن طغج غلام الإخشيد محمد بن بدر الصيرفي وقد ولي القضاء بمصر ثلاث مرات ، الأولي من سنة ٣٢٣-٣٢٤ هـ / ٩٣٤-٩٣٥ والثانية ٣٢٧- ٣٢٩ هـ / ٩٣٨-٩٤٠م وفي أواخر هذه السنة كان يتولي القضاء نيابة عن الحسين بن عيسى بن مروان الذي كان يتمتع بنفوذ قوي في بغداد ، والثالثة كانت من أواخر سنة "٣٢٩-٣٣٠ هـ / ٩٤٠-٩٤١" وانتهت بوفاته في شعبان سنة "٣٣٠ هـ / ٩٤١م" ، أما في عهد كافور ٣٣٠ هـ / ٩٤٠-٩٤١ وانتهت بوفاته في شعبان سنة "٣٣٠ هـ / ٩٤١م" ، أما في عهد كافور فقد ولي قضاء مصر عمر بن الحسن الهاشمي من سنة ٣٣٩-٣٣٦ هـ / ٩٥٧-٩٥٠ ، ثم جاء من بعده عبد الله ابن الخصيب أو الخصيبي "٣٣٩-٣٤٨ هـ / ٩٥٠-٩٥٩" ، وخلفه أبو الطاهر الذهلي وقد ظل على قضاء مصر حتى دخلها الفاطميون ^(٥)

ث- النظر في المظالم:

ان النظر في المظالم كانت من السمات البارزة التي خلدت الإخشيديين الذين جلسوا بأنفسهم لأنصاف الرعية، ففي بداية العصر الإخشيدي كان القاضي ينظر في المظالم ، وفي سنة ٣٣١ هـ / ٩٢٤م أفرد للنظر في المظالم قاضي مستقل ، كان الإخشيد منذ سنة

(١) حقي، القضاء الاسلامي، ص ٣٠.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج ٣/ ص ٣٤٠ .

(٣) عرنوس، تاريخ القضاء في الاسلام، ص ٩٥ .

(٤) الولاة والقضاة، ص ٥٣١.

(٥) الكندي، الولاة والقضاة ، ص ٤٨٦.

(٦) بدر، مصر الاسلامية، ص ٢٢٥.

٩٢٤هـ/٣٣١م يجلس للنظر في المظالم بنفسه في أيام الأربعاء^(١) وعندما تولي كافور ولاية مصر جلس للمظالم ، وحدد يوم السبت للنظر في المظالم ، وكان يحضر عنده الوزير وسائر الفقهاء والقضاة والشهود و جوه لبلد^(٢)، وقد قيل أن القاضي في أيام كافور كان كالمحجور عليه ، لكثرة جلوس كافور للمظالم^(٣).

المكاتبات الرسمية والنقود:

أ- المكاتبات الرسمية:

وفي عهد الدولة الإخشيدية نشطت الكتابة الديوانية^(٤)، وكانت وظيفة الكاتب من الوظائف الرئيسية في مصر الإخشيدية بوجه خاص وفي الخلافة بوجه عام؛ إذ كان الكاتب يُعاون الوزير في عمله، ويُحرر الرسائل التي يبعث بها الأمير إلى الخليفة أو غيره من الملوك والأمراء^(٥).

ومن كُتّاب العصر الإخشيدي محمد بن عبدالرحمن الروذباري، وكان يُعاون الفضل بن جعفر بن الفرات، وقد خلفه في أعماله حين سافر ابن الفرات إلى بغداد^(٦).

كما كان علي بن صالح من كُتّاب كافور، والكاتب البغدادي سهل بن محمد، وأبو الحسن بن جابر، وكان يكتب لعبيدالله بن طغج الإخشيد^(٧)، وقد جاء إلى الفسطاط علي بن محمد بن نصر بن بسام، وهو أحد الكُتّاب المشهورين، وكان يتمتع بحسن البديهة والشاعرية، وهو من أهل بيت الكتابة، وله ديوان رسائل، وتقلد الديوان بمصر^(٨).

(١) بدر، مصر الإسلامية، ص ٢٢٧.

(٢) الكندي، الولاية والقضاة، ص ٥٨٤.

(٣) الكندي، الولاية والقضاة، ص ٥٨٤.

(٤) محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص ٤٢٦.

(٥) كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص ١٦٥.

(٦) كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص ١٦٧، محمد، الحركة العلمية والأدبية، ص ٤٢٧.

(٧) محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص ٤٢٧.

(٨) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٤/ص ١٣٩.

وكان على رأس الكُتَّاب في العصر الإخشيدي الكاتب إبراهيم بن عبد الله بن محمد النجيري، فقد أخذ النحو عن الزجاج، وأخذ عنه بعض المصريين ومنهم: أبو الحسن المهلب، وجنادة اللغوي، فقد كان هذا الكاتب خبيراً بعلوم العربية^(١)، وكان من إنشائه الكتاب الذي أرسله الإخشيد إلى المانوس ملك الروم^(٢)، وكان قد ورد إلى الإخشيد "كتاب المانوس عظيم النصرانية يفتخر فيه، ويزعم أن له المنة عليه في خطابه؛ إذ جرت عاداته ألا يخاطب إلا خليفة"^(٣)، فقرأ هذا الكتاب على الإخشيد، فطلب من كاتبه كتابة رد له، فكتب نفرٌ منهم واختار الأمير الرد الذي أعدّه النجيري، فأرسله إلى المانوس، وقد أعجب النجيري نفسه بالكتاب، فنسخ منه عدة نسخ، وأرسلها إلى العراق يتباهى بها^(٤)، قال القلقشندي^(٥) "... وقد أرسل أرمانيوس إليه كتابا يذكر من جملة بأنه كاتبه وإن لم تكن عاداته أن يكتب إلا الخليفة، فأمر بكتابة جوابه فكتب له الكتاب عدة أجوبة ورفعوا نسخها إليه، فلم يرتض منها إلا ما كتبه إبراهيم بن عبد الله النجيري" وكان عالما بوجوه الكتابة، وقد أعجب النجيري نفسه بالكتاب فنسخ منه نسخا وأنفذها إلى العراق يفتخر بها^(٦)، ولما كان لهذا الكتاب من شهرة كبيرة في تاريخ الاخشيديين والنثر في عصرهم وفي تخليد الالاخشيد محمد سوف انقله كما ذكره القلقشندي^(٧) بقوله: " ونسخته على ما ذكره ابن سعيد،" من محمد بن طنج مولى أمير المؤمنين، إلى أرمانيوس عظيم الروم ومن يليه، سلام بقدر ما أنتم له مستحقون، فإننا نحمد الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، أما بعد، فقد ترجم لنا كتابك الوارد مع نقولا وإسحاق رسوليك، فوجدناه مفتتحا بذكر فضيلة الرحمة، وما نمي عنا إليك، وصحّ من شيمنا فيها لديك؛ وبما نحن عليه من المعدلة وحسن السيرة في رعايانا، وما وصلت به هذا القول من الفداء والتوصل إلى تخليص الأسرى، إلى غير ذلك مما اشتمل عليه وتقهمناه، فأما ما أطنبت فيه من فضيلة الرحمة فمن سديد القول، الذي يليق بذوي الفضل والتبّل؛ ونحن بحمد الله ونعمه علينا بذلك عارفون، وإليه راغبون، وعليه باعثون، وفيه بتوفيق الله إيانا مجتهدون، وبه متواصلون وعاملون. وإياه نسأل التوفيق لمرشد الأمور وجوامع المصالح بمنّه وقدرته^(٨)، وأما ما نسبته إلى أخلاقنا من الرحمة

(١) الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص ١٣٧.

(٢) كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص ٣١١ - ٣١٨.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ١٦٧؛ زيود، العلاقات بين مصر والشام، ص ٢٨٦.

(٤) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ١٧٢؛ محمود، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٤٣٧.

(٥) صبح الاعشى، ج ٧/ ص ١٠.

(٦) عباس، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، ص ٢٥٠؛ كاشف، مصر في عهد الاخشيديين، ص ٣١١.

(٧) صبح الاعشى، ج ٧/ ص ١٠.

(٨) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٧/ ص ١٠.

والمعدلة، فإننا نرغب إلى الله جلّ وعلا الذي تفرّد بكمال هذه الفضيلة، ووهبها لأوليائه ثم أثابهم عليها، أن يوفّقنا لها، ويجعلنا من أهلها، ويبسّرنا للاجتهاد فيها، والاعتصام من زيغ الهوى عنها، وعرة القسوة بها، ويجعل ما أودع قلوبنا من ذلك موقوفا على طاعته، وموجبات مرضاته، حتّى نكون أهلا لما وصفتنا به، وأحقّ حقّا بما دعوتنا إليه، وممن يستحقّ الرّقى من الله تعالى، فإننا فقراء إلى رحمته؛ وحقّ لمن أنزله الله بحيث أنزلنا، وحمله من جسيم الأمر ما حملنا، وجمع له من سعة الممالك ما جمع لنا بمولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، أن يبتهل إلى الله تعالى في معونته لذلك وتوفيقه وإرشاده، فإن ذلك إليه وبيده: وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ^(١)، وأما ما وصفته من ارتفاع محلّك عن مرتبة من هو دون الخليفة في المكاتبه لما يقتضيه عظم ملككم، وأنه الملك القديم الموهوب من الله، الباقي على الدّهر، وإنك إنما خصصتنا بالمكاتبه لما تحقّقته من حالنا عندك، فإنّ ذلك لو كان حقّا وكانت منزلتنا كما ذكرته تقصر عن منزلة من تكاتبه، وكان لك في ترك مكاتبتنا غم ورشد، لكان من الأمر البين أن أحظى وأرشد وأولى بمن حلّ محلّك أن يعمل بما فيه صلاح رعيّته، ولا يراه وصمة ولا نقيصة ولا عيبا، ولا يقع في معاناة صغيرة من الأمور تعقبها كبيرة، فإن السائس الفاضل قد يركب الأخطار، ويخوض الغمار، ويعرّض مهجته، فيما ينفع رعيّته؛ والذي تجشّمته من مكاتبتنا إن كان كما وصفته فهو أمر سهل يسير، لأمر عظيم خطير؛ وجلّ نفعه وصلاحه وعائدته تخصّكم، لأنّ مذهبنا انتظار إحدى الحسينيين، فمن كان مّا في أيديكم فهو على بيّنة من ربه، وعزيمة صادقة من أمره، وبصيرة فيما هو بسبيله؛ وإن في الأسارى من يؤثر مكانه من ضنك الأسر وشدة البأساء على نعيم الدنيا وخيرها لحسن منقلبه، وحميد عاقبته، ويعلم أن الله تعالى قد أعاده من أن يفته، ولم يعذه من أن يبتليه؛ هذا إلى أوامر الإنجيل الذي هو إمامكم، وما توجبه عليكم سياستكم، والتوصل إلى استنقاذ أسرائكم؛ ولولا أنّ إيضاح القول في الصواب، أولى بنا من المسامحة في الجواب، لأضربنا عن ذلك صفحا؛ إذ رأينا أنّ نفس السبب الذي من أجله سما إلى مكاتبته الخلفاء عليهم السلام من كاتبهم، أو عدا عنهم إلى من حلّ محلّنا في دولتهم، بل إلى من نزل عن مرتبتنا، هو أنه لم يثق من منعه، وردّ ملتسمه ممن جاوره، فرأى أن يقصد به الخلفاء الذين الشرف كلّ في إجابتهم، ولا عار على أحد وإن جلّ قدره في ردّهم؛ ومن وثق في نفسه ممن جاوره، وجد قصده أسهل السبيلين عليه، وأدناها إلى إرادته، حسب ما تقدّم لها من تقدّم، وكذلك كاتب من حلّ محلّك من قصر عن محلّنا، ولم يقرب من منزلتنا، فمالمكنا عدّة، كان يتقلد في سالف الدهر كلّ مملكة منها ملك عظيم الشأن. فمنها ملك مصر الذي أطغى فرعون على خطر أمره، حتّى ادّعى الإلهية وافتخر على نبيّ الله موسى بذلك. ومنها ممالك اليمن التي كانت للتبابعة، والأقيال

(١) الفلقشندي، صبح الاعشى، ٧/ج/ص ١١.

العباهلة : ملوك حمير، على عظم شأنهم، وكثرة عددهم. ومنها أجناد الشام التي: منها جند حمص، وكانت دارهم ودار هرقل عظيم الروم ومن قبله من عظمائها، ومنها جند دمشق على جلالته في القديم والحديث، واختيار الملوك المتقدّمين له. ومنها جند الأردنّ على جلالته قدره، وأنه دار المسيح صلّى الله عليه وسلّم وغيره من الأنبياء والحواريّين. ومنها جند فلسطين، وهي الأرض المقدّسة، وبها المسجد الأقصى، وكرسيّ النصرانية، ومعنقد غيرها، ومحجّ النصاريّ واليهود طرّاً، ومقرّ داود وسليمان ومسجدهما. وبها مسجد إبراهيم وقبره وقبر إسحاق ويعقوب ويوسف وإخوته وأزواجهم عليهم السلام، وبها مولد المسيح وأمّه وقبرها^(١)، هذا إلى ما نتقلّده من أمر مكة المحفوفة بالآيات الباهرة، والدلالات الظاهرة؛ فإننا لو لم نتقلّد غيرها لكانت بشرفها، وعظم قدرها، وما حوت من الفضل توفي على كل مملكة، لأنها محجّ آدم ومحجّ إبراهيم وارثه ومهاجرة، ومحجّ سائر الأنبياء، وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام وداره وقبره، ومنبت ولده، ومحجّ العرب على مرّ الحقب، ومحلّ أشرافها، وذوي أخطارها، على عظم شأنهم، وفخامة أمرهم. وهو البيت العتيق، المحرّم المحجوج إليه من كل فجّ عميق، الذي يعترف بفضله وقدمه أهل الشرف، من مضى ومن خلف؛ وهو البيت المعمور، وله الفضل المشهور^(٢)، ومنها مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم المقدّسة بتربيته، وإنّها مهبط الوحي، وبيضة هذا الدّين المستقيم الذي امتدّ ظلّه على البرّ والبحر، والسّهل والوعر؛ والشّرق والغرب، وصحارى العرب على بعد أطرافها، وتنازع أقطارها، وكثرة سكّانها في حاضرتها وباديتها، وعظمها في وفودها وشدّتها، وصدق بأسها ونجدتها، وكبر أحلامها، وبعد مرامها، وانعقاد النصر من عند الله براياتها. وإن الله تعالى أباد خضراء كسرى، وشرّد قيصر عن داره ومحلّ عزّه ومجده بطائفة منها. هذا إلى ما تعلمه من أعمالنا؛ وتحت أمرنا ونهينا ثلاثة كراسيّ من أعظم كراسيّكم: بيت المقدس، وأنطاكية، والإسكندريّة، مع ما إلينا من البحر وجزائره، واستظهارنا بآتمّ العتاد. وإذا وقّيت النظر حقّه علمت أن الله تعالى قد أصفانا بجلّ الممالك التي ينتفع الأنام بها، وبشرف الأرض المخصوصة بالشّرف كلّ دنيا وآخرة، وتحقّقت أن منزلتنا بما وهبه الله لنا من ذلك فوق كلّ منزلة. والحمد لله وليّ كلّ نعمة^(٣)، وسياستنا لهذه الممالك قريبا وبعيدا على عظمها وسعتها بفضل الله علينا وإحسانه إلينا ومعونته لنا وتوفيقه إيّانا كما كتبت إلينا وصحّ عندك من حسن السّيرة، وبما يؤلّف بين قلوب سائر الطّبقات من الأولياء والرعية ويجمعهم على الطاعة واجتماع الكلمة، ويوسعها

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ٧/ج/ص ١٣.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ٧/ج/ص ١٣.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ٧/ج/ص ١٤.

الأمن والدعة في المعيشة ويكسبها المودة والمحبة^(١)، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً على نعمه التي تقوت عندنا عدد العاديين، وإحصاء المجتهدين، ونشر الناشرين، وقول القائلين، وشكر الشاكرين. ونسأله أن يجعلنا ممن تحدّث بنعمته عليه شكراً لها، ونشراً لما منحه الله منها [ومن رضي اجتهاده في شكرها، ومن أراد الآخرة] وسعى لها سعيها، وكان سعيه مشكوراً، إنه حميد مجيد، وما كنت أحبّ أن أباهيك بشيء من أمر الدنيا، ولا أتجاوز الاستيفاء لما وهبه الله لنا من شرف الدين الذي كرّمه وأظهره، ووعدنا في عواقبه الغلبة الظاهرة، والقدرة القاهرة، ثم الفوز الأكبر يوم الدين، لكنك سلكت مسلكاً لم يحسن أن نعدل عنه، وقلت قولاً لم يسعنا التقصير في جوابه، ومع هذا فإننا لم نقصد بما وصفناه من أمرنا مكاثرتك، ولا اعتمدنا تعيين فضل لنا نعوذ به، إذ نحن نكرم عن ذلك، ونرى أن نكرمك عند محلك ومنزلتك، وما يتّصل بها من حسن سياستك ومذهبك في الخير ومحبتك لأهله، وإحسانك لمن في يدك من أسرى المسلمين، وعطفك عليهم، وتجاوزك في الإحسان إليهم جميع من تقدّمك من سلفك؛ ومن كان محموداً في أمره، رغب في محبته، لأن الخير أهل أن يحبّ حيث كان، فإن كنت إنما تؤهّل لمكاتبتك ومماثلتك من اتسعت مملكته، وعظمت دولته، وحسنت سيرته؛ فهذه ممالك عظيمة، واسعة جمّة، وهي أجل الممالك التي ينتفع بها الأنعام، وسرّ الأرض المخصوصة بالشرف، فإنّ الله قد جمع لنا الشرف كلّ، والولاء الذي جعل لنا من مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، مخصوصين بذلك إلى مالنا بقديمنا وحديثنا وموقعنا. والحمد لله رب العالمين الذي جمع لنا ذلك بمنّهِ وإحسانه، ومنه نرجو حسن السعي فيما يرضيه بلطفه. ولم ينطو عنك أمرنا فيما اعتمدناه. وإن [كنت] تجري في المكاتبه على رسم من تقدّمك فإنك لو رجعت إلى ديوان بلدك، وجدت من كان تقدّمك قد كاتب من قبلنا من لم يحلّ محلّنا، ولا أغنى غناءنا، ولا ساس في الأمور سياستنا، ولا قلّده مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ما قلّدنا، ولا فوّض إليه ما فوّض إلينا؛ وقد كوّتب أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون، وآخر من كوّتب تكين مولى أمير المؤمنين ولم يكن تقلد سوى مصر وأعمالها^(٢)، ونحن نحمد الله كثيراً أولاً وآخراً على نعمة التي يفوت عندنا عددها عند العاديين، ونشر الناشرين. ولم نرد بما ذكرناه المفاخرة، ولكننا قصدنا بما عددنا من ذلك حالات: أولها التحدّث بنعمة الله علينا؛ ثم الجواب عما تضمّنه كتابك من ذكر المحلّ والمنزلة في المكاتبه، ولتعلم قدر ما بسطه الله لنا في هذه المسالك، وعندنا قوّة تامة على المكافأة على جميل فعلك بالأسارى، وشكر واف لما توليهم وتوّخّاه من مسرّتهم إن شاء الله تعالى وبه الثقة، وفّقك الله لمواهب خيرات الدنيا والآخرة، والتوفيق للسداد في الأمور كلها، والتيسير لصلاح القول والعمل

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ٧ج/ص ١٤.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ٧ج/ص ١٥.

الذي يحبه ويرضاه ويثيب عليه، ويرفع في الدنيا والآخرة أهله، بمنّه ورحمته^(١)، وأما الملك الذي ذكرت أنه باق على الدهر لأنه موهوب لكم من الله خاصّة، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. وإنّ الملك كلّهُ لله يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء بيده الخير وإليه المصير، وهو على كل شيء قدير. وإنّ الله عزّ وجلّ نسخ ملك الملوك وجبريّة الجبارين بنبوة محمد صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله أجمعين، وشفع نبوّته بالإمامة وحازها إلى العترة الطاهرة من العنصر الذي منه أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، والشجرة التي منها غصنه، وجعلها خالدة فيهم يتوارثها منهم كابر عن كابر، ويلقيها ماض إلى غابر؛ حتّى نجز أمر الله ووعده، وبهر نصره وكلمته، وأظهر حجته وأضاء عمود الدين بالأئمة المهتدين، وقطع دابر الكافرين ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المشركون حتّى يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون^(٢)، وإنّ أحقّ ملك أن يكون من عند الله، وأولاه وأخلقه أن يكنفه الله بحراسته وحياطته، ويحقّه بعزّه وأيده، ويجلّله بهاء السكينة في بهجة الكرامة، ويجمّله بالبقاء والنّجاء ما لاح فجر، وكزّ دهر، ملك إمامة عادلة خلفت نبوة فجرت على رسمها وسننها، وارتمت أمرها، وأقامت شرائعها، ودعت إلى سبلها، مستصرة بأيدها، منتجة لوعدها؛ وإنّ يوما واحدا من إمامة عادلة خير عند الله من عمر الدنيا تملّكا وجبريّة^(٣)، ونحن نسأل الله تعالى أن يديم نعمه علينا، وإحسانه إلينا بشرف الولاية، ثم بحسن العاقبة بما وقرّ علينا فخره وعلاه، ومجده وإحسانه إن شاء الله، وبه الثقة، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأما الفداء ورأيك في تخلص الأسرى، فإننا وإن كنّا واثقين لمن في أيديكم بإحدى الحسنين، وعلى بينة لهم من أمرهم، وثبات من حسن العاقبة وعظم المثوبة، عالمين بما لهم، فإن فيهم من يؤثّر مكانه من ضنك الأسر وشدة البأساء على نعيم الدنيا ولذّتها، سكونا إلى ما يتحقّقه من حسن المنقلب وجزيل الثواب. ويعلم أن الله قد أعاده من أن يفنته، ولم يعذه من أن يبتليه؛ وقد تبيّنّا مع ذلك في هذا الباب ما شرعه لنا الأئمة الماضون، والسلف الصالحون، فوجدنا ذلك موافقا لما آلتمسته، وغير خارج عما أحببته؛ فسررنا بما تيسّر منه، وبعثنا الكتب والرسل إلى عمّالنا في سائر أعمالنا، وعزّمنا عليهم في جمع [كلّ من قبلهم وأتباعهم بما وفرّ الإيمان في إنفاذهم، وبذلنا في ذلك] كلّ ممكن، وأحرّنا إجابتك عن كتابك ليتقدّم فعلنا قولنا، وإنجازنا وعدنا؛ ويوشك أن يكون قد ظهر لك من ذلك ما وقع أحسن

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ٧/ج/ص ١٥.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ٧/ج/ص ١٦.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ٧/ج/ص ١٦.

الموقع منك إن شاء الله^(١)، وأما ما ابتدأتنا به من المواصلة، واستشعرته لنا من المودة والمحبة، فإنّ عندنا من مقابلة ذلك ما توجبه السياسة التي تجمعنا على اختلاف المذاهب، وتقضيه نسبة الشرف الذي يؤلفنا على تباين النحل، فإن ذلك من الأسباب التي تخصّنا وإياك. ورأينا من تحقيق جميل ظنّك بنا إيناس رسلك وبسطهم، والاستماع منهم والإصغاء إليهم والإقبال عليهم؛ وتلقينا انبساطك إلينا، والطافك إيانا بالقبول الذي يحقّ علينا، ليقع ذلك موقعه؛ وزدنا في تأكيد ما اعتمدته ما حملناه رسلك في هذا الوقت على استقلالنا إياه من طرائف بلدنا وما يطرأ من البلاد علينا؛ وإن الله بعدله وحكمته أودع كلّ قرية صنفا ليتشوّف إليه من بعد عنه، فيكون ذلك سببا لعمارة الدنيا ومعايش أهلها. ونحن نفردك بما سلّمناه إلى رسولك لتقف عليه إن شاء الله^(٢). وأما ما أنفذته للتجارة فقد أمكنا أصحابك منه، وأدنا لهم في البيع وفي ابتياح ما أرادوه واختاروه؛ لأننا وجدنا جميعه مما لا يحظره علينا دين ولا سياسة. وعندنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك، والحرص على عمارة ما بدأتنا به ورعايته، وربّ ما غرسته، أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك. والله يعين على ما ننويه من جميل، ونعتقد من خير، وهو حسبنا ونعم والوكيل. ومن ابتدا بجميل لزمه الجري عليه والزيادة، ولا سيما إذا كان من أهله وخليقا به. وقد ابتدأتنا بالمؤانسة والمباطنة، وأنت حقيق بعمارة ما بيننا، وباعتمادنا بحوائجك وعوارضك قبلنا؛ فأبشر بتيسير ذلك إن شاء الله. والحمد لله أحقّ ما ابتدئ به، وختم بذكره، وصلى الله على محمد نبيّ الهدى والرحمة، وعلى آله وسلّم تسليمًا^(٣).

ب- النقود الاخشيدية:

تعد النقود من مظاهر التخليد الخالدة في الحضارة الإنسانية ، فهي تعد وثائق تاريخية مهمة لا تقبل الشك في معلوماتها، فضلاً عن أنها تعد من الوسائل التي استخدمها الحكام في تخليد تاريخهم وسنوات حكمهم، وهي بذلك تعد اوثق المصادر المادية التي خلدت تاريخ الأسر الحاكمة عامة وتاريخ الأسرة الاخشيدية على وجه الخصوص.

تميز النظام النقدي الاخشيدي بمرحلتين :

- ١- مرحلة الالتزام بالنظام النقدي للخلافة العباسية وعدم إضافة أسماء الأمراء الاخشيديين الى جانب أسماء الخلفاء العباسين وتمتد هذه الحقبة منذ ولاية الإخشيد محمد سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٤م وحتى سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م ، وكانت النقود تحمل اسم الخليفة العباسي ولا يوجد

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى، ٧/ج/ص ١٧.

(٢) القلقشندي ، صبح الاعشى، ٧/ج/ص ١٧.

(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى، ٧/ج/ص ١٨.

اسم الأمير الاخشيدي الذي لم يكن له دور سوى الإشراف على دور السكة وإصدار النقود دون تسجيل اسمه، وظهر اسم مصر في المدار الخارجي على وجه الدنانير لتعطي للسكة المصرية اسمها الذي يميزها عن دنانير الأقاليم العباسية الأخرى وبلغ متوسط وزن الدينار في هذه المرحلة ٣,٧٢ غم^(١)

٢- مرحلة الاستقلال عن السكة العباسية من ناحية الرموز والدلالات منذ سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م، اذ ظهر الطراز الإخشيدي الخاص بهم، وا قدم الدنانير الاخشيدية في هذه الحقبة يعود الى سنة ٣٣١هـ واخرها سنة ٣٥٨هـ مع جود مدة زمنية فيها انقطاع بعد وفاة علي بن الاخشيد^(٢)، وسوف اذكر نماذج من التي تم الحصول عليها لأمرء الاخشيديين الذين خلدتهم هذه النقود.

اولاً: الدنانير الاخشيدية

١ - دنانير^٣ محمد بن طغج الاخشيد (٢٢٣ - ٣٣٤هـ - / ٩٣٥-٩٤٦م)

أضيفت أسماء الأمرء الإخشيديين الى جانب أسماء الخلفاء العباسيين، وكان القصد من ذلك أضفاء نوع من الشرعية على هذه المسكوكات لتأخذ طريقها الى التداول لدى عامة الناس، سك الإخشيديون نقودهم في العديد من المدن في الفسطاط بمصر وفي فلسطين بالرملة وطبرية فضلاً عن دمشق^(٤) التي لم تستمر فيها دار سك الإخشيدي بسبب الأحداث التي حصلت بين الإخشيديين وابن رائق^(٥)، لهذا فقد عوضت دور الضرب الإخشيدية في مصر وفلسطين ما فقد من دور في دمشق^(٦)، كانت نقودهم من الدنانير الذهبية والدرهم الفضية، فضلاً عن الفلوس النحاسية^(٧)، التي سكت على نطاق ضيق ومحدود أيام الإخشيديين، تعد سنة ٣٣١هـ حسب قول عبد الرحمن فهمي " حداً فاصلاً بالفصل بين عهد التبعية المطلقة والاستقلال لمصر الإخشيدية " ^(٨)، واستمرت خصائص السكة الإخشيدية الجديدة التي ظهرت سنة (٣٣١هـ) بارزة في دنانير السنوات (٣٣٢هـ) و (٣٣٣هـ) سواء كانت الدنانير التي ضربت في مصر أو فلسطين (الرملة)

(١) فهمي، موسوعة النقود العربية، ج ١/ص ١٦٠.

(٢) توبات، الكتابات ودلالاتها على النقود المضروبة في بلاد الشام، ص ٤١٢.

(٣) ينظر شكل رقم (٤).

(٤) ابن بكرة، كشف الاسرار، ص ٣٠٦.

(٥) الكندي، الولاة واللقضاء، ص ٢٩٢.

(٦) ابن بكرة، كشف الاسرار، ص ٣٠٦.

(٧) ابن بكرة، كشف الاسرار، ص ٣٠٦.

(٨) موسوعة النقود، ص ١٦٦-١٦٧.

فهي لم تخل من تسجيل أسم الإخشيد فضلاً عن أسم الخليفة العباسي المتقي، وفي سنة (٣٣٣هـ) تولى الخلافة المستكفي بالله والذي أقر الإخشيد عن ولاية مصر والشام وقام الإخشيد بالدعوة له على المنابر ولا يوجد ما يثبت الى أن الإخشيد لم يسجل أسم المستكفي على السكة الذهبية لكن المستكفي لم يلبث طويلاً في الخلافة فقد عزل سنة (٣٣٤هـ / ٣٤٩م) وبويع بدلاً عنه الخليفة المطيع والذي بادر بأقرار الإخشيد على ولايته وكذلك بادر الإخشيد بتسجيل أسم الخليفة المطيع على السكة فضلاً عن ذكره في الخطبة (١).

٢-دنانير^(٢) أبو القاسم أنوجور بن محمد (٣٣٤ - ٣٤٩هـ / ٩٤٦ - ٩٦٠م).

ضرب نقوده على نوعين ، النوع الأول مشابه لمن سبقوه من اسلافه من الأمراء، وأما النوع الثاني فقد حمل ألقاب الخاصة به فقط دون الإشارة للخليفة العباسي سيما تلك المسكوكات التي قام بضربها في عدة مدن فلسطينية بوضع أسم الأمير الإخشيدي بدل أسم الخليفة العباسي، فقد كان الدينار الذي ضرب في سنة (٣٣٥هـ) مثبتاً عليه النصوص والعبارات الأتية وكان وزنه ٣,٨٥ غم وقطره ٢٣,٢مم^(٣)، واستمر أبو القاسم في اصدار وسك مسكوكات على النحو السابق باستثناء بعض التغيرات الطفيفة سيما تلك المسكوكات التي ضربت في سنة (٣٤٦هـ / ٩٥٧م) وتم إضافة حرف (ك) تحت المأثور والذي يدل على أسم كافور الذي كان وصياً على أبو القاسم .

٣-دنانير^(٤) علي بن الإخشيد -٣٤٩-٣٥٥هـ / ٩٦١-٩٦٦م

ضربت النقود في عهد علي على نوعين، الأولى حملت اسم أبو علي بن الإخشيد دون أي إشارة الى أسم الخليفة العباسي المطيع الله وكانت تضرب في فلسطين، واحتوت على حرف (ك) يرمز لكافور اذ كانت سلطته بأزدياد مستمر، اما النوع الثاني فقد حمل أسم الخليفة العباسي لكن وضع أسم الخليفة في مركز الظهر وكان هذا النوع من المسكوكات قد ضرب في مصر وكذلك في فلسطين، فالدينار الذي ضرب في مصر سنة (٣٥٠هـ) (٥)

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٢٥٧.

(٢) ينظر شكل رقم (٥).

(٣) الجابر، النقود العربية، ص ٢/ص ٣١.

(٤) ينظر شكل رقم (٦).

(٥) فهمي، موسوعة النقود، ج ١/ص ٨٢٢.

الوجه	الظهر
المركز :	المركز
لا إله إلا	. الله .
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول الله
علي بن الإخشيد	صلى الله عليه
ك	وعلى آله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بفلسطين	المطيع الله
سنة خمسين وثلاثمائة	المدار محمد رسول الله الخ
المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ	
يفرح المؤمنون بنصر الله	
الوزن : ٤.٧٥ غم القطر : ٢٢ مم	

اما الدينار الثاني الذي ضرب في فلسطين سنة ٣٥١هـ, فقد كان وزنه ٣,٢٣ غم وقطره ٢٢مم , وقد ثبت عليه النصوص والعبارات الآتية^(١) :

الوجه	مركز الظهر :
لا آله إلا الله	محمد رسول
مركز الوجه : الله وحده	صلى الله عليه
لا شريك له	وعلى آله
علي بن الإخشيد	المطيع الله
ك	الطوق : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق
الطوق الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار بفلسطين	ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون
سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة.	
الطوق الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح	
المؤمنون بنصر الله.	

هناك تشابه كبير في مسكوكات الأمير علي المضروبة في مصر وفلسطين من ناحية ذكرها لأسم الامير علي الإخشيد ووضع الكاف تحت أسم الأمير علي وهو يرمز لكافور وذكر أسم الخليفة في مركز الظهر.

(١) الجابر , النقود العربية, ج٢/ص٣٦

٤-دنانير^(١) أبي المسك كافور الإخشيدي (٣٥٥-٣٥٧هـ / ٩٦٦-٩٦٨م).

لم يلقب كافور اميراً وإنما لقب بالاستاذ ولم يذكر اسمه ولقبه على النقود الذهبية والفضية المضروبة في مصر والشام واكتفى بتخليد اسمه بحرف الكاف، يقول الحلبي " روى أن كافوراً لما غلب على ولد الأخشيد فاستبد بالأمور دونهم لم يخرج بذلك عن حد المدبر إلى المالك ولم يقم له على منبر دعوة ولا نقش باسمه سكة ولا اختار أن يخاطب إلا بالأستاذ فلم يسم في مدة أيامه بالأمير ولا بغيره مما يخاطب به من جرى مجراه^(٢)، إلا أنه هناك له دينار ضرب سنة ٣٥٥هـ ضرب في فلسطين^(٣)، وله دينار ضرب في مكة في سنة (٣٥٧هـ) وكانت نصوصه على النحو التالي:^(٤)

الوجه : ثلاث أسطر لا اله الا الله محمد رسول الله المطيع لله مع حرفان مج هامش بسم الله ضرب هذا الدينار بمكة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة.	مركز الظهر : أربعة أسطر أمير السعيد كافور الإخشيدي قائم هامش : مجهول
---	--

دينار كافور الإخشيدي الذي ضرب في فلسطين سنة ٣٥٥هـ^(٥)، لم يظهر لكافور الإخشيدي سوى دينار واحد ولم يذكر اسمه عليه ، ضربه في عهد علي بن الإخشيد عندما كان وصياً عليه ولعله أراد أن يضرب الدنانير باسمه تمهيداً لتوليته الحكم.

٥-دنانير أبو الفوارس أحمد بن علي (٣٥٧-٣٥٨هـ / ٩٦٨ - ٩٦٩).

سجل عليه أسم أحمد بن علي بعد أسم الخليفة المطيع الله مع عبارات الصلاة على النبي وآله، وعلى الرغم من ان معظم الروايات أكدت على أن هذا الدينار هو الوحيد الذي عثر

(١) ينظر شكل رقم (٧).

(٢) سر الفصاحة، ص ١٤٩.

(٣) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣٧.

(٤) السرجاني، النقود الإسلامية، ص ٢٨٧.

(٥) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣٧.

عليه وتم قراءة نصوصه إلا أن بعض الكتالوجات الخاصة بالمسكوكات تؤكد وجود دنانير ودرهم أخرى تعود إلى أبو الفوارس أحمد بن علي ضربت في سنة (٣٥٧هـ / ٩٦٨م) وسنة (٣٥٨هـ / ٩٦٩م)، لكن لم يتم التعرف إلى نصوصها وأهم العبارات التي ثبت عليها بل أكتفت بذكر بلد الضرب والقطر والأوزان وأنها ضربت في عهد الخليفة المطيع، ضربت هذه الدنانير كلها في فلسطين^(١).

ثانياً: الدراهم الإخشيدية

لقد مرت الدراهم الإخشيدية بمرحلتين:

- ١- مدة ولاية الإخشيد حتى سنة ٣٣١هـ ، ٩٤٢م ، وهي مرحلة تبعية مطلقة للعباسيين
- ٢- من بداية الاستقلال عن الدولة العباسية من سنة ٣٣١هـ - ٣٣٤هـ، وهذا كان في عهد محمد الإخشيد، وضربت أكثرها في دور الضرب في الشام وترسل فيما بعد إلى مصر^(٢)، أما من جهة الكتابات فكانت متشابهة مع وجود بعض الاختلافات التي تميز كل فترة عن الأخرى.

١- دراهم^(٣) أبو بكر محمد الإخشيد ٣٢٣-٣٣٤هـ/٩٣٥-٩٤٦م.

- فلسطين ٣٣٢هـ

الوجه	الظهر
المركز:	المركز:
لا إله إلا	. الله .
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول الله
أبو منصور بن	المتقي الله
أمير المؤمنين	الإخشيد
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدرهم بفلسطين سنة اثنين وثلاثين وثلاث مائة	المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على (الد) ين كله ولو كره المشركون
المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	
الوزن ٣.٧٥ غم القطر ٢٣ مم	

(١) فهمي، موسوعة النقود، ج ١/ص ٨٢٢.

(٢) فهمي، موسوعة النقود، ج ١/ص ٨٢٤.

(٣) ينظر شكل رقم (٨).

دراهم^(١) أبو القاسم انوجور

– دمشق ٣٣٥هـ^(٢)

الوجه	الظهر
المركز:	المركز :
لا إله إلا	. الله .
لله وحده	محم (د)
لا شريك له	رسول (الله)
أبو القاسم بن	(صلى الله عليه)
الأخشيد	(وعلى آله)
المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدرهم بفلسطين سنة	المطيع الله
خمس وثلاثين وثلاثمائة	المدار : محمد رسول الله الخ
المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح	
المؤمنون بنصر الله الخ	
وزن ٢,٩٨غم: القطر ٢٧مم	

٣-دراهم^(٣) أبو الحسن علي بن محمد

فلسطين سنة ٣٥١هـ^(٤)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول الله
علي بن الاخشيد	صلى الله عليه
ك	وعلى آله
المدار الأول : بسم الله (ضرب) هذا الدرهم بفلسطين	المطيع الله
سنة احدى وخمسين وثلاثمائة	المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق

(١) ينظر شكل رقم (٩).

(٢) الجابر, النقود العربية, ج ٢/ص ٢٩.

(٣) ينظر شكل رقم (١٠).

(٤) النتشة, سكة فلسطين, ص ٤١.

المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وزن ٤,٧٥ غم, وقطر ٢٣ مم	ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.
---	--

ثالثا: الفلوس الإخشيدية

لا توجد إشارات إلى فلوس إخشيدية باستثناء فلس واحد لكافور الإخشيدى^(١)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز
الأمير أبو	الأستاذ
الحسن علي بن	كافور الأمير
الاشيد	أبو محمد
ك	
الوزن ٦,٨٢ غم, وقطر ٣٠ مم	

٤-التخليد الاقتصادي

المشروعات العمرانية في مصر والشام

أ- قصر وبستان المختار:

روى ابن زولاق فكرة إنشاء هذا البستان والقصر تعود الى الاخشيد محمد بن طغج, الذي طلب من الصالح بن نافع أنه أراد منذ تمت له إمارة مصر أن ينقل دار الصناعة من جزيرة الروضة وأن يجعل موضعها بستانا يسميه المختار^(٢), ثم أمره أن يخرج الى الجزيرة ليعد مشروع هذا البستان

مع دار كبيرة تقام فيه وان يقدر ما يلزم لذلك من النفقات , فخرج صالح بن نافع مع بعض من لهم دراية بمثل هذه الأمور وخطوا تصميم البستان والقصر وألحقوا بهما دارا للحرس ودارا للغلمان وخزائن للطعام والملابس والفرش وما الى ذلك , وعرضوا هذا التصميم في رقعة كبيرة من الورق على الاخشيد فأعجب به وسأل عن نفقاته ف قيل له ثلاثون ألف دينار , فاعترض الاخشيد على إنفاق هذا المال الكثير وقال إنه يريد الاقتصاد في نفقات هذا المشروع , وما زال بهم حتى انخفض رقم المال اللازم الى خمسة آلاف دينار وامر الاخشيد أن تجمع هذه النفقات من تبرع رجال حاشيته ومن اليهم من القادرين على الدفع , فأخذ صالح بن نافع ورقة وبدأ قائمة

(١) فهمي, موسوعة النقود, ج ١/ص ٨٢٥.

(٢) المقرئزي, الخطط, ج ٢/ص ٣٧٧.

التبرعات بأن سجل على نفسه التبرع بثلاثمائة دينار ، وتبعه غيره حتى جمع لهذا المشروع ستة آلاف دينار ، وأشرف على تنفيذه المهندسان زقازق وابن ابي الرداد وكان الاخشيد بعد ذلك يفاخر أهل العراق بهذا المنتزه ^(١) .

ب- البستان الكافوري:

ويبدو أن الاخشيد محمد كان شديد العناية بتجميل حاضرة ولايته ، فقد ذكرت المراجع التاريخية أنه أنشأ بستانا آخر شمالي القسطنطينية عرف بعد ذلك باسم البستان الكافوري وعنى به وجعل له أبوابا من حديد وأنه كان ينزل به ويقوم فيه أياما كاملة به ، واتخذ من بعده ابنه أبو القاسم اونو جور وأبو الحسن على في أيام إمارتهم ، وكان كافور كثيرا ما ينتزه به ويواصل الركوب الى الميدان الذي كان فيه ^(٢) ، وكانت خيوله بهذا الميدان ، ولما قدم جوهر الصقلي القائد الى مصر على رأس جيوش الفاطميين نزل بجوار هذا البستان وأصبح البستان جزءا من القاهرة واتخذ الخلفاء الفاطميون منتزها لهم ، وقيل له في الدولة الفاطمية البستان الكافوري ، ثم اختط مساكن بعد ذلك ، وبنيت القاهرة وهو بستان ، وكان الفاطميون يتوصلون إليه من سراديب مبنية تحت الأرض ، ينزلون إليها من القصر الكبير الشرقي ، ويسيرون فيها بالدواب إلى البستان الكافوري ، ومناظر اللؤلؤة ، بإذ لا تراهم الأعين ، وأما الأقباء والسرايب ، فإنها عملت أسرية للمراحيض ، وهي باقية تصب في الخليج ^(٣) ، وبقي إلى سنة ٦٥١ هـ ، فاختطته طائفة البحرية والعززية إصطبلات ، وأزيلت أشجاره وبقيت نسبته إلى كافور على ما كانت عليه ^(٤) ، وكانت مساحته تبلغ ستة وثلاثين فدانا ، وبجانبه من الجهة القبلية ميدان الاخشيد ^(٥) ، وله ذكر في شعر تميم بن المعز وغيره ، ولشعراء مصر في هذه الجزيرة أشعار منها قول أبي الفتح بن قادوس الدمياني:

أرى سرح الجزيرة من بعيد كأحداق تغازل في المغازل
كان مجرة الجوز أحاطت وأثبتت المنازل في المنازل ^(٦)

(١) المقرئزي، الخطط ، ج ٣/ ص ٣١٨؛ سيدة كاشف، مصر في عهد الاخشيديين، ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) المقرئزي، الخطط، ج ٢/ ص ٣٧٧.

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ٢/ ص ٣٧٧ .

(٤) المقرئزي، الخطط، ج ٢/ ص ٣٧٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣/ ص ٤٠١ .

(٥) سيدة كاشف، مصر في عهد الاخشيديين، ص ٢٩١.

(٦) المقرئزي، الخطط، ج ٣/ ص ٣٢٢.

ت- دار الفيل:

هي الدار التي على بركة قارون، اشتراها كافور وبنى فيها دارا ذكر أنه أنفق عليها مائة ألف دينار، ثم سكنها في رجب سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م، ولم يقيم فيها غير أيام قلائل، ثم أرسل إلى أبي جعفر مسلم الحسيني ليلا فقال له، امض بي إلى دارك، فمضى به، فمرّ على دار فقال: لمن هذه؟ فقال: لغلامك تحرير التربية، فدخلها وأقام فيها شهورا إلى أن عمروا له دار خمارويه المعروفة بدار الحرم، وسكنها، وقيل أن سبب انتقاله من جنان بني مسكين بخار البركة. وقيل وباء وقع في غلمانه، وقيل ظهر له بهاجان. وكانت دار الفيل هذه ينظر منها جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة^(١).

ث- السقايات السبع:

من مظاهر التخليد في الخدمات العامة هو توفير مياه الشرب، ففي عهد الامير ابو الحسن علي قام بمشروع توصيل المياه الى سكان الفسطاط، حين أصبحوا يحتاجون إلى الماء في مواسم الجفاف فكانوا يجلبون الماء من جزيرة الروضة بسبب جفاف خلجانها، وإنحسار مياه النيل إلى تلك المنطقة^(٢)، فقام الوزير جعفر بن الفرات بتنفيذ هذا المشروع الذي عرف بالسقايات السبع، ويقال أن هذا الوزير حفر بئراً لينقل منها الماء الي السقايات السبع وحسبها (أوقفها) لجميع المسلمين، ونقش عليها نص هذه الوقفية^(٣) "بسم الله الرحمن الرحيم، له الأمر من قبل ومن بعد وله الشكر وله الحمد ومنه المن على عبده جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات، وما وقفه له من بناء لهذا البئر، وجريانها إلى السبع سقايات التي أنشأها وحسبها لجميع المسلمين، وحسبه وسبله وقفاً مؤبداً لا يحل تغييره ولا العدل بشيء من مائه ولا ينقل ولا يبطل ولا يساق إلا إلى حيث مجراه إلى السقايات المسبلة فمن بذله من بعد ما سمعه فأثمه علي الذين يبدلونه إن الله سميع عليم، وذلك في سنة خمس وخمسين وثلثمائة وصل الله على نبيه محمد وآله وسلم"^(٤)

(١) المقرئزي، الخطط ج٣/ ص ٢٨٥.

(٢) ابن زولاق، ص ٤٠.

(٣) ابن زولاق، ص ٤١.

(٤) ابن حلدون، المقدمة، ص ٢٩٠.

ج- دار التبر ودار حنزية:

لم تقتصر مظاهر التخليد على امراء الاخشيديين، بل كان لرجال الدولة الكبار نصيب في الجانب العمراني، منها دار لتبر التي بناها الوزير أبوبكر محمد بن علي الماذرائي ، ووقفها على ولده ، وبعد أنقراض عقبه أي نسل الماذرائيين أوصي بها للفقراء و المساكين بالمدينة المنورة^(١) أما دار حنزية التي بناها الوزير الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات ، فقد كانت مسكن له ولأسرته^(٢)، وشيد أبو بكر محمد في وسط المقابر جوسقا علي هيئة الكعبة، فكان يجمع الناس عنده في الأعياد ويضاء كل سنة في ليلة النصف من شهر شعبان بأنوار ساطعة ، فيلتف حوله القراء لتلاوة القرآن الكريم، ويقصده الأهلون في هذه اللية وفي أيام الأعياد ، ويقضون جزءاً من وقتهم في فرح وسرور^(٣).

ج- الميدان:

لما عمر الامير محمد الإخشيد بستانه المعروف لاحقاً بالكافوري، أنشأ بجانبه ميداناً، وكان كثيراً ما يقيم به، وكان كافور أيضاً يقيم به، وكان فيما بين موضع القاهرة^(٤)، وكان هذا الميدان من أعظم أماكن مصر، وكانت فيه الخيول السلطانية في الدولة الإخشيدية^(٥).

وقد كان لتلك الاعمال التي قام بها ولاية الاخشيديين اثر في تخليد ذكراهم وخاصة انهم اوقفوا ما بنوه على اعمال الخير والبر على انه مما يؤسف له ان جميع هذه المباني وتلك الاثار قضي عليها حتى لم يبق منها اثر الا اسمها،

إصلاح الضرائب وادارة الموارد

أ- الزراعة:

كان الأمراء الاخشيديون يتدخلون بشكل مباشر في الجانب الزراعي لما له من اهمية في معاش الناس واقتصاد الدولة، أتخذ الاخشيديون مجموعة إجراءات كانت سببا في تخليدهم، ابرزها انخفاض إيجار الأراضي الزراعيه في العصر الإخشيدي مرتفعاً إذ كان يتراوح بين دينار واحد وبين دينارين ونصف للفدان في السنة ، وهناك وثيقة تاريخية محفوظة بدار الكتب المصرية

(١) ابن دقماق، ج٤/ص١٢٥.

(٢) المقرئزي، الخطط، ج١/ص٣٣١.

(٣) حسن، مصر في العصور الوسطى، ص٤٤٢.

(٤) المقرئزي، الخطط، ج٢/ص٢٠٢.

(٥) المقرئزي، الخطط، ج٣/ص٣٤٥.

ترجع إلي سنة "٣٤٨هـ- /٩٥٩م تتضمن عقد إيجار أرض مساحتها ثلاثة أفدنة وإيجارها ثلاثة دنانير في السنة ، وأن وثيقة أخرى تتضمن عقد إيجار أرض من بداية العهد الإخشيدي مساحتها ستة فدادين وإيجارها خمسة عشر ديناراً في السنة ^(١) ومن النظم الزراعية المعروفة زمن الإخشيديين نظام المزارعة فهو إستتجار الأرض نظير تأدية الإيجار من المحصول، وكان المحصول مقسم إلى أجزاء، يأخذ منه المالك نصه إذا كان المحصول جيد ، وفي بعض الأحيان يأخذ الثلث أو الربع ^(٢)، ومما يدل على تقدم الزراعة في هذا العهد أن خراج الأرض في عهد الإخشيد بلغ مليونين دينار في السنة ، وفي عهد كافور بلغ خراج الأرض في السنة ثلاثة ملايين ومائتين وسبعين ألف دينار ^(٣)، وهذا دليل على مدي اهتمام الإخشيديين بالزراعة وتطويرها ، فقد أهتم الإخشيديون بتحسين أوضاع الفلاحين ورفع الظلم عنهم وحمايتهم من عسف جباة الضرائب ، وتوفير كل الوسائل اللازمة التي يحتاجونها من البذور والآلات اللازمة لحراثة الأرض ، وزراعتها ^(٤)

وهذا يؤكد أن الإخشيديون تجاوزوا اهتمامهم بالفلاحين و الزراعة مجرد العناية بالخراج والحماية بل عملوا على رفع مستوي الإنتاج الزراعي بكافة السبل ^(٥)، منها استخدامهم طريقة الري بالحياض، وصفها لنا ابن حوقل بقوله " وزروعهم بماء النيل تمتد فتعم المزارع من حد أسوان إلي حد الإسكندرية ويقيم في أرضهم بالريف والحواف منذ امتداد الحر إلى الخريف، ثم ينضب فيزرع ، ثم لا يسقي بعد ذلك ولا يحتاج إلى سقي البته" ^(٦) ، أي أن لأراضي الزراعية تروي من ماء النيل عن طريق أحواض تملا لغرض الري، وتسقي منها جميع الأراضي الزراعية مرة واحدة في السنة ^(٧)، وعملوا ايضا على حفر الانهار عندما امر كافور سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م حينما كان وصيا على انوجور بن الاخشيد بحفر خليج اتصل بخليج بني وائل وذلك عندما جف ماء النيل عند ساحل مصر واصبح الناس يشربون من النهر عند مكان بعيد يقع بين جزيرة

(١) حسن احمد محمود، سيدة كاشف، مصر في عهد الطولونيين والاششيديين، ص ٢٢٨.

(٢) بدر، مصر الاسلامية، ص ٢٣٤.

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ١/ ص ٢٧.

(٤) حسن، مصر في العصور الوسطى، ص ٤٨٣.

(٥) كاشف ومحمود، مصر في عهد الطولونيين والاششيديين، ص ٢٢٩.

(٦) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٤٠.

(٧) بدر، مصر الاسلامية، ص ٢٣٥.

الروضة والجيزة وكانوا يتحملون نتيجة لذلك مشقات عظيمة ويمشون مسافات طويلة في سبيل الوصول الى الماء وكانت نتيجة حفر كافور لذلك الخليج وصول الماء الى ساحل مصر^(١).

ب- الخراج:

بلغ خراج مصر في أيام الأمير أبي بكر محمد بن طغج الإخشيد مليوني دينار سوى ضياعه التي كانت ملكا ، وكان كاتبه، ابن كلا، قد عمل تقديرا عجز فيه المرتب عن الارتفاع مائتي ألف دينار، فقال له الإخشيد: كيف نعمل؟ قال: حط من الجرايات والأرزاق فليس هؤلاء أولى من الواجب، فقال: غدا تجيئني، وتدبر هذا، فلما أتاه من الغد قال له الإخشيد: قد فكرت فيما قلت فإذا أصحاب الرواتب الضعفاء، وفيهم المستورون وأبناء النعم، ولست آخذ هذا النقص إلا منك، فقال ابن كلا: سبحان الله! فقال: تسبيحا، وما زال به الإخشيد حتى أخذ خطه بالقيام بذلك، فعوتب على ما صنعه، فقال: يا قوم اسمعوا إيش كان يعمل؟ جاءه أحمد بن محمد بن المارداني فقال له: ما بيني وبين السلطان معاملة، ولا للإخشيد عليّ طريق، وهذه هدية عشرة آلاف دينار للإخشيد وألف دينار لك فجاءني، وقال لك قبل ابن المارداني مطالبة، فقلت: لا، فقال: هذه ألف دينار قد جاءتك على وجه الماء، فأعطاني ألفا وأخذ عشرة آلاف دينار، وأهدى إليّ محمد بن عليّ المارداني في وقت عشرين ألف دينار على يده فاستقلتها، فلما اجتمعنا عاتبته فقال لي: أرسلت إليك مائة ألف دينار ولابن كلا كاتبك عشرين ألف دينار، فأخذ المائة وأعطاني العشرين ألفا، فذكرت قول محمد بن عليّ له، فقال: ما أبرد هذا! حفظت لك المائة ألف لوقت حاجتك تريدها خذها، وأنا أعلم أنك تتلفها^(٢).

وبلغت الرواتب في أيام كافور الإخشيدي، خمسمائة ألف دينار في السنة لأرباب النعم والمستورين وأجناس الناس ليس فيهم أحد من الجيش، ولا من الحاشية، ولا من المتصرفين في الأعمال، فحسن له عليّ بن صالح الروذبادي الكاتب، أن يوفر من مال الرواتب شيئا ينتقصه من أرزاق الناس، فساعة جلس يعمل حكه جبينه، فحكه بقلمه^(٣)، إذ يعد الخراج الضريبة الرئيسية لاقتصاد مصر في العصر الإخشيدي لا سيما ان عهدهم أتمسم بالهدوء والطمأنينة ، حتى انتعشت أحوالها الاقتصادية ، وقد تولت جباية الخراج في مصر طوال عهد الدولة الإخشيدية الأسرة الماذرائية، وقد بلغ خراج مصر في أيام الأمير أبو بكر محمد بن طغج الإخشيدي مليونين درهم، سوى خراج الرملة وطبرية ودمشق والسواحل له ، أما كافور فقد بذل جهده لتنمية

(١) المقرئزي، الخطط، ج ٢٣/ ص ١٧٤.

(٢) المقرئزي، الخطط، ج ١/ ص ١٨٦.

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ١/ ص ١٨٦.

الزراعة ، حتى زاد خراج مصر على أربعة ملايين في السنة^(١) وبلغ خراج الفيوم وحدها سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م أكثر من (٦٢٠.٠٠٠)، ولما مات كافور في سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م نزلت محن شديدة بمصر مما أد بالإضرار بالا راضى الزراعية ، وانتشار الغلاء بمصر ، أدى ذلك إلى تدني خراجها^(٢) ، ومن مظاهر التخليد فيما يخص الخراج وتنميته ان الاخشيديون اعتمدوا على عدد من الموظفين في إدارة شؤون الدولة المالية وكان عمال الخراج من موظفي الحكومة المهمين ، ولم يكونوا يعينون من قبل الخلافة بل كان يعينهم الأمراء الإخشيديون ، وكانوا يشرفون على جميع الضرائب ، ومن عمال الخراج في عهد محمد بن طغج أبو الحسين الفرغاني الذي كان على خراج مصر عند دخول الإخشيد إليها ، وكذلك على بن محمد الكرخي ومحمد بن مقاتل الذي يذكره لبعض من بين الوزراء^(٣)

أما في عهد كافور فيبدو أن الإشراف على الخراج كان يقوم به الوزير أبوبكر الماذري ، وكذلك تولى هذه الوظيفة يعقوب بن كلس^(٤) في وقت من الأوقات^(٥)، وقد كان ابن كلس يهودياً، ولكنه اعتنق الإسلام في سنة (٣٥٦هـ / ٩٦٦م)^(٦) ، وكان كافور الإخشيد يأمر بألا يصرف درهم أو دينار إلا بتوقيع ابن كلس^(٧)، وكان يعاون صاحب الخراج في جمع الضرائب والإشراف على الشؤون المالية موظفون كبار من أهل الذمة منهم الكاتب القبطي ابن عيسى بقطر بن شفا، والقبطي الآخر جرير بن الحصان، والنصراني إبراهيم بن مروان^(٨)، وكان خازن

(١) ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب،ص٣٦.

(٢) ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب،ص٣٦.

(٣) كاشف ومحمود، مصر في عهد الطولونيين والابخشيديين ،ص١٨٦.

(٤) ابن كلس أبو الفرج يعقوب بن يوسف البغداديويزير المعز والعزير، أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس البغدادي، الذي كان يهوديا فأسلم. كان داهية، مأكرا، فطنا، سائسا، من رجال العالم. سافر إلى الرملة، وتوكل للتجار، فانكسر عليه جملة، وتعثّر، فهرب إلى مصر، وجرت له أمور طويلة، فرأى منه صاحب مصر كافور الخادم فطنة وخبرة بالأمور، وطمع هو في الترقي فأسلم يوم جمعة، ثم فهم مقاصده الوزير ابن حنزابة، فعمل عليه، ففر منه إلى المغرب، وتوصل بيهود كانوا في باب المعز العبيدي، فنفق على المعز وكشف له أموراً، وحسن له تملك البلاد، ثم جاء في صحبته إلى مصر، وقد عظم أمره،ولما ولي العزيز سنة خمس وستين استوزره، فاستمر في رفعة وتمكن، إلى أن مات،(الذهبي، سير اعلام النبلاء.ج١٦/ص٤٤٢).

(٥) حسن، مصر في العصور الوسطى ،ص٤٧٧.

(٦) ابن زولاق، فضائل مصر ، ص٤٤.

(٧) ابن زولاق، فضائل مصر،ص٤٤.

(٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص٢٩١.

بيت المال من ضمن كبار رجال الدولة الماليين في العهد الإخشيدي وقد شغل هذا المنصب في عهد محمد بن طغج محمد بن عبد الله لخازن^(١)، وكذلك رئيس دار الضرب الذي يعتبر من كبار رجال الدولة الماليين في هذا العهد وقد شغل هذا المنصب في عهد الإخشيد صدفة بن الحسن^(٢).

ت- الصناعة

تعتبر صناعة النسيج من أشهر الصناعات القديمة، وقد اشتهرت مصر بصناعة المنسوجات الكتانية والحريية والقطنية^(٣)، وكانت مراكز صناعتها هي المراكز التي كانت قائمة في فترة حكم الولاة والعصر الطولوني، فقد قال ابن حوقل " أن مدينة تنيس ودمياط كانت تنتج من المنسوجات الثمينة ما ليس في جميع الأرض ما يداينها في الحسن والقيمة، وربما بلغ ثمن الثوب من ثيابهم مائتي دينار إذا كان فيها ذهب وما لأذهب فيه يبلغ المائة دينار"^(٤)، وكانت في مصر في العصر الإخشيدي دور للطراز منها طراز الخصة التي تنتج المنسوجات للأمراء والخلفاء، ومنها طراز العامة التي كانت تصنع الأقمشة اللازمة للشعب^(٥)، وكانت دور الطراز بنوعها مصانع حكومية يشرف عليها موظف كبير يسمى صاحب الطراز أو ناظر الطراز، وكان يعاونه في الإشراف علي مصانع الطراز في كل إقليم من الأقاليم المصرية موظف يسمى المتوكل بطراز الأقاليم لها^(٦)، ومن الملاحظ على القطع المنسوجة في هذا العهد أن أسماء الخلفاء كانت تنسج في الأقمشة الثمينة بلحمة من الذهب أو الفضة أو الخطوط المتعددة الألوان تمجيذا لهم على أنها صنعت في عصرهم، ولا يفوتنا أن نذكر أن أسماء الأمراء الإخشيديين لم تظهر في كتابات المنسوجات كما ظهر أسم خمارويه وهارون من أمراء الدولة الطولونية^(٧) ولا يمكن تعليل ذلك على الوجه الصحيح، ولكن يمكن ترجيح ذلك أن الإخشيد لم يعني بهذا المظهر من مظاهر الاستقلال، ونقصد ذكر أسم الأمير

(١) ابن زولاق، فضائل مصر، ص ٣٠.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ٢٠.

(٣) المقريزي، الخطط ج ١/ ص ٢٢٦.

(٤) صورة الأرض، ص ٧٦.

(٥) متر، الحضارة الإسلامية، ج ٢/ ص ٣٠٠.

(٦) كاشف ومحمود، مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين، ص ١٨٩.

(٧) كاشف ومحمود، مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين، ص ١٨٩.

في الطراز لأنه كان شديد العناية بتقليد أبن طولون ، الذي لم يحرص على ذكر أسمه في الطراز لأنه كان يعمل على أن يظل ولاؤه للخليفة غير مشكوك فيه^(١).

أما خلفاء الإخشيد فلعلهم لم يذكروا أسمائهم في الطراز، ومهما يكن من الأمر فإن الكتابات التي وصلت إلينا قطع من النسيج من العصر الإخشيدي تشمل عادة على أسم الخليفة والوزير العباسي وقد تشمل على تاريخ النسيج وأسم النساج^(٢).

٥- التخليد الاجتماعي

أ- سياسة العطاء والإحسان :

كان الأمراء الإخشيديون يتشبهون بالخلفاء العباسيين في ملابسهم و مظهرهم و بلاطهم وفي مواكبهم، وكان الإخشيد يتخذ الحجاب للوقوف علي بابيه وحاشية ضخمة من المماليك والغلمان والجواري^(٣)، ومن رؤساء المماليك والغلمان والأتباع بدر الكبير وشادن الصقلي وكافور الأسود وفاتك الرومي وبشري، ومن شهيرات الجواري سميه القهرمانة ، التي بلغت من سمو مكانتها عند الإخشيد أنه عهد إليها بفض النزاع الذي كان قائما بين قاضي مصر عبد الله بن أحمد بن شعيب المعروف بأبن وليد وسليمان بن رستم مقدم الشهود^(٤).

كان الإخشيد يظهر العظمة في مواكبه، وكان يخرج صلاة الجمع في موكب كبير يصطف الشعب على الجانبين لمشاهدته^(٥).

ب- دور العائلات الكبرى في صناعة تخليد الدولة

كان آل طباطبا أشهر العلويين في مصر في ذلك العصر وكان منهم الشريف عبد الله بن طباطبا " عبد الله بن أحمد على بن إبراهيم بن طباطبا^(٦)، كان يتمتع بنفوذ كبير عند الإخشيد وكان يعد من أقرب مقربين إليه ، كما أنه حظي بعطف كافور، وكان من عادته أن يبعث إلى كثير من أهل مصر بالهدايا من الحلوى في شتي المناسبات وكان يرسل إلى كافور من الحلوى

(١) ابن دقماق المصدر السابق ٢٩/ص ٢٠.

(٢) المقريزي، الخطط، ج ١/ص ١٦٣.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٣٢٩.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٣٢٩.

(٥) ابن زولاق، اخبار سيويه المصري، ص ٢٣.

(٦) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ١/ص ٣٠٧.

في منديل مختوم^(١)، ومن آل طباطبا الشرف أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل، وقد ولي نقابة الطالبين بمصر على عهد كافور الإخشيد وابنة أبو محمد القاسم بن أحمد كذلك الحسين بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الحسن ابن طباطبا، وهم من أولاد السيد إبراهيم طباطبا ، وقد قدم إلي صر وتوفي فيها سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٤ ، وأصبح لهذه الأسرة مكانة مهمة في المجتمع المصري^(٢)، وكان بمصر من العلويين من غير بيت طباطبا ، ومنهم الحسن بن طاهر بن يحيى العلوي ، وكان مقرباً من الإخشيد وقد توسط بينة وبين ابن رائق ، حينما جاء ابن رائق مهاجماً مصر سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م ، كما أرسله الإخشيد أيضاً إلي سيف الدولة بن الحمدان ليفاوضه من أجل السلام^(٣)، وكان الحسن يتمتع بالاحترام بين كبار رجال الدولة الإخشيدية ، وقد قيل انه توسط في الصلح بين القاضي الحسين بن أبي زرعه والفقير أبي بكر بن الحداد أبو جعفر مسلم بن عبيد الله بن طاهر العلوي ، الذي كان يتمتع باحترام كافور^(٤) ، وقيل إن كافور كان يسير يوماً مع أبي جعفر بن مسلم وهو في موكب ، وبين يديه حاشية وخلفه دواب تحمل الأمتعة والمال وكانت قيمتها تزيد علي خمسة عشر ألف دينار اهداه الى ابي جعفر^(٥) ، ومنهم أبو محمد عبد الله أخو مسلم ، وكان غنياً ، وكان يعطف على الفقراء والأرامل والمنقطعين ، وكان الأشرف في مصر موضع الاحترام والتكريم من الشعب والحكومة في العصر الإخشيدي^(٦)،

أما كبار رجال الدولة في العهد الإخشيدي فمن أبرزهم أفراد أسرة الماذرائيين أبوبكر محمد بن علي الماذرائي وأبنه الحسين ، وقد تمتع الماذرائيون في مصر بثروة كبيرة ، وضياح واسعة وكان كبار أفراد هذه الأسرة يتخذون الحجاب تشبهاً بالأمراء^(٧)، وكان لمحمد بن علي الماذرائي ديوان كبير يشرف على ستين ألف محتاج كانت تجري عليهم الأرزاق، وكان الماذرائيون يعيشون في ترف ظاهر، وإن كانوا إلى جانب هذا يغدقون الخير والإحسان على الفقراء والمحتاجين^(٨)، وقد تعرض الماذرائيين للمصادرة من قبل الإخشيد ، ولكنهم كانوا ينهضون

(١) ابن زولاق، اخبار سيويه المصري، ص ٣٤.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ص ٣٥.

(٣) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٣١٠.

(٤) بدر، مصر الاسلامية، ص ٢٤٤.

(٥) ابن زولاق، اخبار سيويه المصري، ص ٤٢.

(٦) كاشف ومحمود، مصر في عهد الطولونيين والاششيديين، ص ٢١١.

(٧) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١/ص ١٦٥.

(٨) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٨/ص ١٩٧.

وتعود إليهم مكانتهم وثروتهم في فترة قصيرة جداً ، ويبدو أن سلطانهم كان يمتد إلى كثير من نواحي النشاط الاقتصادي في البلاد حتى ليصعب جريدهم من أموالهم تماماً^(١)، وقد كان لهم جوسق عظيم بني علي هيئة الكعبة ، وكان أهل الرياسة يجتمعون عنده في الأعياد ، ويوقدون فيه الشموع الكثيرة ، ويجتمع عنده القراء يتلون القرآن ، ويأتي المذريون ويفرقوا الهدايا والأموال على الناس في ذلك ليوم ، ولشدة حب الناس لأبي بكر الماذري فقد أحاط الفقراء والأيتام حول نعشه ليكون عليه^(٢).

ت- أهل الذمة :

أهل الذمة من اليهود والنصارى في العصر الإخشيدي يتمتعون بالحرية الدينية والطمأنينة ، ويمتلكون كثيراً من الأموال لأنهم كانوا يشتغلون الأعمال التي تدر الربح الكثير مثل الطب والتجارة ، ولأن السياسة التي وضعها الإخشيد كانت تقوم على أن جميع طوائف الرعية متساوون ويجب أن توفر لهم جميعاً سبل المعيشة الكريمة^(٣)، ويتضح هذا الأمر من الكتاب الذي بعث به الإخشيد إلي رومانوس صاحب الروم في عهده ، فقد جاء فيه " وسياستنا لهذه المالك قريبها وبعيدها على العظمة وسعتها بفضل لله علينا وإحسانه إلينا ومعونته لنا وتوفيقه إيانا ما كتبت إلينا وصح عندك من حسن السيرة وبما يؤلف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعية ويجمعهم علي الطاعة واجتماع الكلمة يوسعها الأمن والدعة في المعيشة ويكسبها المودة والمحبة"^(٤)، وكان كثير من المسيحيين من القبط الذين ظلوا علي دينهم ، كما كان بها بضعة آلاف من اليهود، وكان نشاطهم ملحوظا في الأعمال التي تدر الأرباح الوفيرة، وكان لأهل الذمة محاكمهم الكنسية الخاصة بهم^(٥)، وكانت العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة في العصر الإخشيدي طيبة، وكان يحدث أحياناً أن يتدخل الأمير الإخشيدي بينهم لفض لخصومات التي تقوم بينهم^(٦)

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨/ص١٩٨.

(٢) المسعودي، ج٢/ص٤٠٩.

(٣) كاشف، مصر في عهد الاخشيديين، ص٢٣٩.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٧/ص١٤.

(٥) ادم متر، الحضارة الاسلامية، ج٢/ص٣١٥.

(٦) كاشف، مصر في عصر الاخشيديين، ص٢٥٢.

ت- الرقيق :

كانت مصر في العصر الإخشيدى من أعظم أسواق الرقيق، وكانت قوافل تجلب إليها العبيد من الجنوب، وكان الرقيق الأبيض يصل إليها من بيزنطة وأرمينية و ثغور البحر المتوسط ومن أسواق الرقيق في سائر ديار لإسلام ، وكان تجار اليهود يستأثرون بجلب الغلمان والجواري من أوربا ^(١)

كان المسلمون يحسنون معاملة عبيدهم وإمائهم بروح الإسلام وتعاليمه ، وكان من العادات المحمودّة أن يعتق السيد كثيراً من العبيد الذين يملكهم ، ومن ذلك ما يقال عن عتق محمد بن على المانرائى مائة ألف مملوك في حياته كلها ^(٢) ، وكان كثير من العبيد المعتقين يحملون السلاح وينخرطون في سلك الجيش كان بعضهم يصل إلى أعلى المراتب في الجيش والإدارة والحكومة وخير مثال على ذلك كافور الإخشيدى ،الذي كان عبداً اشتراه حمد الإخشيد ، ثم معلم لأبنيه ثم الوصي على العرش، ثم الأمير على الديار المصرية.

ث- الاحتفالات الاجتماعية والمناسبات :

كان الشعب في مصر يحتفل بأعياد المسلمين وأعياد النصارى، فضلاً عن المناسبات التي تحتفل فيها الأسر بأعيادها الخاصة، وكانت الحكومة تشترك في الاحتفال بعيد الفطر ، وعيد النحر، وذلك بأن يقيم الجيش عرضاً كبيراً، وكذلك بإقامة المأدب لأفراد الشعب فيأكلون ويحملون ما يريدون من الطعام ^(٣)، ومن الأعياد التي كان المصريون يقبلون علي الاحتفال بها عيد الغطاس ، وقد كتب المسعودي عن الاحتفال بليلة الغطاس في مصر بعد أن شاهده بعينة قال "وليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها ، وهي ليلة أحدي عشر تمضي من طوبة وستة من كانون ، ولقد حضرت سنة ثلاثين ثلاثمئة ليلة الغطاس بمصر والإخشيد محمد بن طغج في داره المعروفة المختارة في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل مطيف بها ، وقد أمر فأسرج من جانب لجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل الشموع ،وقد حضر النيل في تلك الليلة أعداد وفيرة من الناس المسلمين النصارى، منهم في الزوارق ، ومنهم في الدور الدانية من النيل ، ومنهم على الشطوط لا يتكرون ، ويحضرون كل ما يمكنهم إحضاره من المأكّل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف ، وهي أحسن ليلة كون بمصر و أشملها سرورا ولا تغلق فيها

(١) كاشف، مصر في عصر الاخشيدين،ص٢٤١.

(٢) بدر،مصر الاسلامية،ص٢٥٤.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٨/ص١٩٧.

الدروب ويغطس أكثرهم في النيل يزعمون أن ذلك أمان من المرض ومبريء من الداء"^(١)، وكان الأقباط يحتفلون بعيد ميلاد المسيح عليه السلام ، كذلك كانوا يحتفلون بعيد العهد وذلك قبل عيد الفصح بثلاثة أيام ، لا توجد نصوص تاريخية تؤكد تراك الإخشيديين مع الأقباط بعيد الميلاد أو خميس العهد، وعيد الفصح كما اشترك الفاطميون من بعدهم، واحتفل المصريون في العصر الإخشيدي بفتح الخليج وتشترك الحكومة في هذا العيد ، كما كانوا يحتفلون أيضا بالنيروز القبطي وهو أول السنة قبطية بإيقاد النيران وصب الماء في طرقات وكان المصريون يتزاورون للتهنئة في أيام العيد والظاهر أن الأثرياء منهم كانوا يقدمون هدية من المال حين يزورون الفقراء من أصدقائه^(٢).

٦- التخليد الديني

بناء المساجد والمنشآت الدينية

أ- المسجد الجامع:

وهو من بناء الأمير علي بن الاخشيد سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م، يقع بالجيزة عندما كلف محمد بن عبد الله الخازن ، وعمل له مستغلا، وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة في مسجد همدان^(٣) ، ويبدو أن الفضل في بناء هذا المسجد كان لكافور لأن أهل الجيزة علموا أن الفضاء الذي شيد فيه هذا المسجد كان يراد أن تقام فيه حوانيت وغير ذلك من عمائر الاستغلال ولكنهم كانوا يريدون فيه مسجدا فخاطبوا كافورا في الأمر وتم لهم بناء المسجد^(٤)

ب- مسجد الفقاعي:

شيد في سفح جبل المقطم، وقد بناه كافور الاخشيدي، وينسب الى أبو الحسن علي بن الحسن بن عبد الله، كان أبوه فقاعيا بمصر، وهو مسجد كبير، ثم جدده وزاد فيه مسعود بن محمد صاحب الوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجري، وكان في وسط هذا المسجد محراب مبني بطوب يقال أنه من بناء حاطب بن أبي بلتعة مبعوث النبي محمد صلى الله عليه وسلم

(١) مروج الذهب، ٢/ص ٢٦٤.

(٢) المقرئزي، الخطط، ج ١/ص ٩٨.

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ١/ص ٣٨١.

(٤) كاشف، مصر في عهد الاخشيديين، ص ٢٨٨.

إلى المقوقس، ويقال أنه أول محراب اختط في مصر، وكان أبو الحسن التميمي قد زاد فيه ببناء قبل ذلك^(١).

ت- دعم العلماء والفقهاء

عندما حكم الإخشيديون مصر ازداد تيار العلم والأدب قوة وازدهارا، وكان السبب في ذلك أن الأمراء الإخشيديين وكبار دولتهم كانوا يعطفون على العلماء والأدباء، ويسدون إليهم كثيرا من العطايا، ويمدون إليهم يد العون^(٢). وكان ولاية الدولة الإخشيدية في مصر متدتين، وكان الإخشيد لا يتأخر عن صلاة الجمعة في الجامع العتيق في رجب وشعبان وكذلك رمضان، وكان يحضر ختم القرآن والدعاء في هذا المسج وقد دعت جاريته يوما إلى التكاسل عن حضور ختم القرآن في المسجد الجامع، فقال لها: ويحك! لعله يكون في هذه الليلة رجل صالح له عند الله منزلة فيكون في دعائه: "اللهم اغفر لجماعتنا"، فعسى أن أدخل فيهم، ثم ركب إلى الجامع، وحضر الصلاة والختم^(٣)، وكان يحب قراءة القرآن، ويبكي عند سماعها^(٤).

ولذلك فقد كان بلاط الإخشيد مجتمعا للعلماء والأدباء والفقهاء والأطباء^(٥)، وكان مقدارا لقيمة العلم والأدب، عارفا لقدرهما في رفعة الدول وانحطاطها، يصل أهل العلم بعطاياهم، ويرعاهم برعايته، ويستمع إلى أحاديثهم

وكان الإخشيد يصون مجلسه أن يجري فيه لغط أو قبيح، ولقد تنازع أبو بكر بن الحداد الفقيه وأبو الذكر محمد القاضي المالكي، وعبدالله بن الوليد، وجري بينهم لغط كثير، فلما انصرفوا، قال: يجري هذا في مجلسي! كدت والله أن أمر بأخذ عمائمهم^(٦).

وقد سمع الإخشيد بسببويه المصري وأنه عالم في كل فن، فطلب من غلمانته أن يأتوا به، فعندما جاؤوا به، طلب الإخشيد من أبي الحسن السامري، وكان ينقطع إلى الإخشيد أن يسأل سببويه: لم تبه الله بني إسرائيل أربعين سنة دون ثلاثين ودون خمسين، فسأله فقال: نعم؛ إنما تبه الله بني إسرائيل عقوبة، فجعلها أربعين سنة؛ لأن الجسد يقبل الغذاء والنماء أربعين سنة، فإذا خلفها وراءه رد الغذاء والنماء، فجعل الله أربعين سنة جزاء أربعين النعيم، فاستحسن الإخشيد

(١) المقرئزي، الخطط، ج ٤/ ص ٣٤٩.

(٢) حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج ٢/ ص ٥١٥.

(٣) كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص ١١٥.

(٤) كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص ١١٦.

(٥) عبدالمعزم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص ٣٤٩.

(٦) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ١٨٢؛ كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص ١١٢.

الجواب، وأمر الوزير صالح بن نافع أن يجري على سيبويه دينارين كل شهر، فكان أبوه يقبضهما إلى أن مات، فظل سيبويه يقبضهما إلى أن توفي صالح بن نافع سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م^(١).

وقد روي أنه كان بعصر الأمير محمد الإخشيد رجل يعرف بأبي القاسم بن عمرو بن نافع، وكان مشهوراً بعدله عند الشهود، وكان له ولد يكنى أبا جعفر يتقنه للشافعي، وكان أبو جعفر قد خرج إلى العراق فمكث هناك سنيناً ثم رجع إلى الشام، فأدخله أبو علي إلى الإخشيد بدمشق وعرف به، ووصفه له، فقال له الإخشيد: أبوك الأبرص، قال: نعم، فقال له: لمن تتقنه، قال: للشافعي، فقال له الإخشيد: أيش معنى قول المزني: "اختصرت هذا من قول الشافعي، ومن معنى قوله؟" فأجاب أبو جعفر، وكانت هذه صنعة فأحسن الجواب، واستحسن الإخشيد الجواب فولاه مظالم سواحل مصر^(٢).

وقد سار خُلفاء الإخشيد على نهجه في تشجيع العلماء والأدباء ومجالستهم، فكان أنوجور ابن الإخشيد يجالس سيبويه المصري ويُنادمه^(٣)، وقال له أنوجور "يا أبا بكر، أي شيء تحب؟ فقال: أحب ناعم الكساء، ولين الوطاء، وطيب الغذاء، ورفيع الحلوى أمراً غير مأمور وغير مقهور، يعرف حقِّي الرفعا، ولا يدنو منه الوضعا، معافى في جسمي، طويلاً عمري، مغفوراً ذنبي، مرغوباً لا مرهوباً مني"^(٤).

وتصلُ الحركة العلميَّة والأدبيَّة أوج ازدهارها في عهد كافور الإخشيد؛ فقد امتاز بحبِّه للعلم والعلماء^(٥)، وكان بلاطه قبلةً للعلماء والأدباء، فقد حرص أن يفوق في هذا الميدان بلاط الخليفة العباسي وسيف الدولة الحمداني^(٦)، ذكر ابن تغري بردي "وكان كافور يُدني الشعراء ويجزيهم، وكانت تُقرأ عنده في كلِّ ليلة السير وأخبار الدولة الأمويَّة والعباسيَّة"^(٧)، وكان له نظرٌ في العربيَّة والأدب والعلم^(٨)، وكان المتنبي قد سمع عن سخاء كافور، ومنَّحه الجوائز العلماء والأدباء؛ فقد سمع المتنبي أن محمد بن عاصم الشاعر، قد أنشد كافوراً قصيدةً على أثر

(١) ابن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص ٢٦، ٢٧.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ١٨١.

(٣) ابن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص ١٨، ٣٦.

(٤) ابن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص ٥٧.

(٥) العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ١٤٦.

(٦) الرفاعي و صالح، تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية الدولة الفاطمية، ص ١١٦.

(٧) النجوم الزاهرة، ج ٢/ص ٢٨٥.

(٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤/ص ٦.

زلزلة عظيمة وقعت بمصر، فخاف الناس من ذلك، وهربوا إلى الصحاري، وظنوا أنها القيامة، فدخل هذا الشاعر على كافور، وأنشده قصيدة عظيمة، من جملتها هذا البيت:

مَا زُلْزِلْتُ مِصْرُ مِنْ سُوءٍ يُرَادُّ بِهَا لَكِنَّهَا رَقَصَتْ مِنْ عَذْلِهِ طَرَبًا

فتفاعل كافور بها، وأجازه على هذه القصيدة ألف دينار^(١).

وقد عرف الولاة الإخشيدون قدر مصر ومنزلتها حتى بلغ الأمر أن كافورًا الإخشدي أمر عمر بن محمد بن يوسف الكندي المؤرخ المصري بأن يؤلف كتابًا يُبين فيه فضائل مصر، وما خصّها الله تعالى من الفضل والخيرات على كثيرٍ من البلدان^(٢).

وقد روي أن كافورًا أمر بعشرين ألف دينار لتوزّع على فقهاء الشافعية عندما سمع أن الخليفة عبدالرحمن الناصر الأندلسي أرسل عشرة آلاف دينار لتُفرّق على فقهاء المالكية^(٣)؛ ولذلك فقد ظهرت نهضة علمية وأدبية في عهده، ونبغ في مصر في عهده كثيرٌ من الفقهاء والأدباء والمؤرخين، من أمثال: أبي بكر بن الحداد، وتلميذه سيبويه المصري، وأبي عمر الكندي، والحسن بن زولاق^(٤)، فكان اجتماع هؤلاء بعضهم ببعض سببًا من أسباب تقدم الحركة الفكرية، ونمو الاجتماعات الأدبية^(٥).

وكما اهتم الولاة الإخشيدون بالعلماء والأدباء والفقهاء وشجعوهم، فقد اهتم بهم أيضًا وزراء هذه الدولة، ومدوا لهم كثيرًا من الأيادي،

فقد روي أن الوزير محمد بن علي بن مقاتل وزير الإخشيد كان يُجري على سيبويه المصري خمسة دنانير كلّ شهر^(٦)، وكانت دار فاتهك الإخشدي^(٧) مؤنلاً يضمُّ كثيرًا من الشعراء

(١) ابن خلكان، وفیات الأعيان، ج٢/ص٢٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/ص١٨١.

(٢) ابن زولاق، فضائل مصر، ص٤١٩.

(٣) عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٤٩، الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص١٤٢.

(٤) ابن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٦؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص١٥٥.

(٥) ابن زولاق، أخبار سيبويه المصري، ص٦.

(٦) ابن زولاق، ص٣٥؛ عبدالمنعم، محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٤٩.

(٧) هو أبو شجاع فاتهك الكبير المعروف بالمجنون، كان رومًا، أخذ صغيرًا، وهو ممّن أخذ الإخشيد من سيده بالرملة كرهًا بلا ثمن، وكان كريم النفس شجاعًا كثير الإقدام؛ ولذلك قيل له: المجنون، وكان مع كافور في خدمة الإخشيد، فلمّا مات وتقرّر لكافور الوصاية على ابني الإخشيد أنف من الإقامة في مصر؛ كيلا يكون تحت سيطرة كافور، وكان كافور يخافه ويكرمه فرعًا منه، فخرج فاتهك إلى الفيوم، ثم عاد مريضًا إلى مصر ليتداوى بها وكان في مدح المتنبّي له قوله:

والأدباء؛ فقد اشتهر هذا الأمير بجوده، وكان المتنبّي قد سمع بكرمه وكثرة سخائه، غير أنّه لم يقدر على قصد خدمته خوفاً من كافور، فقد كان فاتك مُنافساً خطيراً لكافور، ولكن جرى بينهما مفاوضات، وأرسل فاتك إلى المتنبّي هدايا كثيرة، واستأذن المتنبّي كافوراً في مدح فاتك، فأذن له^(١).

ث- العلوم الدينية

الفقه:

وقد تطوّر الفقه الإسلامي في مصر اثناء القرن الرابع ففي مُنتصف هذا القرن تعادل المذهب الشافعي والمالكي^(٢)، وكان هناك مذهب أقلّ شأنًا تؤيّدُه الخلافة وهو المذهب الحنفي، وأمّا المذهب الحنبلي فلم يكن له ذِكرٌ في مصر في هذه الأوقات^(٣).

ففي سنة ٣٢٦هـ/٩٣٨م كان للشافعيّين وأتباعهم في مسجد عمرو خمس عشرة حلقة، وللمالكيّين مثلها، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات فقط^(٤).

وكان في مقدمة فُقهاء الشافعيّة في مصر الإخشيديّة أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر المعروف بابن الحداد^(٥)، وكان "فقيهاً محققاً غوّاصاً على المعاني، تولى القضاء بمصر والتدريس، وكانت الملوك والرعايا تُكرّمه وتعظمه، وتقصده في الفتاوى والحوادث، وكان يُقال في زمنه: عجائب الدنيا ثلاث: غضب الجلال، ونظافة السجاد، والرد على ابن الحداد"^(٦)، وكان مُتصرِّفاً في علوم كثيرة من علوم القرآن الكريم، والفقه، والحديث، والشعر، وأيام العرب، والنحو واللغة وغير ذلك من العلوم الأخرى، ولم يكن في زمانه مثله، وكان محبباً عند كلّ الناس، الخاص منهم والعام، حتى سُمّي "فقيه الديار المصريّة".، توفي سنة ٣٤٤هـ/٩٤٥م، وحضر جنازته الأمير أبو القاسم أنوجور بن الإخشيد وكافور وجماعة من أهل البلد^(٧).

كَفَاتِكَ وَدُخُولُ الْكَافِ مُنْقَصَةً كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ،

(ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢/ص٢٤٩، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ص٥).

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ص٥.

(٢) كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٦، محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٢٢١.

(٣) كاشف، مصر في عصر الدولة الإخشيدية، ص٢٨٧.

(٤) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٧٣؛ كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٠٦.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٢/ص٣٢٧.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢/ص٣٢٧.

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢/ص٣٢٧. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١/ص٢٣٠.

وقد وُلّي الإخشيد ابن الحداد القضاء^(١)، وظلَّ أبو بكر بن الحداد ينظرُ في مشاكل الناس وقضاياهم في داره وفي الجامع حتى وردَ تقليد ابن أبي زرعة على القضاء من قبل ابن أبي الشوارب قاضي قضاة بغداد في سنة ٣٢٥هـ/٩٣٧م^(٢).

ومن فقهاء الشافعيّة الذين أدركوا العصر الإخشيدي أبو عبد الله الحسين بن أبي زرعة الدمشقي المتوفّى سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م، وقد تولّى القضاء في بداية حُكم الامير محمد الإخشيد^(٣).

أمّا فقهاء المالكيّة، فهناك عددٌ منهم أدرك العصر الإخشيدي منهم هارون بن محمد بن هارون الأسواني المتوفّى سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م^(٤)، وعلي بن عبد الله بن أبي مطر الإسكندراني المتوفّى سنة ٣٣٠هـ/٩٣٠م^(٥)، ومنهم أيضًا محمد بن يحيى بن مهدي الأسواني، وقد وُلّي قضاء مصر بأمرٍ من محمد بن طغج الإخشيدي^(٦)، فنظرَ وحكم، وركب لطلب هلال شهر رمضان، فأقام ينظرُ خمسة أيام^(٧)، وتوفي سنة ٣٤٠هـ/٩٤٠م^(٨)، وبكر بن محمد بن العلاء القشيري، وأصله من البصرة ثم رحل إلى مصر ومات بها سنة ٣٤٤هـ/٩٤٥م^(٩).

٧- التخليد الثقافي والفني

مظاهر التخليد في الشعر

هناك عدد من الشعراء الذين خلدوا الأمراء الاخشيديين في قصائدهم والتي حملت موضوعات مختلفة وكان ابرزهم :

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢/ص ٣٢٧.

(٢) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٧٠.

(٣) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٧٠.

(٤) كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص ٣٠٧.

(٥) كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص ٣٠٧.

(٦) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٧١.

(٧) الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٧١.

(٨) كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص ٣٠٨.

(٩) كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص ٣٠٨.

١- المتنبّي^(١): قال ابن العديم الحلبي ، ووقع إلي أجزاء من تاريخ مختار الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحي ، فقرأت فيه قصيدة لأبي الطيب يرثي بها أبا بكر بن طغج الإخشيد، ويعزي ابنه أنو جور بمصر سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م^(٢):

هو الزمان مُشْتٌ بالذي جمعا	في كلّ يومٍ ترى من صَرْفه بدعا
إن شئتُ مُتٌ أسفاً أو فابقَ مضطرباً	قد حلّ ما كنت تخشاه وقد وقعا
لو كان ممتنعٌ تُغْنِيه مَنَعته	لم يصنع الدهرُ بالإخشيد ما صنعا
لقد نعى من نعاه كلّ مفتخر	وكلّ جود لأهل الأرض حين نعى
لله ما حلّ بالإسلام حين ثوى!	لقد وهى شعب هذا الدّين فأنصدا

ومنها^(٣):

لئن مضيت حميد الأمر مفتقدا لقد تركت حميد الأمر متّبعا

ثم خرج من الرثاء إلى مدح ولد الإخشيد^(١):

(١) وهو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبّي الشاعر المشهور ، وقيل: هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار ، وهو من أهل الكوفة، اشتغل بفنون الأدب ومهر فيها، وكان من الكثيرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشها، ولا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر، ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة، ومدح كافوراً الإخشيدي وأنو جور ابن الإخشيد، وكان يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسط سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق، ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة، ووجه كافور خلفه رواحل إلى جهات شتى فلم يلحق، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله، فلما رأى تعاليه في شعره وسموه بنفسه خافه، وعوتب فيه فقال: يا قوم، من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم، أما يدعي المملكة مع كافور فحسبكم، قال أبو الفتحوبي ما يزود الشعر عني أقله ... ولكن قلبي يا ابنة القوم قلب فقلت له: يعز علي، كيف يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة فقال: حذرناه وأنذرناه فما نفع، ألسنت القائل فيه: أذا الجود، أعط الناس ما أنت مالك ... ولا تعطين الناس ما أنا قائل فهو الذي أعطاني كافوراً بسوء تدبيره وقلة تمييزه. قتل سنة ٣٥٤هـ، (ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١/ص١٢٠؛ الذهبي، سير اعلام، ج١٦/ص١٩٩).

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٢/ص٦٧٥؛ الدمشقي، الصبح المنبي عن حيثة المتنبّي، ص١١٥.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٥/ص١٨٧.

ثبت الجنان فلا نكس ولا ورع تلقاه مؤتزرا بالحزم مدّرعاً
أعطت أبا القاسم الأملاك بيعتها ولو أبّت أخذت أسيافه البيعا
وانقّاد أعداؤه ذلاً لهيبته وظلّ متبوعهم من خوفه تبعاً
أضحت به همم الغلمان عالية كأنّ مولاهم الإخشيد قد رجعا

اما عن علاقته بكافور فقد خلّدتها المصادر التاريخية حسب السنوات من مديح وهجاء , يقول ابن تغري بردي واصفاً أحوال المتنبّي مع كافور وما مدحه به من القصائد, بعد مفارقة المتنبّي سيف الدولة بن حمدان مغاضباً له، وقصد كافورا الإخشيدي ودخل مصر ومدحه بقصيدته التي منها^(٢):

قواصد كافور توارك غيره ومن ورد البحر استقلّ السواقيا
فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا

وقد ارخ هذه القصيدة في جمادي الآخرة سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م وهو أوّل مديح قاله لكافور , وفي شوال من سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م, قال قصيدته البائية التي يقول فيها^(٣):

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه وإن لم أشأ تملّ على فأكتب
إذا ترك الإنسان أهلاً وراءه ويممّ كافورا فما يتغرّب

ومنها أيضاً^(٤):

فإن لم يكن إلّا أبو المسك أوهم فإنّك أحلى في فؤادي وأعذب
وكلّ امرئ يولى الجميل محبّب وكلّ مكان ينبت العزّ طيّب

(١) النويري, نهاية الأرب, ج ٥/ص ١٨٧.

(٢) النجوم الزاهرة, ج ٤/ص ٧.

(٣) المقرئ, الخطط, ج ٢/ص ٣٧٧.

(٤) المقرئ, الخطط, ج ٢/ص ٣٧٧.

وآخر شيء أنشده في شوال سنة ٣٤٩هـ، ٩٦٠م ولم يلتقي بكافور ^(١):

أرى لى بقربى منك عينا قريرة
وهل نافعى أن ترفع الحجب بيننا
وإن كان قربا بالبعداد يشاب
ودون الذي أمّلت منك حجاب

ومنها ^(٢):

وما أنا بالباغى على الحبّ رشوة
وما شئت ألا أن أدلّ عواذلى
ضعيف هوى يبغى عليه ثواب
على أن رأيى في هواك صواب
وأعلم قوما خالفونى فشّرقوا
وغرّبت أنى قد ظفرت وخابوا

ومنها:

وإنّ مديح الناس حقّ وباطل
إذا نلت منك الودّ فالمال هين
ومدحك حقّ ليس فيه كذاب
وكلّ الذي فوق التراب تراب
وما كنت لولا أنت إلا مهاجرا
ولكنّك الدنيا إلى حبيبة
فمالي إلا إليك ذهب

وأقام المتنبي بعد إنشاد هذه القصيدة سنة لا يلقى كافورا غضبا عليه، لكنه يركب في خدمته خوفا منه ولا يجتمع به؛ واستعدّ للرحيل في الباطن وجّهز جميع ما يحتاج إليه. وقال في يوم عرفة قبل مفارقتة مصر بيوم واحد قصيدته الدالية التى هجا كافورا فيها، وفي آخر هذه القصيدة المذكورة يقول ^(٣):

من علّم الأسود المخصّى مكرمة
أم أذنه في يد النخّاس دامية
أقومه البيض أم آباؤه الصيد
أم قدره وهو بالفلسين مردود

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٤/ص١٠٠.

(٢) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ص٨.

(٣) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٢٦/ص١٥١.

ومنها^(١):

وذاك أنَّ الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السّود

قصائد المتنبي بكافور^(٢) كفى بك داء

فارق أبو الطيب سيف الدولة ورحل إلى دمشق وكاتبه الأستاذ كافور بالمسير إليه ، فلما ورد مصر أخلّى له كافور داراً وخلع عليه وحمل إليه آلافاً من الدراهم فقال يمدحه وأنشده إياها في جمادى الآخرة سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م^(٣):

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً
تمنيتهما لما تمنيت أن ترى
إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة
وَحَسْبُ الْمَنِيَا أن يكن أمانيا
صديقاً فأعيا أو عدوا مداجيا
فلا تستعدن الحسام اليمانيا

الملك الأستاذ^(٤)

يمدحه وأنشده إياها في سلخ شهر رمضان سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧ م :

ترعرع الملك الأستاذ مكتهلاً
مجرّباً فهماً من قَبْلِ تَجْرِبة
حتى أصاب من الدنيا نهايتها
مَضَعَ الكلامَ وَلَا صَبَغَ الحواجيب
أَوْراقُهُنَّ صَقِيلَاتِ العراقيب
تركتُ لَوْنٍ مشيبي غير مَحْصُوب

لا مجد في الدنيا لمن قل ماله^(٥)

فلا مجد في الدنيا لمن قتل ماله
وفيالناس من يرضى بميسور عيشه
ولكن قلباً بينَ جَنبي ماله
يرى جسمه يكسى شُفُوفاً تَرَبُّه
فما طلبي منها حبيباً ترده
تكلف شيء في طباعك ضده
مَهَا كُلُّهَا يولى بحفنيه خده
وقد رحلوا جيد تناثر عقده

(١) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٢٦/ص١٥١.

(٢) عزام ، ديوان المتنبي، ص٤٤٧.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ج٥/ص١٦؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٦/ص١٩١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٧/ص١٣٢.

(٤) عزام ، ديوان المتنبي، ص٤٤٨.

(٥) عزام ، ديوان المتنبي، ص٤٥٣.

الدار المباركة^(١)

دخل على الأستاذ كافور بعد انتقاله من دار البركة إلى الدار الثانية فقال وأنشده إياها
في شهر محرم سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨ م :

أحق دار بأن تُدعى مُباركة	دار مُباركة الملك الذي فيها
وَأَجْدَرُ الدُّورِ أَنْ تُسْقَى بِسَاكِنِهَا	دار غدا الناس يستسقون أهلها
هذه منازلُكَ الأُخْرَى نُهْنِئُهَا	فَمَنْ يَمُرُّ عَلَى الْأُولَى بِسَلِيهَا
إذا حللت مكاناً بعد صاحبه	جَعَلْتُ فِيهِ عَلَى مَا قَبْلَهُ تِيهَا

كل مكان ينبت العز طيب^(٢)

يمدحه في شوال سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨ م :

وأخلاق كافور إذا شئت مَدَحَتْهُ	وإن لم أشأ تملي علي وأكْتُبُ
إذا ترك الإنسان أهلاً وِراءَهُ	وَيَتَمَمَّ كَافُوراً فَمَا يَتَغَرَّبُ
فتى يملأ الأفعال رأياً وحكمة	وَنَادِرَةً أَحْيَانَ يَرْضَى وَيَغْضَبُ

- جدك طعان بغير سنان^(٣)

يذكر قيام شبيب العقيلي على الأستاذ كافور وقتله بدمشق سنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩ م :

وما لك تعنى بالأسنة والقَنَا	وَجَدَكَ طَعَانَ بِغَيْرِ سَنَانٍ
ولم تتحمل السيف الطويل نجاده	وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَدَثَانِ
أرد لي جميلاً جدت أو لم تجد به	فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِي أَتَانِي

خير جليس كتاب^(٤)

يمدحه وأنشده إياها في شوال سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠ م، وهي آخر ما أنشده ولم يلقيه بعدها :

(١) عزام ، ديوان المتنبي، ص ٤٥٨.

(٢) بامخرمة ، قلادة النحر، ص ٤٨.

(٣) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ص ٢١٦.

(٤) عزام ، ديوان المتنبي، ص ٥٠٠.

أعز مكان في الدُّنى سرج ساج
وَبَحْرُ أَبِي الْمَسْكِ الْخَضَمِ الَّذِي لَهُ
تجاوز قدر المدح حتى كأنه
وخير جليس في الزمان كتاب
على كُلِّ بَحْرٍ رَخِرَةٌ وَعَبَابُ
بأحسن مَا يُثْنَى عَلَيْهِ يُعَابُ

يهجو كافوراً وقد نظر إلى شقوق في رجليه^(١)

ويذكرني تخييط كعبك شقه
وَلَوْ لَا فُضُولُ النَّاسِ جُنْتُكَ مَادِحاً
فأصبحت مسروراً بما أنا مُنْشَد
ومشيك في ثوب من الزيت عارياً
بما كنتُ في سري به لك هاجياً
وإن كان بالإنشاد هجوك غالباً

فإن كنت لا خيراً أفدت فإنني
وَمِثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ
أفدت بلحظي مشفريك الملاحا
ليضحك رَبَاتِ الْحَدَادِ الْبَوَاكِ

كأن الحر بينهم يتيم^(٢) وقال يهجو أيضاً

أما في هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمُ
أما في هَذِهِ الدُّنْيَا مَكَانُ
تشابهتِ الْبَهَائِيْمُ وَالْعَبْدَى
ومما أدري إذا داء حديد
تَزُولُ بِهِ عَنْ الْقَلْبِ الْهَمُومُ
يُسَرُّ بِأَهْلِهِ الْجَارُ الْمُقِيمُ
عَلَيْنَا وَالْمَوَالِي وَالصَّمِيمُ
أصابَ النَّاسَ أَمْ دَاءٌ قَدِيمُ

لا تشتتر العبد^(٣) ! قالها عند خروجه من مصر :

لا تشتتر العبد إلا والعَصَا مَعَهُ
ما كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ
إنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسَ مَنَاقِيدِهِ
يُسيءُ بِي فِيهِ عَبْدٌ وَهُوَ مُحْمُودُ

٢- سعيد قاضي البقر^(٤) :

(١) عزام ، ديوان المتنبي، ص ٥٠١.

(٢) ديوان المتنبي، ص ٥٠٢.

(٣) ديوان المتنبي، ص ٥٠٦.

(٤) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص ١٨٤.

وهو من أشهر شعراء في عصر الدولة الإخشيدية، واسمه أبو القاسم سعيد، وكان معروفًا بقاضي البقر، وكان من شعراء أبي الجيش ابن طولون، وكان مُقَرَّبًا إلى الإخشيد، وكان يبيت عنده، يُحَادِثُهُ، وَيُسَامِرُهُ، فقد كان حلو الفكاهة ومليح الحديث، وكان يَصِفُ أخلاق الإخشيد وإمساكه، ومن شعره قوله:

مُطَرِّحًا نُضَحَّ كُلَّ لَاحٍ	حَيَّ عَلَى الْكَأْسِ فِي الصَّبَاحِ
فَأُنْتُ مِنْهُ عَلَى جَنَاحِ	وَأَنْتَ هَبِ الْعَيْشَ مَا تَأْتِي
عَمُوا عَنِ الشَّرَابِ وَالْمَلَا حِ	وَأَجْرَيْنَ مَنْ عُقُولِ قَوْمِ
يَا رَبِّ ذَرْنِي بِلَا فَلَاحِ	يَا رَبِّ دَعْنِي بِلَا صَلَاحِ

٣- محمد بن الوزير أبو الحسين الحافظ:

محمد بن الوزير أبو الحسين الحافظ، أصله من بغداد له شعر لا بأس به، في كتاب التاريخ لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني قال هنا أبو الحسين محمد بن الوزير الحافظ الأخشيدي بعيد الفطر في بيتين:

رب قليلٍ من المعاني	موقعه موقع الكثير
هنئ بالفطر كل شيءٍ	وهنئ الفطر بالأمير ^(١)

٤- الباذنجاني:

محمّد بن الحسن بن زكرياء بن أسد المعروف بالباذنجانى صاحب ابن دُرَيْدَ قَالَ يرثى الأخشيديّ محمّد بن طعج بقصيدة مِنْهَا^(٢)

لَيْسَ مَنْعَى الْأَخْشِيدِ مَنْعِي مَلِيكَ	مَاتَ لَكِنْ مَوْتَ النِّهْيِ وَالْمَعَالِي
كَانَ غِيثُ الْأَنْامِ أَنْ أَخْلَفَ الْغِيثَ	اطْلُبْتَ سَحَابَهُ بَانْهَمَالِ

وانشد في رثاء الأمير محمد لما توفي، قال المقرئزي^(٣)، وسار كافور الإخشيدى بالعسكر، ومعه أبو الفتح مزاحم بن محمد بن رائق مقيداً وقدم إلى الفسطاط في أحسن زيّ وأكمل عدّة في سلخ

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٦/ ص ١٧٨.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢/ ص ٢٥٧.

(٣) المقفى الكبير، ج ٢/ ص ١٧٨.

صفر. وجلس أونوجور جلوسا عامًا للناس وأنشد الشعراء في رثاء أبيه... وأنشد محمد بن الحسن بن زكريا بن أسد قصيدة أولها:

والبرايا دريئة الأجال	فى الرزايا روائع الأوجال
للورى فى تفكر الأحوال	وكذا الليل والنهار اعتبار
قصره للفناء أو للزوال	كلّ شيء وإن تمادى مداه
كونها مؤذن بوشك انتقال	وأرى كلّ عيشة لأناس

ثم خرج من الرثاء إلى مدح ابنه فقال^(١):

لما خبا طلوع الهلال	إن خبا بدره فقد لاح للأمة
منير وليس ذا اضمحلال	نوره مشرق مضى مدى الدهر

٥- مهمل^(٢) بن يموت بن المزرع بن يموت أبو نضلة العبدي:

شاعر مليح الشعر في الغزل وغيره، وهُوَ بصري الأصل، سكن بَغْدَاد، وَسَمِعَ مِنْهُ وَكَتَبَ عَنْهُ شِعْرُهُ أَوْ بَعْضُهُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِتَوَزُون، وَهُوَ مِنْ شُعْرَاءِ الْعَصْرِ الْإِخْشِيدِيِّ بِمِصْرَ، أورد النويري قصيدة له في رثاء الإخشيد منها قوله^٣:

عليها، سورا على الإسلام	أسلمتك الخيول قسرا وقد كنت
والحتف عندها في السهام	لم تردّ القسيّ عنك سهام الحتف

وقال يرثيه أيضا:

أى ركن أضحى حديث انهدام	أى عزّ مضى من الإسلام!
هوليثت الشرى وغيث الغمام	ذاق موتا محمد بن طغج

(١) النويري، نهاية الارب، ج ٥/ ص ١٨٦.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٥/ ص ٣٦٨؛ ياقوت الحموي، معجم الأديباء، ج ٦/ ص ٢٨٤٥.

(٣) النويري، نهاية الارب، ج ٥/ ص ١٨٦.

المؤلفات في سيرة الأمراء الاخشيديون:

١- كتاب (العيون الدعج) ، وهو كتاب في سيرة محمد بن طغج وذلك عندما كلف علي بن الإخشيد الحسن بن زولاق^(١) بأن يكتب كتاباً يتناول فيه سيرة أبيه محمد بن طغج الإخشيد^(٢)، وقد تحدث ابن زولاق عن مصادر معلوماته في كتابه هذا جاءت من مصدرين، أما المصدر الأول، فإنه قائم على المعاصرة للآحداث التاريخية التي جسدتها سيرة الأمير محمد بن طغج، أما المصدر الثاني فكان السماع والمقابلات الشخصية مع شخوص الحدث التاريخي في مدة حكم الأمير محمد، وسوف اعرض شهادة ابن زولاق عن كتابه هذا بقوله " ولم أضمن هذه السيرة إلا ما شاهدته أو أخبرني به من أثق به حسبما أمكنني "، وللكتاب تكملة أيضا اتمها بسيرة أونوجور بن الأخشيد وأخيه علي وكافور وأحمد بن علي بن الأخشيد والقائد جوهر إلى أن دخل المعز الفاطمي مصر وصارت دار خلافته ، الكتاب لم يصلنا مخطوطا كاملاً، وانما حفظها لنا عدد من المؤرخين ابرزهم المقرئ جاعلاً عنوانها " إتمام أخبار أمراء مصر للكندي " ، ويبدو أن ابن زولاق رأى أن تكون كل هذه السير سيرة متصلة، ولكنها فصلت بعضها عن بعض، وذكرت كل سيرة منها على حدة. وهذه السيرة سيرة محمد بن طغج قد نقلها أو نقل معظمها ابن سعيد في المغرب (قسم مصر)، ونقل ابن العديم بضع فقرات منها، نشر الكتاب في لندن - ١٨٩٩م، وفي القاهرة ١٩٥٣ وفي بيروت ١٩٨٨ ضمن مجموعة^(٣).

٢- كتاب (سيرة الكافور الاخشيدى)^(٤)، ألفه الفرغاني، وهو أحمد بن عبد الله بن أحمد، أبو منصور، وكان أبوه صاحب المؤرخ حمد بن جرير الطبري محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، روى الفرغاني عن أبيه تصانيف محمد بن جرير، وصنف الفرغاني عدة تصانيف منها كتاب

(١) هو أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن زولاق اللبني المصري، ولد بفسطاط مصر في شعبان سنة ٣٠٦هـ (١٩١٩م - ٩١٩هـ)، وتوفي في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٣٨٧هـ (٩٩٧م)، نشأ في مهد العلم والدرس، فكان جدّه الحسن بن علي من مشاهير العلماء، ودرس الفقه على أبي بكر بن الحداد، ودرس الرواية التاريخية على أبي عمر الكندي، وللأسف لم يصلنا من تراثه إلا كتاب أخبار سيبويه المصري رغم أنه كان من أشهر مؤرخي الدولة الإخشيد، (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١/ص ١٦٧).

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٥/ص ٢٤٠٩؛ ابن الساعي، الدر الثمين في أسماء المصنفين، ص ٣١٨. البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١/ص ٢٧٣.

(٣) قره بلوط وآخرون، معجم تاريخ التراث الإسلامي، ج ٢/ص ٨٠٠.

(٤) البغدادي، هدية العارفين، ج ١/ص ٦٩.

التاريخ وصل به تاريخ والده، وكتب (سيرة العزيز صاحب مصر) و(سيرة كافور الإخشيدي)، وكان مقامه بمصر، وبها مات سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٨م^(١).

ج- وهناك مؤلفات ألفها أصحابها كهدايا للأمراء الاخشديين، وذكرت كتب الفهارس ان عمر بن محمد بن يوسف الكندي، ألف كتاب فضائل مصر ألفه للأمير أبي المسك كافور الإخشيدي^(٢)

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٧١/ ص ٢٢٩، ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٣/ ص ١٣٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١/ ص ٢٩٤.

(٢) سزكين، تاريخ التراث العربي، ج ٢/ ص ٢٤٠.

الخاتمة

١- تُظهر نتائج هذه الدراسة أن ظاهرة التخليد في الدولتين الطولونية والإخشيديّة لم تكن مجرد تعبير فني أو عمراني معزول، بل كانت ممارسة واعية ارتبطت بطبيعة السلطة والسياق السياسي الذي نشأت فيه.

٢- لجأ حكام هاتين الدولتين إلى توظيف مظاهر التخليد بوصفها وسيلة لإثبات الوجود السياسي وترسيخ الشرعية، ولا سيما في ظل ضعف السلطة المركزية العباسية.

٣- كما تكشف الدراسة أن التخليد اتخذ أشكالاً متعددة، تنوّعت بين العمارة والنقود والرموز الإدارية، بما يعكس وعي السلطة بأهمية الرمز المادي في مخاطبة الوعي الجمعي، سواء على مستوى النخبة أو العامة، ويلاحظ أن هذه المظاهر لم تكن ثابتة، بل خضعت لتحولات فرضتها الظروف السياسية والاقتصادية لكل مرحلة.

٤- أن التخليد في التجريبتين الطولونية والإخشيديّة مثّل حلقة وصل بين البعد الحضاري العام والوظيفة السياسية الخاصة، مما يمنح الظاهرة طابعاً مركباً يتجاوز التفسير الأحادي، وبذلك تسهم هذه الدراسة في إعادة قراءة مظاهر التخليد بوصفها خطاباً سياسياً غير مباشر، يسعى إلى الديمومة والرسوخ في الذاكرة التاريخية.

٦- أظهرت الدراسة أن التخليد في عصر الدوليين الطولونية والإخشيديّة قد اتخذ مفاهيم متعددة اتصفت جميعها بسمات وخصائص المفهوم التاريخي للتخليد وهو البقاء والديمومة الدنيوية، ولعل أبرز هذه المفاهيم، المفهوم المعنوي للتخليد أو الروحي والذي ظهر واضحاً في النتاج الأدبي والشعري في هاتين الدوليتين، فقد أدرك امرأوا أهمية الشعر في تحقيق الخلود المعنوي، لذلك سعوا إلى تحقيق ذلك بجعل بلاطهم وقصورهم مركز جذب واستقبال الشعراء والادباء وصرف الأموال عليهم، وأدركوا أن تحقيق ذلك يعد السبيل إلى تخليدهم، وقد تصدر شعراء الدولتين الطولونية والإخشيديّة في ترجمة هذا النوع من الخلود عن طريق قصائد الشكر والثناء فضلاً عن قصائد المديح والثناء، وكانت مواضيع الشعر متنوعة وشاملة لتاريخ الأمراء وسيرهم بشكل خاص وتاريخ الدولة ومنجزاتها بشكل عام بعد زوالهما فكانت قصائد رثاء الدولة من أهم سمات التخليد المعنوي، أما المفهوم الآخر للتخليد فهو التخليد المادي والذي تمثل بالنتائج العمرانية وسك النقود والتي حاول فيها امرء الدولة الطولونية والأخشيديّة تخليد تاريخهم واتخذ أشكالاً مختلفة، فقد ظهرت المباني ذات الطابع الإداري والسياسي مثل بناء مدينة القطائع وهي ثالث مدينة تم بناؤها في مصر بعد الفسطاط والعسكر في العصر

الاسلامي، والتي اعتقد أحمد بن طولون من خلالها أن تخلد ذكره إلى مدة زمنية طويلة الأمد، وهناك المباني الدينية وتأتي في مقدمتها عمارة المساجد، وقد اشترك امرء الدولتين في هذا المسعى، ولزال مسجد أحمد بن طولون شاهد على هذا التخليد، فضلاً عن النقوش والكتابات التي زينت هذه المباني والتي حملت أسماء بانيها من الأمراء وتواريخ انشائها، ولا يزال يعثر عليها جراء التنقيبات لتكشف أهمية التخليد المادي في عصر تلك الدولتين

٧- كشفت الدراسة ان التخليد في عصر الدولتين الطولونية والاشيدية قد اتخذ أنماطاً واتجاهات متعددة فضلاً عن انه شكل ظاهرة ايجابية للتخليد في مصر والشام والذي تمثل في جوانب عدة: ففي الجانب السياسي بينت الدراسة أن الأمراء الطولونيين والأشيديين كانوا مطيعين للخلافة العباسية وكانت علاقة أمراء تلك الدولتين في الغالب الأعم ودية يسودها الاحترام ، لذلك فأن مظاهر التخليد السياسي تمثلت بتوثيق تلك العلاقات ثملت بمراسيم تعيينهم وتولييتهم بمنشور من بلاط الخليفة رسمياً وإعلانه في مساجد مصر ، فضلاً عن مظاهر التخليد في الخطبة والدعاء والاحتفالات الدينية.

٨- بينت الدراسة ان مظاهر التخليد في الجانب العسكري من خلال الاهتمام ببناء الجيش وتدريبه وتسليحه، وقد امكن معرفة أعداد الجيش الطولوني والذي بلغ مائة ألف مقاتل من جنسيات مختلفة يقابله أربعمائه الف جندي في العهد الأشيدي، ولم تقتصر جهودهم في كلا الدولتين على الجيوش البرية بل تعداه إلى بناء أسطول بحري عسكري كبير من اجل الحفاظ على حدود مصر البحرية وتم بناء مراكز لصناعة السفن.

٩- تناولت الرسالة التخليد الإداري في مصر والشام، وان اهم ما يميز مظاهر هذا التخليد كان تعيين ذوي المناصب العليا في الادارة من الوزراء ورؤساء الدواوين تتم عن طريق الأمراء الطولونيين والاشيدين وتمنح لهم صلاحيات مقيدة، فوزراؤهم كانوا وزراء تنفيذ لا تفويض، وان سلطة تعيين القضاة كانت لا تتم الا بموافقتهم بعد ان كانت حصراً من بغداد، فكانت سببا في تخليد افعالهم في هذا الجانب.

١٠- كشفت الدراسة عن أهمية الجانب الاقتصادي واثره في تخليد ذكرى الأمراء الطولونيين والاشيدين وتجلى ذلك بالمشاريع العمرانية الكبرى التي اقاموها في مصر ولا سيما بناء المدن وبرزها القطائع والتي تحتاج الى اموال كثيرة واستخدام ايدي عاملة من اجل البناء فتساهم في تنشيط الوضع الاقتصادي، كذلك فان هذه المدن لم تعد أماكن للسكن وبناء القصور والدور فقط بل تحولت الى مراكز تجارية مزدهرة كونها

أصبحت أماكن لجذب التجار لتصريف بضائعهم عن طريق الاحتفالات والمناسبات التي كانت تقام وتصرف فيها أموال كثيرة لشراء السلع والبضائع الأمر الذي يساهم في تنشيط حركة السوق، كلها عوامل ساهمت في تحسين الوضع المعاشي وتنشيط الحركة الاقتصادية الأمر الذي انعكس إيجاباً على مظاهر التخليد في كلا الدولتين، لا سيما أن أمراء الدولتين قد اتجهوا إلى الإشراف المباشر على مالية مصر والشام بسيطرتهم على ديوان الخراج وهو الديوان المسؤول عن مالية الدولة، فأصبحت الأموال تحت تصرفه بعد أن كانت بإشراف مباشر من الخليفة العباسي.

١١- أظهرت الدراسة أثر الجانب الاجتماعي في تخليد الأمراء الطولونيين والأخشيديين عن طريق دعم طبقات المجتمع المتنوعة في مصر والشام ولا سيما أهل الذمة وقد تنوعت أشكال التخليد في ذلك من خلال تخفيف الضرائب وتعمير أماكن العبادة الخاصة بهم والمشاركة في مناسباتهم الدينية، وتجلي التخليد الاجتماعي كذلك في ملف الخدمات العامة ولا سيما بناء المستشفيات وتوفير العلاجات، وتخصيص الأموال على الموائد وتوفير الأطعمة في مطابخهم لتوزع على المحتاجين.

١٢- أتصف التخليد الديني بمظاهره المتعددة والتي ركزت أساساً على بناء المساجد وتعميرها وهي تمثل إحدى مظاهر التخليد المادي، ومن أشهر المساجد التي خلدت الدولة الطولونية، مسجد أحمد بن طولون والذي لا زال ذكره وهو يعد من روائع فن العمارة الإسلامية بما يحمله من نقوش وكتابات والطرارز العمراني الذي بني فيه والذي كان له انعكاس واضح على فن العمارة الأوروبية، وهناك المسجد الجامع الذي بناه الأمير علي الأخشيدي، وقد سار معظم أمراء الدولتين على هذا النهج في تخليد ذكراهم وتمجيد أدائهم في الجانب الديني، والذي لم يقتصر على بناء وعمارة المساجد بل شمل أيضاً تقريب العلماء ورعايتهم بدعوتهم إلى مجالسهم ومجالستهم ولا سيما الأمراء الإخشيديين الذين عرفوا بتدينهم وحضورهم الصلوات في المسجد ولا سيما صلاة الجمعة.

١٣- أسهم الجانب الثقافي والعلمي في تخليد أعمال الأمراء الطولونيين والإخشيديين لاسيما التخليد الشعري في مآثرهم وأعمالهم، فقد ساهم الشعر في تخليد الأمراء بشكل خاص وتاريخ دولهم بشكل عام، فكان الشعر أحد أهم وسائل التخليد الثقافي، فضلاً عن مظاهر التخليد في العلوم العقلية والنقلية والتي أظهرت اهتماماً ملحوظاً من الأمراء ولا سيما الطولونيون، فقد وصف الأمير أحمد بن طولون بحبه لحفظ القرآن وقرب العلماء، وكانت

له مجالس علمية, فكان ذلك سبباً في تقريب والعناية بالعلماء الوافدين الى مصر ، وكذا الحال مع الدولة الإخشيدية.

التوصيات :

- ١- التوسع في دراسة ظاهرة التخليد بوصفها ظاهرة ذات أبعاد سياسية وحضارية، وعدم الاكتفاء بالمعالجة الوصفية لها.
- ٢- اعتماد المقارنة المنهجية بين مظاهر التخليد في الدول الإسلامية المختلفة للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في توظيف الرموز والشواهد.
- ٣- توجيه الاهتمام إلى تحليل الشواهد المادية، ولا سيما النقود والعمارة، وربطها بالسياق السياسي والاجتماعي الذي أنتجت فيه.
- ٤- دراسة مظاهر التخليد في فترات الاضطراب السياسي وانتقال السلطة لما تكشفه من آليات ترسيخ الشرعية.

الملاحق

شكل رقم (١)

١- دنانير أحمد بن طولون

ج- (مصر ٢٦٦هـ)^(١)

الوجه	الظهر
المركز:	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحدة	محمد
لا شريك له	الله
المفوض إلى الله	رسول
المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدين في	المعتمد على الله
مصر سنة ست وستين ومائتين	أحمد بن طولون
المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد	المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
الوزن = ٤.٢٢ غم القطر = ٢٢ مم	المشركون.
	

ح- دينار الرافقة سنة ٢٦٦هـ^(٢)

الوجه	الظهر
المركز:	المركز:
لا إله إلا	الله

(١) فهمي، موسوعة النقود العربية، ج ١/ص ٧٩٧؛ الجابر، النقود العربية الإسلامية في متحف قطر

الوطني، ج ٢/ص ١٣ .

(٢) الجابر، النقود العربية الإسلامية، ج ٢/ص ١٢.

محمد الله رسول المعتمد على الله أحمد بن طولون المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. 	الله وحده لا شريك له المفوض إلى الله المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدينر بالرافقة سنة ست وستين ومائتين المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن ٤.١٥ غم, القطر ٢٣.٤ مم 
---	--

خ- مصر ٢٦٧هـ^(١), وفي الرافقة^٢

الظهر المركز الله محمد رسول الله المعتمد على الله أحمد بن طولون المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين	الوجه المركز : لا إله إلا الله الله وحده محمد لا شريك له المفوض إلى الله المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدينر
--	---

(١) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ١٣؛ Lavoix, Muslmanes ele la

Bibliothegue Nationals, ٣ Vols.p١٢

(٢) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ١٩٩.

الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون 	بمصر سنة سبع وستين ومائتين المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن: ٤.٩٢ غم, القطر: ٢٢ مم 
---	--

مصر ٢٦٨هـ^(١), وفي الرافقة^٢

الظهر المركز:	الوجه المركز:
الله محمد رسول الله المعتمد على الله أحمد بن طولون	الله الله وحده محمد لا شريك له المفوض إلى الله
المدار: محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون	المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدين بمصر سنة ثمان وستين ومائتين. المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الخ الوزن: ٤,٢٠ غم, القطر: ٢٣ مم

(١) فهمي, موسوعة النقود العربية, ج ١/ص ٧٩٨؛ الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ١٤ .

(٢) Lane, Poole, S, Catalogue of The Collection of Arabic Coins Preserved in The khedivial, p ١٣٦.



د- مصر ٢٦٩هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز:	المركز
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول الله
المفوض إلى الله	المعتمد على الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة تسع وستين ومائتين.	أحمد بن طولون
المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
الوزن: ٤.٢٣ غم, القطر: ٢٣ مم	
	

ذ- الرافقة ٢٧٠هـ^(٢)

الوجه	الظهر
-------	-------

(١) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج٢/ص ١٤ ؛ ١٠, Grabar, O. The Coinage of The Tulunids, p.

(٢) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج٢/ص ١٦.

المركز: الله محمد رسول الله المعتمد على الله أحمد بن طولون لولو المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون 	المركز: لا إله إلا الله وحده لا شريك له المفوض إلى الله المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدينر بالرافقة سنة سبعين ومائتين. المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن: ٤,٣٦ غم, القطر : ٢٣ مم 
---	--

شكل رقم (٢)

دنانير خمارويه بن أحمد بن طولون

ر - مصر ٢٧١هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز:	المركز:
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
المفوض إلى الله	الله
المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدينار	المعتمد على الله
بمصر سنة إحدى وسبعين ومائتين	خمارويه بن أحمد
المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد	المدار الأول: محمد رسول الله أرسله بالهدى
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
الوزن : ٤.١٢ غم, القطر : ٢٢ مم	المشركون
	

ز - وضرب الدينار بمصر سنة ٢٧٢هـ^(٢) ويحمل نفس النقوش السابقة وكان وزنه ٤,١٤ غم وقطره ٢٢ مم, وكذلك يتشابه الدينار الذي ضرب سنة ٢٧٣هـ^(٣) بمصر سنة ٢٧٢هـ وكان وزنه ٣,٨٥ غم, وقطره ٢٣ مم, ودينار سنة ٢٧٤هـ^٤, ودينار ٢٧٥هـ^١, ودينار ٢٧٦هـ^٢, ودينار ٢٧٧هـ^٣, كلها متشابهة.

(١) فهمي, موسوعة النقود العربية, ج ١/ص ٨٠٣؛ الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ١٩.

(٢) فهمي, موسوعة النقود العربية, ج ١/ص ٨٠٤.

(٣) Berman Berman, A, Islamic Coins, p ٤٤

^٤ فهمي, موسوعة النقود العربية, ج ١/ص ٨٠٦.

س- الرافقة ٢٧٣هـ (٤)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
المفوض إلى الله	الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار	المعتمد على الله
بالرافقة سنة ثلث وسبعين ومايتين	خمارويه بن أحمد
المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد	المدار الأول: محمد رسول الله ارسله بالهدى
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
الوزن غم ٤,٦, القطر : ٢٧مم	المشركون
	

١ ١٢٠, p. ٣, Lavoix, H. Catalogue des Monnaies Muslmanes, ٣ Vols.,

٢ فهمي, موسوعة النقود العربية, ج ١/ص ٨٠٦

٣ فهمي, موسوعة النقود العربية, ج ١/ص ٨٠٧

(٤) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ٢/ص ١٧

ش - الرفاقة ٢٧٥هـ^(١) , ٢٧٦هـ^(٢)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
المفوض إلى الله	الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بالرافقة سنة خمس وسبعين ومائتين	المعتمد على الله
المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	خمارويه بن أحمد
الوزن : ٣.٢٠ غم, القطر: ٢٤.٩ مم	المدار الأول: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
	

ص - انطاكيا ٢٧٦هـ^(٣)

الوجه	الظهر :
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد

(١) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ١٧.

(٢) () الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ١٧.

(٣) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ١٧.

رسول الله المعتمد على الله خمارويه بن أحمد	لا شريك له المفوض إلى الله ج المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدين بانطاكيا سنة ست وسبعين ومائتين المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. الوزن : ٤.١٠ غم, القطر : ٢٣ مم
---	---

ض- دمشق ٢٧٦هـ^(١)

الظهر : المركز : الله محمد رسول الله المعتمد على الله خمارويه بن أحمد	الوجه المركز : لا إله إلا الله وحده لا شريك له المفوض إلى الله المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدين بدمشق سنة ست وسبعين ومائتين. المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٤.٢٠ غم, القطر : ٢٢.٥ مم
--	---

(١) الجابر، النقود العربية الإسلامية، ج ٢/ص ١٦.



فلسطين ٢٧٧هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
المفوض إلى الله	الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار	المعتمد على الله
بفلسطين سنة سبع وسبعين ومائتين	خمارويه بن أحمد
المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد	المدار: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
الوزن : ٣.٨٠ غم, القطر : ٢٢ مم	المشركون.

انطاكيا ٢٧٨هـ^(٢)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول

(١) شما, النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين, ص ١٠٧.

(٢) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ١٥.

المفوض إلى الله المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بانطاكيا سنة ثمان وسبعين ومائتين المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٣.٦٥ غم, القطر: ٢٢.٥ مم 	الله المعتمد على الله خمارويه بن أحمد المدار: محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون 
---	---

حمص ٢٧٨ هـ (١)

الوجه المركز : لا إله إلا الله وحده لا شريك له المفوض إلى الله المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بحمص سنة ثمان وسبعين ومائتين المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٤.٢٠ غم, القطر : ٢٣ مم	الظهر المركز : الله محمد رسول الله المعتمد على الله خمارويه بن أحمد المدار: محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
---	---

(١) غالب، مسكوكات إسلامية قديمة، ج ٢/ص ٣٠٤.

فلسطين ٢٧٩هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
المفوض إلى الله	الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار	المعتمد على الله
بفلسطين سنة تسع وسبعين ومائتين.	خمارويه بن أحمد
المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد	المدار: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
الوزن : ٤,٣ غم القطر : ٢٢.٨ مم	
	

مصر ٢٧٩هـ^(٢), ٢٨٠هـ^٣

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول

(١) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ١٨.

(٢) فهمي, موسوعة النقود العربية, ج ١/ص ٨٠٨؛ الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ٢٠.

(٣) فهمي, موسوعة النقود العربية, ج ١/ص ٨٠٨؛ الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ٢٠.

الله المعتضد بالله خمارويه بن أحمد ج 	المفوض إلى الله المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة تسع وسبعين ومائتين المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٤,٢ غم, القطر : ٢٢ مم 
--	---

دمشق ٢٨١هـ^(١)

الظهر المركز : الله محمد رسول الله المعتضد بالله خمارويه بن أحمد ح محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون	الوجه المركز : لا إله إلا الله وحده لا شريك له المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار بدمشق سنة إحدى وثمانين ومائتين. المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٤.٢٠ غم, القطر : ٢٢ مم
---	---

(١) Lavoix, H. Catalogue des Monnaies Musmanes, ٣ Vols., p٩

حلب ٢٨١هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر	الله
بحلب سنة إحدى وثمانين ومائتين.	المعتضد بالله
المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد	خمارويه بن أحمد
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	ط
الوزن : ٣,٩٢غم, القطر : ٢٣,٨مم	محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق
	ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
	

مصر ٢٨١هـ^(٢), ٢٨٢هـ^(٣)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :

(١) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ٢١.

(٢) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ٢١؛ الطراونة, المسكوكات الإسلامية العباسية في متحف الآثار الأردني, ص ١١-١٢.

(٣) Broome, M. A hand book of Islamic coins, , p٥٠.

الله محمد رسول الله المعتضد بالله خمارويه بن أحمد ط محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون 	لا إله إلا الله وحده لا شريك له المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة إحدى وثمانين ومائتين. المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٤.١٥ غم, القطر : ٢٢ مم 
--	---

شكل رقم (٣)

دنانير هارون بن خمارويه

ط- مصر ٢٨٤هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدين	الله
بمصر سنة أربع وثمانين ومائتين	المعتضد بالله
المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد	هرون بن خمارويه
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	المدار: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين
الوزن : ٣.٩٨ غم القطر : ٢٣ مم	الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

بالس^(٢) ٢٨٤هـ^(٣)

(١) فهمي، موسوعة النقود العربية، ج ١/ص ٨١١.

^٢ بالس بلدة بالشام بين حلب والرقعة، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١/ص ٣٢٨)

(٣) فهمي، موسوعة النقود العربية، ج ١/ص ٨١١؛ الجابر، النقود العربية الإسلامية، ج ٢/ص ٢١.

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار	الله
ببالس سنة أربع وثمانين ومائتين	المعتضد بالله
المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن	هرون بن
بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	خمارويه
الوزن : ٤,١٣ غم , القطر : ٢٥,٣ مم	المدار : محمد رسول الله
	ارسله بالهدى ودين الحق
	يظهره على الدين كله ولو
	كره المشركون
	

حلب ٢٨٤هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار	الله
بحلب سنة أربع وثمانين ومائتين	المعتضد بالله
المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد	هرون بن خمارويه
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	المدار: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين
الوزن ٣,٩١ غم, القطر ٢١,٨ مم	الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
	

فلسطين ٢٨٥هـ^(٢)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول

(١) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ٢٢ .

(٢) Lane, Poole, S, Catalogue of The Collection of Arabic Coins, p٦٧ .

الوجه المركز : لا إله إلا الله وحده لا شريك له المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة ست وثمانين ومائتين المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٤.٣٠ غم, القطر : ٢٣ مم	الظهر المركز : الله محمد رسول الله المعتضد بالله هرون بن خمارويه المدار : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
---	---

مصر ٢٨٦هـ^(١)

الوجه المركز : لا إله إلا الله وحده لا شريك له المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة ست وثمانين ومائتين المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٣.٩٧ غم, القطر : ٢٢ مم	الظهر المركز : الله محمد رسول الله المعتضد بالله هرون بن خمارويه المدار : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
---	---

مصر ٢٨٧هـ^(٢)

الوجه المركز :	الظهر المركز
------------------------------	----------------------------

(١) Lavoix, H.Catalogue des Monnaies Muslmanes , ٣ Vols,p١٨

(٢) فهمي, موسوعة النقود العربية, ج ١/ص ٨١٣؛ الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ٢٣ .

الله محمد رسول الله المعتضد بالله هرون بن خمارويه ر المدار : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون	لا اله الا الله وحده لا شريك له ر المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة سبع وثمانين ومائتين المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٤.٠٥ غم, القطر : ٢٢ مم
--	--

حمص ٢٨٧هـ^(١)

الظهر المركز الله محمد رسول الله المعتضد بالله هرون بن خمارويه المدار : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون	الوجه المركز : لا اله الا الله وحده لا شريك له المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بحمص سنة سبع وثمانين ومائتين المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٤.٠٢ غم, القطر : ٢١.٦ مم
--	--

(١) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ٢٣ .



دمشق ٢٨٧هـ^(١)

الظهر	الوجه
المركز	المركز :
الله	لا إله إلا
محمد	الله وحده
رسول	لا شريك له
الله	المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار
المعتضد بالله	بدمشق سنة سبع وثمانين ومائتين
هرون بن خمارويه	المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد
المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين	ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون	الوزن ٤,٢١ غم, القطر ٢٢,٣ مم

مصر ٢٨٨هـ^(٢)

الظهر	الوجه
المركز :	المركز :

(١) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ٢٣.

(٢) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ٢٥.

الله محمد رسول الله المعتضد بالله هرون بن خمارويه المدار : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون 	لا إله إلا الله وحده لا شريك له المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة ثمان وثمانين ومائتين المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٣.٩٠ غم, القطر : ٢١ مم 
--	---

مصر ٢٨٩هـ^(١)

الظهر المركز: الله محمد رسول الله المعتضد بالله هرون بن خمارويه المدار : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون	الوجه المركز : لا إله إلا الله وحده لا شريك له المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة تسع وثمانين ومائتين المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن ٤,١٨ غم, القطر ٢١,٨ مم
---	--

(١) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ٢٥.



حمص ٢٨٩هـ^(١)

الوجه المركز:	الظهر المركز:
لا اله الا الله وحده لا شريك له	الله محمد رسول الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بحمص سنة تسع وثمانين ومائتين	المكتفي بالله هرون بن خمارويه
المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	ب
الوزن : ٤.٧٥ غم، القطر ٢٢ مم	المدار : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

دمشق ٢٩٠هـ^(٢)

الوجه المركز:	الظهر المركز:
لا اله الا الله وحده لا شريك له	الله محمد رسول

(١) Lavoix, H. Catalogue des Monnaies Muslmanes ٣ Vols, p ١٩

(٢) الطراونة، المسكوكات الإسلامية، ص ١٢.

الله المكتفي بالله هرون بن خمارويه المدار: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون	المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بدمشق سنة تسعين ومائتين المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٤.٢٨ غم, القطر : ٢٢ مم
--	---

حمص ٢٩٠هـ^(١)

الظهر المركز : الله محمد رسول الله المكتفي بالله هرون بن خمارويه المدار: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون	الوجه المركز : لا اله إلا الله وحده لا شريك له المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بدمشق سنة تسعين ومائتين المدار الثاني : الله الأمر من قبل الخ الوزن ٤,١٧ غم, القطر ٢٢,٣ مم
---	---



(١) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ٢٤ .

فلسطين ٢٩٠هـ (١)

الوجه	الظهر
المركز:	المركز:
لا اله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدين	الله
بفلسطين سنة تسعين ومائتين	المكتفي بالله
المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد	هرون بن خمارويه
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	المدار: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين
الوزن ٣,١٦ غم, القطر ٢٢,١ مم	الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
	

مصر ٢٩٠هـ (٢)

الوجه	الظهر
المركز:	المركز:
لا اله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدين	الله

(١) الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ٢٤.

(٢) Lane, Poole, S, Catalogue of The Collection of Arabic Coins, p٦٦.

المكتفي بالله هرون بن خمارويه المدار: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون	بمصر سنة تسعين ومائتين الوزن : ٤.٠٢ غم, القطر : ٢١ مم
--	--

مصر ٢٩١هـ^(١)

الظهر المركز:	الوجه المركز
الله محمد رسول الله المكتفي بالله هرون بن خمارويه المدار: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون	لا إله إلا الله وحده لا شريك له ه المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة إحدى و تسعين ومائتين المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٤,١٧ غم, القطر ١,٢ مم
	

(١) فهمي, موسوعة النقود العربية, ج ١/ص ٨١٥؛ الجابر, النقود العربية الإسلامية, ج ٢/ص ٢٦ .

شكل رقم ٤

دنانير أبو بكر محمد بن الاخشيد

فلسطين سنة ٣٢٨هـ^(١)

الوجه	الظهر
لا اله الا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول الله
أبو منصور بن	المتقي لله
امير المؤمنين	الاخشيد
المدار الداخلي	المدار: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين
بسم الله ضرب هذا	الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
الدينير بفلسطين	
سنة ثمان وعشرين وثلثمائة	
المدار الخارجي: الله الأمر من قبل ومن بعد	
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	
	

(١) الجابر،، النقود العربية الإسلامية، ج٢/ص ٢٩

مصر سنة ٣٢٩هـ^(١)

الوجه	الظهر
لا اله الا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول الله
أبو منصور بن	المتقي لله
امير المؤمنين	الاخشيد
المدار الداخلي	المدار: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين
بسم الله ضرب هذا	الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
الدينر بمصر	
سنة تسع وعشرين وثلثمائة	
المدار الخارجي	
: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح	
المؤمنون بنصر الله	
	

(١) زراير، التطور السياسي لولاية محمد بن طغج على مصر وبلاد الشام من خلال نقوش المسكوكات (٣٢٣-٣٣٤هـ)، ص ١١.

مصر سنة ٣٣١هـ^(١)

الوجه	الظهر :
المركز :	المركز :
لا إله إلا	. الله .
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
أبو منصور بن	الله
أمير المؤمنين	المتقي الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار	الإخشيد
بمصر سنة إحدى وثلاثين وثلاث مائة المدار	المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين
الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ	الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
يفرح المؤمنون بنصر الله	
الوزن : ٤.١٧ غم القطر : ٢٣ مم	
	

وهناك دينار ضرب بفلسطين سنة ٣٣١هـ يحمل نفس كتابات المضروب بمصر وزنه ٤,١٦ غم وقطره ٢٢,٧ غم^(٢)

(١) الجابر، المسكوكات الإسلامية، ص ٨١٩

(٢) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣٠

مصر ٣٣١هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله .
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول
أبو منصور بن	الله
أمير المؤمنين	المتقي الله
والمدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار	الاخشيد
بمصر سنة إحدى وثلاثين وثلاث مائة	ص
المتقي الله	
الإخشيد	
المدار : محمد رسول الله الخ	
المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد	
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	
الوزن : ٣.٨٣ غم	
القطر : ٢٢.٧ مم	
	

(١) الجابر، المسكوكات الإسلامية، ص ٤٦

فلسطين سنة ٣٣٢هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز :	الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر	محمد
بفلسطين سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة	رسول الله
المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد	المتقي لله
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الخ	الاخشيد
الوزن : ٣.٩٥ غم القطر : ٢٢ مم	المدار : محمد رسول الله ارسله
	

فلسطين سنة ٣٣٣هـ^(٢)

الوجه	الظهر
المركز : مثل القطعة ١	الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر	محمد
بفلسطين سنة ثلث وثلاثين وثلاث مائة	رسول الله
المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد	المتقي لله
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	الاخشيد
الوزن : ٤.٣٧ غم	المدار : محمد رسول الله ارسله

(١) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣٠

(٢) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣٠



مصر ٣٣٤هـ^(١)، ودمشق ٣٣٤هـ^٢

الظهر المركز : الله محمد رسول الله صلى الله عليه المستكفي بالله الإخشيدي مدار : محمد رسول الله . 	الوجه المركز : لا إله إلا الله وحده لا شريك له المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٤.٢٠ غم القطر : ٢٦.١ مم 
---	---

(١) زراير، التطورات السياسية، ص ١٨

٢ الجابر، المسكوكات الإسلامية، ص ٤٧

شكل رقم ٥

دنانير أبو القاسم أنوجور بن محمد

فلسطين ٣٣٥ هـ

مركز الوجه	مركز الظهر :
لا اله الا	الله
الله وحده	محمد
لاشريك له	رسول
أبو القسم بن	الله
الإخشيد	صلى الله عليه
الهامش الداخلي : بسم الله	المطيع الله
ضرب هذا الدينير بفلسطين سنة خمسة	الهامش: أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره
وثلاثين وثلاثمائة	على الدين كله ولو كره المشركون
الهامش الخارجي :الله الأمر من قبل ومن بعد	
يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	
	

واستمر أبو القاسم في اصدار وسك مسكوكات على النحو السابق بأستثناء بعض التغيرات الطفيفة سيما تلك المسكوكات التي ضربت في سنة (٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) وتم إضافة حرف (ك) تحت المأثور والذي يدل على أسم كانور الذي كان وصياً على أبو القاسم .

مصر سنة ٣٣٦هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	. الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول الله
أبو القسم بن	صلى الله عليه
الإخشيد	وعلى آله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدين	المطيع الله
بمصر سنة ست وثلاثين وثلاثمائة	مدار : محمد رسول الله أرسله
المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد	الخ
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	
الوزن : ٣.٣٠ غم القطر : ٢٣ مم	

فلسطين سنة ٣٣٧هـ^(٢)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
و	. الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول الله
أبو القسم بن	صلى الله عليه
الإخشيد	وعلى آله
ص	المطيع الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدين	المدار : محمد رسول الله أرسله
	الخ

(١) فهمي، موسوعة النقود، ج ١/ص ٨٢٢

(٢) فهمي، موسوعة النقود، ج ١/ص ٨٣٠

	فلسطين سنة سبع وثلاثين وثلاث مائة المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٣.٥١ غم القطر : ٢٢ مم 
---	--

فلسطين سنة ٣٣٩هـ^(١)

الظهر المركز : الله . محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله المطيع الله المدار : محمد رسول الله أرسله الخ	الوجه المركز : الله وحده لا شريك له أبو القسم بن الإخشيد ص المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدين فلسطين سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٣.٣٠ غم القطر : ٢٢,٢ مم
---	---

(١) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣٢



مصر سنة ١٣٣٩هـ^(١) مصر سنة ١٣٣٩هـ^(٢)، ١٣٤٠هـ^(٣)

مركز الظهر	مركز الوجه
الله	لا اله الا
محمد	الله وحده
رسول الله	لا شريك له
صلى الله عليه وسلم	أبو القسم بن
المطيع الله	وعلى آله
الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق...	الإخشيذ
	الهامش الداخلي:
	بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر
	سنة أربعين وثلاثمائة
	الهامش الخارجي: الله الأمر من قبل ومن بعد
	يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله
	

(١) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣٠

٢ الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣٠

(٣) فهمي، موسوعة النقود، ج ١/ص ٨٢٣

- دينار ضرب بمصر سنة ٣٤١هـ^(١)، وفي فلسطين وزنه ٣,٥٠ غم، وقطره ٢٣ مم^(٢)

الوجه	مركز الظهر
المركز :	الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار	محمد
بمصر سنة إحدى وأربعين وثلثمائة	رسول الله
المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد	المطيع الله
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين
الوزن : ٣.٩٧ غم القطر : ٢٣ مم	الحق
	

- مصر سنة ٣٤٢هـ^(٣)

الوجه	مركز الظهر
المركز :	الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار	محمد
بمصر سنة اثنين وأربعين وثلثمائة المدار	رسول الله
الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ	المطيع الله
يفرح المؤمنون بنصر الله	الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين
الوزن : ٤.١٥ غم القطر : ٢٣ مم	الحق
	

(١) فهمي، موسوعة النقود، ج ١/ص ٨٢٣

(٢) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣١

(٣) فهمي، موسوعة النقود، ج ١/ص ٨٢٣

٣ - فلسطين ٣٤٢هـ^(١)

الوجه المركز : المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار بفلسطين سنة اثنين واربعين وثلاثمائة المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٤.٢٨ غم القطر : ٢٣ مم 	مركز الظهر الله محمد رسول الله المطيع الله الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق 
---	---

٤ - مصر ٣٤٣هـ^(٢)

الوجه المركز : المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثلث و أربعين وثلاثمائة المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٤.٣٧ غم القطر : ٢٢ مم 	مركز الظهر الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المطيع الله الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق 
---	--

(١) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣١

(٢) فهمي، موسوعة النقود، ج ١/ص ٨٢٣

دينار ضرب بفلسطين سنة ٣٤٥هـ^(١)

الوجه	مركز الظهر
المركز :	الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار	محمد
بفلسطين سنة خمس وأربعين وثلاث مائة	رسول الله
المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد	صلى الله عليه وسلم
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	المطيع الله
الوزن : ٤.٣٠ غم القطر : ٢٢ مم	الهامش : محمد رسول الله
	أرسله بالهدى ودين الحق
	

دينار ضرب بفلسطين ٣٤٦ هـ^(٢)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول الله
أبو القسم بن	صلى الله عليه
الإخشيد	وعلى آله
ك	المطيع الله
المدار الأول : ست وأربعين وثلاثمائة	المدار محمد رسول الله
المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد	
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	

(١) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣١

(٢) فهمي، موسوعة النقود، ج ١/ص ٨٢١

	٣.٠٣ : الوزن غم القطر : ٢٣ مم 
---	--

حرف الكاف تحت المأثور الوسطى في الوجه يدل على اسم كافور وهو تخليد له لأنه كان وصيا على ابي القاسم.

مصر سنة ٣٤٩ هـ

مركز الظهر الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المطيع الله الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله... 	الوجه المركز : لا إله إلا الله وحده لا شريك له أبو القسم بن الإخشيد ص المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ٤.٣٧ غم القطر : ٢٣ مم 
--	---

فلسطين ٣٤٩هـ^(١)

الوجه	مركز الظهر
المركز :	الله
لا إله إلا	محمد
الله وحده	رسول الله
لا شريك له	صلى الله عليه وسلم
أبو القسم بن	المطيع الله
الإخشيد	الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين
ص	الحق
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر	
بفلسطين سنة تسع وأربعين وثلاثمائة	
المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد	
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	
الوزن : ٣.٩٠ غم القطر : ٢٣ مم	
	

(١) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣٥

شكل رقم ٦

دنانير علي بن الإخشيد

الوجه	
المركز :	الظهر
لا إله إلا	المركز
الله وحده	. الله .
لا شريك له	محمد
علي بن الإخشيد	رسول الله
ك	صلى الله عليه
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار	وعلى آله
بفلسطين سنة خمسين وثلثمائة	المطيع الله
المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد	المدار محمد رسول الله ...
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	
الوزن : ٤.٧٥ غم القطر : ٢٢ مم	
	

اما الدينار الثاني الذي ضرب في فلسطين سنة ٣٥١هـ، فقد كان وزنه ٣,٢٣ غم وقطره ٢٢ مم , وقد ثبت عليه النصوص والعبارات التالية^(١) :

(١) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣٦

الوجه	مركز الظهر :
لا آله إلا الله	محمد رسول
مركز الوجه : الله وحده	صلى الله عليه
لا شريك له	وعلى آله
علي بن الإخشيد	المطيع الله
ك	الطوق : محمد رسول الله أرسله بالهدى
الطوق الأول : بسم الله ضرب هذا	ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
الدينار بفلسطين سنة إحدى وخمسين	المشركون
وثلاثمائة.	
الطوق الثاني : الله الأمر من قبل ومن	
بعد يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.	
	

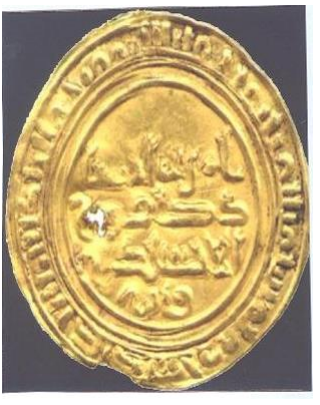
هناك تشابه كبير في مسكوكات الأمير علي المضروبة في مصر وفلسطين بذكرها لأسم الامير علي الإخشيد ووضع الكاف تحت أسم الأمير علي وهو يرمز لكافور وذكر أسم الخليفة في مركز الظهر.

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
	الله
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدين	محمد
بفلسطين سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة	رسول الله
المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد	صلى الله عليه
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	وعلى آله
الوزن : ٣,٦٥ غم, وقطر ٢٤ مم	المدار محمد رسول الله الخ ^(١)

(١) الجابر, النقود العربية, ج ٢/ص ٣٦

شكل رقم ٧

دنانير أبو المسك كافور الإخشيدي .

الوجه : ثلاث أسطر لا اله الا الله محمد رسول الله المطيع لله مع حرفان مج هامش بسم الله ضرب هذا الدينار بمكة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة.	مركز الظهر : أربعة أسطر أمير السعيد كافور الإخشيدي قائم هامش : مجهول
	

دينار كافور الإخشيدي الذي ضرب في فلسطين سنة ٣٥٥هـ^(١)، لم يظهر لكافور الإخشيدي سوى دينار واحد ولم يذكر اسمه عليه ، ضربه في عهد علي بن الإخشيد عندما كان وصياً عليه ولعله أراد أن يضرب الدنانير باسمه تمهيدا لتوليته الحكم.

الوجه	الظهر
المركز :	المركز :
المركز :	الله
لا إله إلا	محمد
لا شريك له	رسول الله

(١) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٣٧

المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدينر بفلسطين سنة خمس وخمسين وثلثمائة	صلى الله عليه وعلى آله المطيع الله
المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن : ٣.٢٥ غم القطر : ٢٢ مم	المدار محمد رسول الله الخ

شكل رقم ٨

دراهم أبو بكر محمد الإخشيدي.

- فلسطين ٣٣٢هـ

الوجه	الظهر
المركز:	المركز:
لا إله إلا	. الله .
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول الله
أبو منصور بن	المتقي الله
أمير المؤمنين	الإخشيد
المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدرهم	المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين
بفلسطين سنة اثنين وثلاثين وثلاث مائة	الحق ليظهره على (الد) ين كله ولو كره
المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد	المشركون
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	
الوزن ٣.٧٥ غم القطر ٢٣ مم	
	

مصر ٣٣٣هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز:
لا إله إلا	. الله .
الله وحده	محمد
لا شريك (له)	رسول الله

(١) زراير، التطور السياسي ، ص ١٥.

المستكفي بالله الإخشيد المدار : محمد رسول الله الخ 	المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدرهم بمصر سنة ثلث وثلثين وثلثمائة المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن ١,٥٨ غم 
--	--

- فلسطين ٣٣٤هـ^(١)

الظهر المركز: الله. محمد رسول الله المستكفي بالله الإخشيد المدار : محمد رسول الله الخ 	الوجه المركز : لا إله إلا الله وحده لا شريك (له) المدار الأول : بسم الله ضرب هذا الدرهم بفلسطين سنة أربع وثلثين وثلثمائة المدار الثاني : : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله 
---	--

(١) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٢٩؛ النتشة، سكة فلسطين الإسلامية منذ الفتح الإسلامي حتى قدوم الصليبيين، ص ٣٧

شكل رقم (٩)

دراهم أبو القاسم انوجور

- دمشق ٣٣٥هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز:	المركز :
لا إله إلا	. الله .
لله وحده	محم (د)
لا شريك له	رسول (الله)
أبو القاسم بن	(صلى الله عليه)
الأخشيذ	(وعلى آله)
المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدرهم بفلسطين سنة خمس وثلثين وثلثمائة	المطيع الله
المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الخ	المدار : محمد رسول الله
وزن ٢,٩٨ غم: القطر ٢٧ مم	الخ
	

(١) الجابر، النقود العربية، ج ٢/ص ٢٩

- طبرية ٣٣٧هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز:	المركز:
لا إله إلا	. الله.
الله وحده	محم (د)
لا شريك له	رسول (الله)
أبو القاسم بن	(صلى الله عليه)
الأخشيذ	(وعلى آله)
المدار الأول: بسم الله ضرب هذا الدرهم بطبرية سنة سبع وثلاثين وثلثمائة	المطيع الله
المدار الثاني : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر	المدار : محمد رسول الله ...
	

طبريا ٣٤١هـ^(٢)

الوجه	الظهر
المركز:	المركز
لا إله إلا	الله

(١) الننتشة, سكة فلسطين, ص ٣٧

(٢) الننتشة, سكة فلسطين, ص ٣٧

الله وحده لا شريك له أبو القسم بن الاخشيد المدار الأول : بسم الله (ضرب) هذا الدرهم (بط) برى سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة المدار الثاني: : الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الوزن: ٤.٤١ غم القطر : ٢٤ مم	محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله المطيع الله المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.
	

شكل رقم (١٠)

دراهم أبو الحسن علي بن محمد

فلسطين سنة ٣٥١هـ^(١)

الوجه	الظهر
المركز :	المركز
لا إله إلا	الله
الله وحده	محمد
لا شريك له	رسول الله
علي بن الأخشيد	صلى الله عليه
ك	وعلى آله
المدار الأول : بسم الله (ضرب) هذا الدرهم بفلسطين سنة احدى وخمسين وثلثمائة	المطيع الله
المدار الثاني: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	المدار : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.
وزن ٤,٧٥ غم, وقطر ٢٣ مم	
	

(١) الننتشة, سكة فلسطين, ص ٤١

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القران الكريم

. أولاً : المصادر الأولية:

- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م):
١- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية (بيروت - ١٩٧٩ م).
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م):
٢- الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتب العربي (بيروت - ١٩٩٧ م).
- ابن ابي اصيبعة: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨ هـ):
٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المحقق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت
- ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢ هـ)
٤- شرح العقيدة الطحاوية تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
- الأزرق: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي (ت ٢٥٠ هـ):
٥- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس للنشر - بيروت،
- ابن الأزرق: محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي (ت ٨٩٦ هـ):
٦- بدائع السلك في طبائع الملك، المحقق، علي سامي النشار، وزارة الإعلام - العراق
- الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور ظافر بن حسين (ت ٦١٣ هـ):
٧- أخبار الدول المنقطعة، تحقيق عصام مصطفى هزايمة وآخرون، دار الكندي، الأردن - ١٩٩٩ م.

- الانطاكي: يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي (٤٥٨هـ):
- ٨- تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتخاء، حققه وصنع فهارسه: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس، لبنان - ١٩٩٠
- ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٢٨هـ / ١٥٢١م):
- ٩- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، دار الباز (مكة المكرمة د.ت)
- البحتري، أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م):
- ١٠- ديوان المتنبّي، علق عليه بطرس البستاني، المطبعة السورية (بيروت ١٣٧٦هـ).
- ابن بعرة، أبو منصور الذهبي،
- ١١- كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تحقيق عبد الرحمن فهمي، لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة-١٩٦٥م
- البعلي: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، (ت ٧٠٩هـ)،
- ١٢- المطلع على أبواب المقنع، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٩٨١م
- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م):
- ١٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي دار الكتب (مصر - د.ت).
- التنوخي، المحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم داود التنوخي البصري أبو علي (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م):
- ١٤- الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر (بيروت - ١٩٧٨م).
- ١٥- نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، (د.م - ١٣٩١هـ).
- بامخرمة ، ابو محمد الطيب بن عبد الله الشافعي (ت:٩٤٧هـ)
- ١٦- قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر ، دار المناهج ، جدة ، ٢٠٠٨.
- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، (ت ٢٧٩هـ)
- ١٧- فتوح البلدان دار مكتبة الهلال (بيروت - ١٩٨٨م).
- البلوي، عبد الله بن محمد المدني (ت ق ٤هـ):
- ١٨- سيرة أحمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي مكتبة الثقافة (دمشق - د.ت).
- الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ) .
- ١٩- يتيمة الدهر ،تح: مفيد محمد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣.

- الحكري الحنفي: مغلاطي بن قليج بن عبد الله البكري المصري ، أبو عبد الله، علاء الدين (ت ٧٦٢هـ):
- ٢٠- كمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة - ٢٠٠١ م
- الحلبي: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ) :
- ٢١- سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت_١٩٨٢م
- ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ):
- ٢٢- فهرسة ابن خير الإشبيلي، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف - محمود بشار عواد، دار الغرب الاسلامي - تونس، ٢٠٠٩ م
- ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكنايني الاندلسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م):
- ٢٣- رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)
- ٢٤- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٩٢م).
- الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م)
- ٢٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم ، (بيروت - ١٩٨٧م).
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) :
- ٢٦- . الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، ط٢، دار السراج، بيروت - ١٩٨٠م).
- . ابن العماد حنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) :
- ٢٧- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير (بيروت - ١٩٨٦م).
- ابن حوقل محمد بن حوقل البغدادي الموصلبي أبو القاسم (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م):
- ٢٨- صورة الارض، بيروت- ١٩٧٠م

- ابن الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م)
- ٢٩- تاريخ بغداد تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت ٢٠٠١م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م
- ٣٠- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط ٢، دار الفكر (بيروت - ١٩٨٨م). I
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الاريلي (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) :
- ٣١- وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس دار صادر (بيروت - ١٩٩٤م).
- الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ)
- ٣٢- مفاتيح العلوم، ط ٢، المحقق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي .
- ابن الداية، أحمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٣٠هـ / ٩٤١م) :
- ٣٣- المكافأة وحسن العقبى، تحقيق: علي محمد عمر مكتبة الخانجي (دم - د.ت).
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م):
- ٣٤- الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط، دار الجيل بيروت ١٩٩١م).
- ٣٥- جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم (بيروت - ١٩٨٧م).
- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلاني (ت ٥٨٠٩ / ١٤٠٦م):
- ٣٦- الانتصار لواسطة عقد الامصار، المكتب التجاري (بيروت - د.ت).
- ٣٧- الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلطين، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز احياء التراث (السعودية - ١٩٨٢م).
- الدمشقي، يوسف البديعي (ت ١٠٧٣هـ):
- ٣٨- الصبح المنبي عن حيثية المتنبى (مطبوع بهامش شرح العكبري)، المطبعة العامرة الشرفية - ١٣٠٨هـ.
- الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (المتوفى: ٢٨٢هـ)
- ٣٩- الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه / القاهرة ، ١٩٦٠ م

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيمان (ت ١٧٤٨هـ / ١٣٤٧م):
- ٤٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري ط ٢ ، دار الكتاب العربي (بيروت - ١٩٩٣م).
- ٤١- سير أعلام النبلاء، ط٣، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت- ١٩٨٥ م
- ٤٢- العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول دار الكتب العلمية (بيروت - د.ت).
- الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت ٥٠٢هـ):
- ٤٣- المفردات في غريب القرآن، تحقيق، صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، دار الشامية ، بيروت- ١٩٩٦م
- الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد (ت ١٠٠٤هـ)،
- ٤٤- غاية البيان شرح زيد ابن رسلان، دار المعرفة - بيروت
- الزبيدي، محمد بن أحمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م):
- ٤٥- تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق مجموعة من المحققين دار الهداية (د.م - د.ت).
- زروق، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسي، (ت ٨٩٩هـ)،
- ٤٦- شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، أعتنى به: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت- ٢٠٠٦ م
- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٤م):
- ٤٧- أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٩٨م).
- ٤٨- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، مؤسسة الاعلمي (بيروت - ١٤١٢هـ).
- ابن زولاق، الحسين بن إبراهيم الليثي (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م)
- ٤٩- أخبار سيويه المصري، تحقيق: محمد إبراهيم سعد حسين الديب، ط١، دار الكتب المصرية - ١٩٣٣م).

- ٥٠- فضائل مصر واخبارها وخواصها، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي (د.م - د.ت)
- ابن الساعي، علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين (ت ٦٧٤هـ):
- ٥١- الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق وتعليق أحمد شوقي بنين ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الاسلامي، تونس - ٢٠٠٩م
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز أوغلي ابن عبد الله (ت ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م) :
- ٥٢- مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق زاهر اسحق، فادي المغربي، عمار ربحاوي، الرسالة العالمية (دمشق - ٢٠١٣م).
- السبكي، تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين (ت ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) :
- ٥٣- طبقات الشافعية الكبرى تحقيق أحمد بن عبد الكريم، المطبعة الحسينية (مصر - د.ت).
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م):
- ٥٤- الطبقات الكبرى، ط٢، تحقيق زياد محمد منصور، مكتبة العلوم (المدينة المنورة - ١٤٠٨م).
- ابن سعيد علي بن موسى بن سعيد المغربي الاندلسي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٥٩م):
- ٥٥- المغرب في حلى المغرب، ط٣، المحقق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة - ١٩٥٥
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م):
- ٥٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية لبنان - د.ت).
- ٥٧- تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز (د.م - ٢٠٠٤م).
- ٥٨- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية (مصر - ١٩٦٧م).
- ابو شامة، أبو قاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م):
- ٥٩- عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة (بيروت - ١٩٩٧م).
- ابن شداد عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م):

- ٦٠- العلاقات الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى زكريا عبادة، احياء التراث العربي (دمشق - ١٩٩١م).
- الصفدي، صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن ايوب بن عبد الله اللبكي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م):
- ٦١- الوافي بالوفيات تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار احياء التراث (بيروت - ٢٠٠٠م).
- ٦٢- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق - ١٩٩٨م
- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٧):
- ٦٣- ادب الكتاب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المكتبة العربية (بغداد - ١٣٤١هـ).
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) :
- ٦٤- تاريخ الرسل والملوك، ط ٢ ، دار التراث (بيروت - ١٣٨٧هـ).
- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م):
- ٦٥- سراج الملوك، حققه وعلق عليه نعمان صالح الصالح، دار العاذرية، الرياض، ٢٠٠٥م
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م):
- ٦٦- فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية - ١٤١٥هـ.
- ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حدير بن سالم بن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)
- ٦٧- العقد الفريد، ط ١، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٤٠٤هـ).
- ابن العديم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي كمال الدين (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١م)
- ٦٨- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر د.م - د.ت).
- ٦٩- زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٩٦ م
- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)
- ٧٠- تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العموري، دار الفكر - ١٩٩٥م).
- العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)

- ٧١- المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنشورة، تحقيق محمد شكور الميادينى، مؤسسة الرسالة - بيروت- ١٩٩٨م
- ٧٢- رفع الإصر عن قضاة مصر تحقيق علي محمد عمر طا مكتبة الخانجي (القاهرة ١٩٩٨م).
- فخر الدين الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، (ت ٦٠٦ هـ):
- ٧٣- خطيب تفسير الرازي ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- ابن فارس: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م):
- ٧٤- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب - ٢٠٠٢م
- الفاسي المكي: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ت ٨٣٢ هـ) :
- ٧٥- العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت
- . ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م):
- ٧٦- المختصر في أخبار البشر ، ط١، المطبعة الحسينية (د.م - د.ت).
- ابن الفرضي: عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي (المتوفى: ٤٠٣ هـ):
- ٧٧- تاريخ علماء الأندلس، عنى بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة - ١٩٨٨ م
- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (ت ٦٨٤ هـ)،
- ٧٨- الذخيرة، تحقيق محمد حبيب جزء ، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٩٤م
- القزويني، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي (ت ٦٢٣ هـ)،
- ٧٩- العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، المحقق: علي محمد عوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٩٧ م
- القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني (ت ٦٤٦ هـ)
- ٨٠- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- ٢٠٠٥ م

- القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ):
- ٨١- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء, دار الكتب العلمية، بيروت
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م):
- ٨٢- البداية والنهاية، البداية والنهاية، دار الفكر - ١٩٨٦ م
- ٨٣- طبقات الشافعيين، تحقيق أحمد عمر هاشم، محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية - ١٩٩٣ م
- الكندي، محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٣٥٥هـ / ٩٦٥م):
- ٨٤- الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل و أحمد فريد المزيدي، دار الكتب بيروت - ٢٠٠٣م).
- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت ٤٥٠هـ)
- ٨٥- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحديث - القاهرة
- ابن ماکولا: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماکولا (ت ٤٧٥هـ):
- ٨٦- الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمؤلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت-١٩٩٠م
- مرتضى الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، (ت ١٢٠٥هـ)،
- ٨٧- تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية
- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)
- ٨٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة - قم، ١٤٠٩هـ
- ٨٩- التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي - القاهرة.
- مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)
- ٩٠- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم امامي، ط٢، سروش (طهران - ٢٠٠٠م).
- المفيد، محمد بن محمد العكبري (ت ٤١٣هـ)،
- ٩١- تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، دار الكتاب الاسلامي، بيروت-لات
- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م):
- ٩٢- احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، دار صادر (بيروت - ١٩٩١م).

- . المقرئزي، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م):
- ٩٣- اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، المحقق حقه جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي
- ٩٤- المقفى الكبير، المحقق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت - ٢٠٠٦ م
- ٩٥- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٤١٨هـ).
- . ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)
- ٩٦- لسان العرب، ط١، دار صادر (بيروت - ١٤١٤هـ)
- ٩٧- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق روحية النحاس ورياض عبد الحميد مراد ومحمد مطيع، دار الفكر (دمشق - ١٩٨٤م).
- . ابن نقطة الحنبلي: محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، (٦٢٩هـ)
- ٩٨- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، المحقق كمال يوسف الحوت دار الكتب العلمية - ١٩٨٨ م
- . النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) :
- ٩٩- تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية (بيروت - د.ت).
- ١٠٠- روضة الطالبين وعمدة المفتين تحقيق زهير الشاويش، ط٣، المكتب الإسلامي (بيروت - ١٩٩١م).
- . ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨هـ) :
- ١٠١- الفهرست، المحقق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - ١٩٩٧ م
- . النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري شهاب الدين (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م):
- ١٠٢- نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب (القاهرة - ١٤٢٣هـ).
- . أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى، (ت ٣٩٥هـ)،
- ١٠٣- معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم - ١٤١٢هـ

- . ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ١٢٢٦هـ / ١٢٢٨م):
- ١٠٤- معجم الادباء ارشاد الأريب الى معرفة الأديب، تحقيق احسان عباس، دار الغرب الإسلامي (بيروت - ١٩٩٣م).
- ١٠٥- معجم البلدان، ط ٢، دار صادر (بيروت ١٩٩٥م).
- . اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م):
- ١٠٦- البلدان، ط ١، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٤٢٢هـ).
- ١٠٧- تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغزي النجف الاشرف - ١٣٥٨هـ.
- . ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدي (ت ٣٤٧هـ / ٩٥٨م):
- ١٠٨- تاريخ ابن يونس المصري، دار الكتب بيروت - ١٤٢١هـ.

ثانيا: المراجع:

- أحمد، أحمد عبد الرزاق
- ١٠٩- تاريخ واثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٩٩م)
- البركتي: محمد عميم الإحسان المجدي،
- ١١٠- التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية - ٢٠٠٣م .
- بيطار، آمينة
- ١١١- الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام، وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دمشق - ١٩٨٠م).
- بهجت بك، علي، و مسيو البير جبريل:
- ١١٢- حريات الفسطاط، نقله الى العربية، علي بهجت بك ومحمود عكوش، ط ١، دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٩٢٨م).
- تيمور، أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور:
- ١١٣- أعلام المهندسين في الإسلام، دار الآفاق العربية، القاهرة - ١٤٢٢ هـ
- . حسن، إبراهيم حسن:
- ١١٤- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ١٤، دار الجيل، (بيروت - ١٩٩٦م).
- ١١٥- الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، المطبعة الاميرية، (القاهرة - ١٩٣٢م).

- حسن، إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن:
- ١١٦- النظم الإسلامية، النهضة المصرية، القاهرة - د.ت).
- حسن، زكي محمد
- ١١٧- الفن الإسلامي في مصر، دار التراث العربي (بيروت - ١٩٨١م).
- حسن، علي إبراهيم:
- ١١٨- مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني، ط، مكتبة النهضة المصرية (د.م - ١٩٥٤م).
- حسين، محمد كامل
- ١١٩- أدب مصر الإسلامية عصر الولاة، دار الفكر العربي، (د.م - د.ت).
- ١٢٠- الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية مؤسسة هنداوي (د.م - ٢٠١٨م).
- حقي، اسماعيل فرج:
- ١٢١- القضاء الاسلامي، مطبعة الاتحاد (الموصل، ١٩٤٩م)
- جروهمان، اودلف:
- ١٢٢- اوراق البردي العربية، ترجمة حسن ابراهيم حسن، دار الكتب المصرية، القاهرة- ١٩٣٤م
- دارك، ديانا
- ١٢٣- السرقة من المسلمين، ترجمة عامر شيخوني، الدار العربية للعلوم ناشرون، الشارقة- ٢٠٢٢م
- دوزي، رينهارت
- ١٢٤- تكملة المعاجم العربية، تج: محمد سليم النعيمي، بغداد، ١٩٧٩.
- الرفاعي، محمد عبد الحميد، صالح، أحمد كامل:
- ١٢٥- تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية الدولة الفاطمية، دار الثقافة العربية بالقاهرة،- ١٩٩٠م؛
- رمضان، هويدا عبد العظيم
- ١٢٦- المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي الهيئة المصرية (د.م - ١٩٩٤م).
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي:
- ١٢٧- الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين - ٢٠٠٢ م
- زكي، عبد الرحمن

١٢٨- الجيش المصري في العصر الإسلامي من الفتح الى معركة المنصورة، مكتبة الأنجلو (القاهرة - د.ت).

• زيدان، جرجي

١٢٩- تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداوي (القاهرة - ٢٠١٢م).

١٣٠- تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن مع فذلكة في تاريخ مصر القديم، مؤسسة هنداوي (القاهرة - ٢٠١٧م).

• زيود، محمد أحمد:

١٣١- العلاقات بين الشام ومصر في العهدين الطولوني والاششيدي ٢٥٤-٣٥٨هـ / ٨٦٨-٩٦٨م، دار احسان دمشق - ١٩٨٩م).

١٣٢- دول بلاد الشام ومصر في العصر العباسي الثاني، دمشق-١٩٩٧م

• سالم، السيد عبد العزيز ، سحر، السيد عبد العزيز :

١٣٣- تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة (مصر - ٢٠٠٢م).

• الشعراوي، محمد متولي:

١٣٤- تفسير الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم عدد الأجزاء: (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر سنة ١٩٩٧ م) .

• الشيال، جمال الدين

١٣٥- تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي الى نهاية العصر الفاطمي ، ط٢، دار المعارف (القاهرة - د.ت).

• الصيرفي، حسن كامل

١٣٦- ديوان البحري، دار المعارف ، القاهرة، د.ت

• طقوش، محمد سهيل

١٣٧- تاريخ الطولونيين والإخشيديين والحمدانيين، دار النفائس (بيروت - ٢٠٠٨م).

• العبادي، أحمد مختار

١٣٨- في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية بيروت - (١٩٧٢م).

• عباس، احسان

١٣٩- شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، دار الغرب الإسلامي بيروت-١٩٨٨م).

• عبد المنعم، صبحي:

- ١٤٠- تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح الإسلامي حتى العهد الأيوبي، الدار العربي (القاهرة - د.ت).
- ١٤١- تاريخ مصر عبر العصور، دار الكتب د.م - د.ت).
- ابن العثيمين: محمد بن صالح بن محمد،
- ١٤٢- الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي - ١٤٢٨ هـ
- عطا، زبيدة محمد:
- ١٤٣- قبضي في عصر إسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-٢٠١٧م
- عرنوس، محمد محمد:
- ١٤٤- تاريخ القضاء في الإسلام (القاهرة، ١٩٣٤م)
- عزام ، عبد الوهاب
- ١٤٥- ديوان ابو الطيب المتنبي ، لجنة التأليف للترجمة والنشر ، القاهرة ، د.ت
- فريد ، شافعي:
- ١٤٦- العمارة العربية في مصر الاسلامية عصر الولاية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة، ١٩٩٤م).
- قره بلوط، علي الرضا، أحمد طورا:
- ١٤٧- معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم - المخطوطات والمطبوعات، دار العقبة، قيصري - تركيا. - ٢٠٠١م
- القمي ، علي بن ابراهيم جزائري طيب الموسوي ،
- ١٤٨- تفسير القمي ، مكتبة الهدى ، النجف-١٩٦٧م
- الكاشف، سيدة إسماعيل
- ١٤٩- مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية ، (القاهرة، ١٩٤٧م).
- ١٥٠- أحمد بن طولون، الدار المصرية (د.م - د.ت).
- ١٥١- مصر في عصر الاخشيديين، مطبعة الجامعة (القاهرة - ١٩٥٠م).
- كرد علي، محمد بن عبد الرزاق بن محمد:
- ١٥٢- خطط الشام، ط٣، مكتبة النوري، دمشق - ١٩٨٣ م
- اللجمي، اديب واخرون :
- ١٥٣- المعجم المحيط، بيروت - ١٩٩٨ م
- لومبار، موريس:

- ١٥٤-الاسلام في مجده الاول من القرن ٢ الى القرن ١٥هـ/٨-١١م),ترجمة وتعليق اسماعيل العربي,منشورات دار الافاق الجديدة,ط٣(المغرب,١٩٩٠م)
- لينبول, ستانلي:
- ١٥٥-تاريخ مصر في العصور الوسطى, الدار المصرية اللبنانية (د.م - ٢٠١٥م).
- ١٥٦-سيرة القاهرة, ترجمة حسن ابراهيم حسن واخرون, مكتبة النهضة المصرية (القاهرة,١٩٩٣م)
- . متز, آدم
- ١٥٧-الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري, ترجمة, محمد عبد الهادي أبو ريده, طه, دار الكتاب العربي (بيروت - د.ت).
- محمد, صفي علي:
- ١٥٨-الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط, الهيئة المصرية للكتاب, القاهرة-٢٠٠٠م
- . محمود, حسن أحمد
- ١٥٩-حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني, دار الفكر العربي (القاهرة - د.ت.
- . محمود, حسن أحمد , أحمد إبراهيم الشريف
- ١٦٠-العالم الإسلامي في العصر العباسي, طه, دار الفكر العربي (د.م - د.ت).
- . مصطفى, إبراهيم واخرون
- ١٦١-المعجم الوسيط, دار الدعوة (د.م - د.ت)
- . مصطفى, شاكر
- ١٦٢-التاريخ العربي والمؤرخون, دار العلم للملايين (بيروت - ١٩٧٩م).
- ١٦٣-دولة بني العباس, وكالة المطبوعات, الكويت-١٩٧٣م
- ١٦٤-جنوب بلاد الشام في العصر العباسي, عمان-١٩٩٢م
- . مصطفى, محمود
- ١٦٥-الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الأيوبي, دار الكتاب العربي (د.م - ١٩٦٧م).
- . مصطفى, نادية محمود
- ١٦٦-العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي الدولة العباسية من التخلي عن سياسات الفتح الى السقوط, المعهد العالي (القاهرة - ١٩٩٦م).
- المراغي, أحمد مصطفى:
- ١٦٧- تفسير المراغي, دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - ١٩٨٥م.

ثالثاً: الدوريات:

- الحازمي، علي بن دخیل الله
- ١- الكوليرا الهیضة فی الخلیج فی القرن التاسع عشر أثارها الاجتماعية الاقتصادية ١٢١٥-١٣١٨هـ، مجلة المؤرخ المصري، جامعة القاهرة، كلية أداب، العدد ٣، ٢٠٠٨م
- الطراونة، خلف فارس
- ٢- المسكوكات الإسلامية العباسية فی متحف الاثار الأردني، حولية دائرة الاثار، مجلد ٢٩.
- زكي، محمد حسن:
- ٣- بعض التأثيرات القبطية فی الفنون الاسلامیة، مجلة المجلة الجديدة، العدد ٣، ١٩٨٣م
- المصري، جمیل عبد الله محمد:
- ٤- طرسوس صفحة من جهاد المسلمين فی الثغور مجلة الجامعة الاسلامیة بالمدينة المنورة، السنة العشرون - العددان السابع والسبعون والثامن والسبعون-١٩٨٨م.

رابعاً: الرسائل والاطاريح

- توبات،
- ١- الكتابات ودلالاتها على النقود المضروبة فی بلاد الشام ٢٧٧-٣٥٨هـ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاثار-جامعة اليرموك، ١٩٩٨م
- زراير، محمد أحمد
- ٢- التطور السياسي لولاية محمد بن طغج على مصر وبلاد الشام من خلال نقوش المسكوكات (٣٢٣-٣٣٤هـ)، مجلة نقوش اثارية، العدد الثالث، ٢٠٢٥م
- الننتشة، يوسف سعيد
- ٣- سكة فلسطين الإسلامية منذ الفتح الإسلامي حتى قدوم الصليبيين، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاثار-جامعة القاهرة، ١٩٧٤م.

خامساً : المصادر الأجنبية

- ١- Lavoix, H.Catalogue des Monnaies, Muslmanes ele la Bibliotheque Nationals, ١٨٨٧,
- ٢- Lane, Poole, S, Catalogue of The Collection of Arabic Coins Preserved in The khedivial, Library at Cairo, London: Bernard Qiaivitch, ١٨٩٧,

- ٣- Grabar, O, The Coinage of The Tulunids, The American Numismatic Society, New York, ١٩٥٧.,
- ٤- Berman, Ariel – Islamic coins : exhibition, winter ١٩٧٦
- ٥- Broome, M. A hand book of Islamic coins, London, ١٩٨٥.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Wasit
College of Education for Humanities / Department of History



**Manifestations of Commemoration in
Egypt and the Levant during the Tulunid
and Ikhshidid Dynasties
(245-358 AH / 868-968 AD)**

**A thesis submitted by
Sufyan Muhammad Hassan**

**Suhail to the Council of the College of Humanities at Wasit
University as partial fulfillment of the requirements for the Master's
degree in Islamic History.**

Supervised by Assistant Professor

Dr. Shaima Badr Abdullah

١٤٤٧ AH

٢٠٢٦ AD

Abstract

The study covers the period from the establishment of the Tulunid state in ٢٥٤ AH/٨٦٨ AD until the end of the Ikhshidid state in ٣٥٨ AH/٩٦٨ AD, which represents a transitional era in Egypt and the Levant when methods of immortalizing local rulers emerged, as they sought to achieve relative independence while maintaining symbolic loyalty to the Abbasid Caliphate. Egypt and the Levant were chosen as the subject matter for this scientific study, as they were vital centers of power and economy during the reigns of the Tulunid and Ikhshidid states, reflecting aspects of political, urban, and cultural commemoration.

The aim of this study is to uncover the methods used by the Tulunid and Ikhshidid rulers to immortalize themselves and their state, as well as to analyze the political, social, and religious dimensions of these immortalizations and their impact on society and the ruling power. Therefore, it is crucial to understand the methods and types of immortalization, and a number of questions must be raised regarding the concept of immortality among the Tulunids and Ikhshidids. The most prominent of these is the importance of commemoration and its types in Tulunid and Ikhshidid Egypt, and what methods did the Tulunid and Ikhshidid princes adopt in commemorating their memory? And the extent of the impact of these multiple cultural manifestations. Another very important question is how the Tulunid and Ikhshidid rulers used these manifestations to immortalize their memory? This is in fact the essence of the study and its main objective? Hence the importance of the study, as it is necessary to highlight the study of immortality and its manifestations under the Islamic system during the reigns of the Tulunid and Ikhshidid states, and to show the extent of the interest of the princes of those two states in immortalizing their political, social and economic history, and to show the means and methods by which the concept of immortality was dealt with.

The methodology used to achieve the study's objectives was

- ١- The analytical historical method, by linking the historical events of the two countries to the methods of commemoration achieved.
- ٢- The descriptive method, based on describing the material and intangible aspects of commemoration, supported by precise details of architectural projects, coins, inscriptions, and writings.

Previous studies: Most previous studies have focused on the political and cultural history of the Tulunid and Ikhshidid states without concentrating on commemoration as a comprehensive historical concept. The Arabic historical library lacks a university-level historical study on the topic of commemoration in Egypt during the Tulunid and Ikhshidid eras.

This topic has not been explored in detail in books, letters, or university theses, except for studies that came implicitly in studies that dealt with cultural and political history. This study came to be – as we believe – the first Iraqi and perhaps Arab academic historical study in this field.

Despite the strenuous and sincere effort that was made in preparing and writing this study, it is difficult to imagine that it is free from shortcomings or gaps, because the subject of the study is new, and in addition to its novelty, the researcher wrote it in the spirit of Arabic and Islamic sources, without neglecting the efforts of foreign researchers who have addressed this subject.

Since the study dealt with the topic of commemoration among the Tulunids and Ikhshidids, it referred to a considerable number of primary and secondary sources, as well as research papers, articles, letters, and university theses. We will address them according to source groups as follows:

First: General History Works

Foremost among these is the History of Prophets and Kings, or the History of Nations and Kings, by al-Tabari, Abu Ja'far, Muhammad ibn Jarir (d. ٢٦٠ AH / ٩٢٢ CE), which provides important information about the history of the Tulunids and the Ikhshidids before and after they assumed rule over Egypt. It also includes important aspects of administration and governance, which greatly benefited the study, The book Al-Kamil fi al-Tarikh by Ibn al-Athir (d. ٦٣٠ AH / ١٢٣٣ AD) is an important source for the history of the Tulunids and the Ikhshidids because it represents an extension of the book of history of al-Tabari and completes the period at which it stopped. It also includes critical analyses of historical, political and military phenomena. It covers an important historical period that included the rise and fall of the two states, and clearly demonstrates the superiority of its methodology over some earlier sources. As for Ibn Kathir's (d. ٧٧٤ AH / ١٣٧٣ CE) *Al-Bidaya wa'l-Nihaya* (The Beginning and the End), he relied on summarizing, abbreviating, and paraphrasing his sources in presenting historical material, especially in the section on Islamic history. Given the length of the period whose history he had to compile, the multitude of topics he was interested in mentioning, and the diversity and abundance of sources, he summarized them in his own words within a coherent narrative, while also referencing and citing the sources from which he obtained his information. Therefore, he is considered an important source for the history of the Tulunids and the Ikhshidids. He provides details about the period through his general historical narrative, emphasizing the importance of the historical criticism he used in scrutinizing and documenting the news. As for the book "Diwan al-Mubtada' wa al-Khabar fi Tarikh al-'Arab wa al-Barbar wa man 'Asarahum min Dhawi al-Sultan al-Akbar" by Ibn Khaldun (d. ٨٠٨ AH / ١٤٠٦ CE), the book's importance lies in its focus on the history of the Tulunids and the Ikhshidids. In that it offers a systematic and comprehensive analysis of these states, rather than merely a recounting of events, this stems from Ibn Khaldun's approach to studying history as a science, where he focused on the causes of the rise and fall of states through concepts such as "group solidarity" and "civilization." Therefore, his book is a fundamental source for understanding the political and social transformations that these states underwent, And how did internal and external factors contribute to shaping its destiny? The book "The Shining Stars in the History of the Kings of Egypt and Cairo" by Ibn Taghribirdi (d. ٨٧٤ AH / ١٤٧٠ AD) is a history of Egypt from the year ٢٠٠-٨٧٢ AH, arranged chronologically rather than alphabetically. It details the kings, sultans, and viceroys who ruled Egypt. The importance of this book lies in its being a comprehensive and accurate source of information about Egypt, especially during the Tulunid and Ikhshidid periods. The book provides rich details about political, urban, economic, and social events, which helps in understanding that era in depth and beyond superficial accounts. It documents the political history of Egypt from the Islamic conquest to the present day, With a focus on the role played by ruling families such as the Tulunids and the Ikhshidids, there is also the book "Shadharat al-Dhahab fi Akhbar man Dhahab" by Ibn al-Imad al-Hanbali (d. ١٠٨٩ AH / ١٦٧٨ CE), which is one of the most important concise works on Arab-Islamic history. His work was able to chronicle the events of the first ten Hijri centuries, such as wars, raids, battles, births, deaths, biographies of prominent figures, and other events that our Arab-Islamic history witnessed

Secondly: Biographical and Classification Works

The study was very beneficial, as it provided us with valuable and important information about the biographies of the figures mentioned in the letter, in addition to the historical material contained in these books. Foremost among these is the biography of Ahmad ibn Tulun by al-Balawi (d. 4th century AH). The year in which al-Balawi wrote his book on the Tulunids is unknown, Al-Balawi's method in his history was to present events and narrate stories with their chains of transmission, in the manner that narrators and biographers of the early centuries used to do. Al-Balawi quoted about fifty stories from Ibn Tulun's stories about Ibn al-Dayya, which he mentioned in his two books: The Biography of Ibn Tulun and walmukafa'ata, and he added about forty other stories of his own, The author included in his book numerous letters and documents that have no trace in Ibn al-Dayah's book. The details of Ibn Tulun's upbringing, the news of his wars in the border regions, the news of his son al-Abbas and his servant Lu'lu', and the news of his illness and his successful deposition were mentioned in al-Balawi's book, As for the book of governors and judges by Al-Kindi (d. 300 AH / 911 AD), it provided detailed and accurate information about the two states. Regarding the Tulunid state, he dealt with its history by mentioning the governors, starting with its founder, Ahmad ibn Tulun, and was able to show the history of the entire state, so he started by dealing with political matters and did not neglect cultural matters, As for the book "Siyar A'lam al-Nubala'" by al-Dhahabi (d. 548 AH/1154 AD), it is a book of biographies that includes caliphs, princes, scholars, historians, and poets. It includes biographies of notables from the dawn of Islam until the year 549 AH. The book "Al-Wafi bi'l-Wafayat" by al-Safadi (d. 764 AH/1362 AD) is one of the books written on the biographies of men. It is a large book on history, language, and literature, which al-Safadi compiled in thirty volumes

Third: Language and Literature Works: Language books have supported the subject of study in explaining the meanings of words and terms, and clarifying what is obscure and difficult to understand, especially the rare ones. The book is Mu'jam Maqayis al-Lughah by Ibn Faris (d. 390 AH/991 AD), and the book Lisan al-Arab by Ibn Manzur (d. 711 AH/1311 AD), and the book Taj al-Arus min Jawahir al-Qamus by al-Zubaidi (d. 1200 AH/1790 AD), Among the encyclopedic literary books that include various sciences and topics from literature, and news from history that were of great importance and enriched the research chapters with many references to political life and various social topics, the foremost of which is the book (Nihayat al-Arab fi Funun al-Adab by al-Nuwayri (d. 733 AH / 1333 AD), The book "Subh al-A'sha fi Sina'at al-Insha" by al-Qalqashandi (d. 821 AH / 1418 AD), and its benefit came from using what we obtained from its information in writing all the chapters of the treatise

Fourth: Geographical and Travel Writings

As for geographical sources, they provided us with valuable information from a geographical perspective on the subject of study by introducing many of the locations of cities and their positions and what is related to them. At the forefront of these books was the book of sermons and lessons by mentioning the plans and monuments, known as Al-Maqrizi's plans, by Al-Maqrizi (d. 845 AH / 1442 AD), It is considered one of the most prominent and important books documenting the history of Islamic Egypt and its urban geography. The book provides a comprehensive account of the founding and development of Cairo from the Islamic conquest until the ninth century AH/fifteenth century AD, with a detailed description of historical buildings, such as mosques, palaces, markets, and schools, The book is distinguished by its documentation of landmarks that have disappeared over time, making it a unique reference for studying urban plans and the names of old neighborhoods and streets. It

also includes an accurate description of daily life and economic and social institutions in Fustat and Cairo over nine centuries, As for the book "Mu'jam al-Buldan" by Yaqut al-Hamawi (d. ٦٢٦ AH / ١٢٢٨ AD), this book is considered a geographical encyclopedia due to the abundance of material it contains, and we have benefited from a wealth of information from it, We benefited from it with abundant information in all chapters of the research, and from the book "Marasid al-Ittila' ala Asma' al-Amakin wa al-Biqat" by Ibn Abd al-Haqq (d. ٧٣٩ AH / ١٣٣٨ AD), and other important books from which we benefited in all chapters of the research

Fifth: Modern References: The study was enriched by numerous modern references, which served as guides to primary sources. These references proved useful in clarifying many issues raised in this research. Among the most important are the book "Egypt in the Ikhshidid Era" by Ismail Kashif and the book "Islamic Civilization of Egypt in the Tulunid Era, The book "History and Antiquities of Egypt from the Arab Conquest until the End of the Fatimid Era" by Ahmed Abdel-Razzaq, and the book "Relations between Egypt and the Levant in the Tulunid and Ikhshidid Eras" by Muhammad Ahmed Ziyoud, as well as many other references that enriched the thesis with information of great importance in the field of what it expressed in terms of opinions and viewpoints that the researcher can be guided by.